

التاريخ السياسى والاقتصادى للمدن الثلاث

أحمد محمد اندريشة

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان
الجماهيرية العربية | السنة الخامسة | العدد الرابع | كية العظمى

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

مصراتة - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية - ليبيا
ص ب 17459 مرق (تلكس) 30098 مطبوعات



الطبعة الاولى 1402 هـ . و 1993 م

رقم الإيداع - 1993/1412 م - دار الكتب الوطنية - بنغازي

حقوق الطبع والاقتباس والترجمة محفوظة للناس

الإهداء

إلى

رفيقتي على درب الحياة اعترافاً مني
بتضحياتها وتشجيعها والتي أتمثل فيها قول
رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم عن المرأة
الصالحة : «إذا نظرت إليها سرتك وان غبت
عنها حفظتك في مالك وعرضك وان أمرتها
أطاعتك»

أهدي كتابي هذا

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ
أما بعد:

﴿وقل رب زدني علماً﴾ صدق الله العظيم

تعتبر ليبيا من المناطق الهامة على البحر المتوسط وتربط بين جناحي القارة الأفريقية قديماً وحديثاً وكان لهذا الموقع أثره الكبير على حياة السكان مما جعلهم على صلات وثيقة مع العديد من الحضارات القديمة وقد ارتبط القسم الغربي من ليبيا بالفينيقيين منذ فترة مبكرة مما جعل تاريخ هذه المنطقة يتأثر ويرتبط بتاريخ الفينيقيين خصوصاً مدينة قرطاجنة مع اتصال مستمر بالحضارات الأخرى في مصر وبلاد اليونان وروما وقوريني في القسم الشرقي من البلاد.

وتكتسب دراسة تاريخ ليبيا القديم أهمية خاصة لأنها تكشف عن علاقاتها الداخلية والخارجية مع الشعوب المجاورة وتبين مدى تأثيرها أو تأثرها في الحضارات القديمة.

ويتناول هذا الكتاب بالبحث والدراسة أحوال المدن الثلاث خلال العصر الروماني وتمتد الدراسة من بداية مجيء الفينيقيين إلى نهاية العصر الروماني حيث لم تقم دراسات شاملة ومتخصصة عن المدن الثلاث في ذلك، وهذا ما جعلني أدرس هذا الموضوع بالذات لعلني أفتح المجال أمام الراغبين في مواصلة البحث.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة أبواب رئيسية أخصها فيما يلي:

- الباب الأول وينقسم إلى أربعة فصول، تناولت في الفصل الأول مقدمة جغرافية عن المدن ومصادر ثروتها وحدودها والآثار المترتبة على ذلك معتمداً على ما أورده المؤرخون القدماء أمثال هيرودوت وبلييني ولوكان.

- أما الفصل الثاني فقد تحدثت فيه عن أوضاع المدن السياسية السابقة للاحتلال الروماني من حيث العوامل والظروف التي دفعت الفينيقيين إلى إنشاء المدن الثلاث وما سادها خلال العصرين الفينيقي (القرطاجي) والنوميدي من أساليب حكم وسيطرة وعلاقات طيبة بين الجانبين.

- ويعتبر الفصل الثالث من أهم فصول الكتاب نظراً لاشتغاله على دوافع الغزو الروماني وما وضعه الرومان من أنظمة الحكم للسيطرة على المدن واعتمادهم على أنظمة الحكم السابقة للاحتلال وما دار من صراع حربي بين المحتلين الرومان والقبائل الليبية والأسباب الكامنة وراء هذا الصراع.

- وكان الفصل الرابع خاتمة للأوضاع السياسية إذ شمل ما قام به سبتيميوس سيفروس من تنظيمات رستخت الاحتلال الروماني ثم ما ساد البلاد من فوضى واضطراب بعد نهاية الحكم السيفيري وما قام به دقلديانوس من إصلاحات لإنقاذ الإمبراطورية الرومانية ودور القبائل الليبية في إنهاء الحكم الروماني من البلاد.

- الباب الثاني: وقد أفردته لدراسة أحوال المدن الاقتصادية، وقسمته إلى ثلاثة فصول: أولها يتناول أحوال المدن الثلاث خلال العصر الفينيقي مع نبذة بسيطة عن نشاط الليبيين الاقتصادي قبل قدوم الفينيقيين الذين استغلوا العلاقات الطيبة بينهم وبين المواطنين وسيطروا على أوضاع البلاد اقتصادياً سواء من حيث الاهتمام بالتجارة واحتكارها أو تنمية النشاط الزراعي أو الصناعي في البلاد.

أما الفصل الثاني: فقد وضحت فيه الزراعة والثروة الحيوانية خلال العصر الروماني وسيطرة الرومان على الأرض الزراعية وإبعاد المواطنين إلى المناطق شبه الصحراوية مما كان له عظيم الأثر على السواد الأعظم من الليبيين.

وقد عمل الرومان على تحسين طرق الزراعة وحاولوا الاستفادة من المياه بوسائل متعددة واستغلوا الخبرة الفينيقية لتطوير الزراعة خصوصاً ما يخدم مصالح الرومان.

أما النشاط التجاري والصناعي فقد خصصت له الفصل الثالث من هذا الباب مبتدئاً الحديث بالأهمية التجارية للمدن الثلاث وكيف سيطرت القبائل الليبية على تجارة القوافل كما اشترت إلى العوانية والأسواق التي أنشئت لخدمة الأغراض التجارية، والعملية والطرق التجارية التي تربط المدن الثلاث بقوريني

ومصر وأواسط أفريقيا وبلاد الجرامنت وكانت سلع التجارة موضع اهتمام نظراً لتعددتها وأهميتها في هذا المجال، وتناولت كذلك وسائل النقل والضرائب التي فرضت سواء الزراعية أو التجارية.

وكانت الصناعة آخر نقاط هذا الفصل وحاولنا جاهدين أن نبين دور العناصر المحلية في هذا المجال والصناعات التي قامت وكيف أن الرومان لم يحاولوا الاهتمام بالصناعة ما عدا الصناعات التي تصدّر إلى روما مثل صناعة الزيوت وكان الرومان يهدفون من ذلك أن تستمر البلاد كمصدر للمواد الخام وأن تكون سوقاً مفتوحة للصناعات الرومانية.

أما الباب الثالث فقد تناولت فيه النظم الدفاعية نظراً للارتباط الشديد بينها وبين الحياة السياسية والاقتصادية وقد قسّمته إلى ثلاثة فصول تناولت في الفصل الأول سياسة الرومان الدفاعية قبل العهد السفيري والتي كانت تعتمد على الجيوش الرومانية المتمركزة في المدن الساحلية والتي كانتوا يستقرونها لمهاجمة القبائل الليبية وتأديبها أو لصد هجوم تقوم به هذه القبائل.

أما الفصل الثاني والذي يعتبر أهم فصول هذا الباب فقد شرحت فيه النظم الدفاعية التي وضعها سيفروس واستكملها خلفاؤه من بعده وكانت تعتمد على ثلاثة أسس رئيسية هي:

أولاً : خط من الحصون في العمق يرتكز على ثلاثة حصون كبيرة وهي جولايا والقريبات الغربية وكيدامس والتي أنشئت لخدمة الأغراض العسكرية والتجارية.

ثانياً : مزارع الحدود وهذه المزارع أنشئت في السويديان الخصبة مثل سوف الجين وزمزم ووُذعت على الجنود المتقاعدين من الجيش الروماني مقابل الدفاع عن مزارعهم من هجمات القبائل الليبية وكان الرومان يهدفون من ذلك ضرب الليبيين بعضهم ببعض وحماية الرومان الذين يسكنون المدن الساحلية.

ثالثاً : أما الخط الثالث من النظم الدفاعية السفيرية فكان يعتمد على مجموعة من الطرق الاستراتيجية بهدف حماية الرومان وإيصال الإمدادات في أسرع وقت وخدمة التجارة كذلك.

أما الفصل الثالث فقد تناولت فيه النظم الدفاعية بعد العهد السفيري والتي

أصبحت تعتمد على نظم الكتينارييا ثم قُسمت مناطق التخصوم إلى عشر
عندما تولى دقلديانوس الحكم فقد أ. - حماية المدن تابعة لقائد أفري

ومع أن الكتاب يشمل فترة زمنية طويلة تزيد على ثلاثة قرون
المصادر والمراجع كانت حائلاً دون استيفاء الموضوع حقة من السرد
وحتى المصادر أو المراجع التي أشارت إلى المدن الثلاث كانت إشارات
ومقتضبة ولم يكن الهدف منها دراسة تاريخ المنطقة.

وقد اعتمدت في دراستي هذه على المصادر الأدبية سواء السرو
اليونانية أمثال هيرودوت وبليني واسترابو وبطليموس وثيوفراستوس
الصفلي وسالوست وتسايتوس من خلال سلسلة: CLASSICAL LIB-
RARY).

أما مصدرنا الثاني فهو النقوش خصوصاً مجموعة النقوش
ON OF ROMAN TRIPOLITANIA).

كما اعتمدت على مختلف المجالات العلمية التي تتناول النقوش
والنقود بالدراسة خصوصاً مجلة «LIBYA ANTIQUA» ومجلة «
STUDIES» أما الآثار فقد عدت إليها كلما كان ذلك مفيداً في دراستي
كتاب GOODCHILD, R.G., LIBYAN STUDIES, ed. REYNOLDS
D.A. R. A. THE DEFENCE SYSTEM IN LIBYA DURING THE 1-
TORIES A.D.

ومع هذا الاهتمام المتزايد بدراسة تاريخ ليبيا عبر العصور
فلا زالت الكثير من المسائل التي في حاجة ماسة للدراسة والبحث.

وقد اعتمدت في دراستي على كل ما وصلت إليه من المصادر
محاوياً إبراز دور العناصر المحلية خلال هذه الفترة التاريخية.

وأتمنى أن أكون قد أضفت لبنة جديدة في دراسة تاريخ هذه الأمة
وفي ذات الوقت أرجو أن أكون قد وفقت في إعطاء صورة واضحة عن تاريخ
الثلاث السياسي والاقتصادي خلال هذه الفترة، كما أتمنى أن يكون كتابي
دافعاً للمزيد من الدراسات في تاريخ ليبيا القديم.

وفي النهاية يسرني أن أوجه شكري وتقديري إلى جميع المؤسسات

والتربوية على المساعدات التي امدوني بها كما اشكر جميع من امدني بالمعون
والمساعدة من اساتذة التاريخ القديم بجامعة قاريونس والاصدقاء والصديقات
والذين لا يتسع المجال لذكرهم وأن يعتبروا هذا الشكر والتقدير موجهاً إليهم
شخصياً.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لخدمة المادة العلمية والوطن
الأم والله الموفق.

مصرقة في 9/9/1992م

الباب الأول الجانب السياسي

الفصل الأول

جغرافية المدن الثلاث ومصادر ثروتها

أطلق على منطقة المدن الثلاث اسم تريپوليس «TRIPOLIS»⁽¹⁾ نسبة إلى أهم مدنها التي حملت أسماء لبدة الكبرى وأويا وصبراته⁽²⁾، كما سُميت المنطقة اميوريا⁽³⁾.

وبالرجوع إلى الكتاب القدامى نلاحظ أن حدودها قد امتدت من مذابح الأخوين قبلايني شرقاً إلى تاكاباي «قايس» ولاكوس ساليفوروم «Lacus Salinorum» «شط الجريد» غرباً.

وكانت حدود المنطقة الشرقية الفاصلة بين نفوذ الإغريق والقرطاجيين موضع اهتمام عند كثير من الباحثين، فقد تحدث عنها بليتي⁽⁴⁾ «PLINIUS» مشيراً

(1) أطلق الإغريق هذا الاسم على المدن الثلاث الواقعة في غرب ليبيا، انظر

Liddel, G. H. And Scott, R. A Greek - English Lexicon At The Clarendon Press, Oxford 1976, P. 1821, Hammond N. G. L. And Scullard, H. H. The Oxford Classical Dictionary, Second Edition, Clarendon Press, Oxford, 1976, P. 1094.

Warrington, B. h. "The Semite Migrations To Libya and North Africa, Libya Anti- (2) qua, Printed In France, Unesco, 1986, P. 167; Lewis, C. T. And Short, C. A Latin Dictionary Impression Of 1975, Oxford At The Clarendon Press, PP. 1052, 1257, 1609

(3) وتعني كلمة اميوريا السوق أو المركز التجاري - انظر

Lewis, C. T. And Short, C. , Op. Cit. P. 644

Plinius Secundus, Nat. Hist, V. Iv. 28, The Loeb Classical Library. (4)

إلى بعض الأماكن الواقعة بين المنطقتين مثل رأس بوريون. كما أن استرابو تحدث عن قلعة يوغرانتاس الواقعة إلى الغرب من مذابح الأخوين فيلايني واعتبرها الحد الفاصل بين مناطق نفوذ القرطاجيين والبطالمة⁽¹⁾.

وقد أشار سكيلاكس «SCYLAX» إلى الحدود الفاصلة بين الطرفين عند حديثه عن خليج السرتيس واعتبر أراضي شعب المكاي في تلك المنطقة⁽²⁾.

ويعتبر سالوست «Sallustius» من أفضل المؤرخين الذين كتبوا عن الحدود الشرقية بإفانضة حيث ذكر أن هناك سهلاً رملياً مملاً ليس به نهر أو جبل يحدد التخوم بين الطرفين⁽³⁾ مما أوقعهما في صراع انتهى بوضع حدود متفق عليها بينهما. وقد تمت تلك الخطوة على يد رياضييين⁽⁴⁾ اتفق على أن يكون مكان التقائهم

(1) Strabo Geography, Xvii, II, 20 The Loeb Classical Library

(2) Scylax Carpendensis, Periplos, I 108, Muller, B. G., Paris, 1882, P. 109

(3) المقصود بالطرفين هما الإغريق والقرطاجيين ولذلك فإن هذا الصراع وهذه الحدود الفاصلة لا تحصر القبائل الليبية ولم يتدخل الليبيون في هذا الصراع الذي دار بين الجانبين على اقتسام البلاد

(4) بعد أن وصف سالوست منطقة الحدود بين قرطاجة وقوريني، يبين قصة الصراع بينهما. ويذكر أن الطرفين ملأ الحرب وخاضا دخول طرف ثالث وأن الطرفين اتفقا على يوم معين يخرج فيه عداءان من قرطاجة ومثلها من قوريني، والمكان الذي يلتقون فيه سيكون الحد المحترم من الطرفين. واستمتع مدونا قرطاجة قطع مسافة أكثر عدد التقائهما بمدومي قوريني، ويعمل ذلك بالكسل أو بالحظ. ثم يذكر تعليلاً آخر وهو أن السهول في تلك المناطق التي تقع غرب قوريني كانت عارية، وبما تهب الرياح تسبب عواصف رملية تملأ عيون المسافرين وأقواسهم وتحجب الرؤية مما يسبب عنه عدم القدرة على الاستمرار في الجري، وعندما التقى مدونا قوريني بالأخوين فيلايني اتفقا على الخروج قبل الموعد المحدد ورفضوا التقيد بالاتفاق. لذلك عرض القرطاجيان إعادة الكرة مرة أخرى. عند ذلك عرض عليهما مدونا قوريني أحد امرين، إما أن يدفنا أحياء في هذا المكان أو يُسمح لهما بالتقدم قدر ما يرغبان ويدفنا أحياء هناك، ويُضَلَّ الأخوان التضحية بنفسيهما ودفنا أحياء في سبيل الوطن وأقام لهما القرطاجيون المذابح في ذلك المكان وهي أرض الوطن. وإذا رجعنا إلى تحليل القصة فلا يمكن قبولها على شكلها الذي أورده سالوست حيث أن الخيال الإغريقي الخصب لابد وأن يكون قد لعب دوره في تسج حيل هذه القصة. فقد ذكر أن الطرفين ملأ الحرب وخاضا دخول طرف ثالث، ولكن تلك الحرب لم تُذكر في أي من المصادر التي بين أيدينا ولا نعرف من هو الطرف الثالث الذي يخشاه الطرفان ومن نعلم أن كليهما يشكلا أعظم قوتين في ذلك الوقت أما من حيث وقوع الخلاف وتحديد الحدود بين الطرفين فهي أمور محتملة الوقوع، إنما الطريقة التي تمت بها فهي موضع شك نظراً للعارق الكبير في المسافة ولذلك يرى بعض الباحثين أن مكان الانطلاق كان من لجة الكورني وليس من قرطاجة، للمزيد انظر

النقطة الفاصلة بين نفوذ القرطاجيين والإغريق⁽¹⁾، ومع أن مذابح الأخوين فيلايني التي أصبحت تمثل الحدود بين قوديني والمدن الثلاث لم تحدد بدقة، إلا أن بعض الباحثين رجّح أنها ليست بعيدة عن مقاطع الكبريت⁽²⁾. (انظر الخريطة شكل «1»).

أما الحدود الغربية للمدن الثلاث فإنها لم تحدد بدقة نظراً لتبعية المناطق في تلك الجهات للقرطاجيين، وعلى الأرجح فإن منطقة لأكوس ساليينوروم «شط الجريد» وتاكاباي⁽³⁾ وحصن تامليني تمثل الحد الغربي للمدن الثلاث⁽⁴⁾، ومن الناحية الجنوبية ربما امتدت الحدود حتى المناطق التي سيطر عليها الجرامنت⁽⁵⁾.

وكان البحر المتوسط هو الحد الشمالي لمناطق المدن الثلاث والذي كان له بالغ الأثر في النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية حيث مكّن سكانها من الاتصال بالشعوب المجاورة والمتاجرة معها، كما جعلها حلقة وصل بين مناطق أوروبا وأواسط أفريقيا، وبخاصة في مجال التجارة، ولذلك أصبحت للمدن الثلاث علاقات تجارية مع عدد من مناطق العالم⁽⁶⁾.

-
- Sallustius, *Belium Jugurthinum*, Lxxix, The Loeb Classical Library, Warminster, B. = H., Carthage, Second, Edition, Robert Hale Company Publishers, London, 1969, P 62. Graham, A., Roman Africa, New York Books For Libraries Press Freeport, P. 7
- Sallustius, *Bel Jug*, Lxxix; Menghe, A., *La Tripolitama Antica*, Atroldi, A. Edited, (1) Verbena, 1940, PP 32-34; Julien, Ch A., *Histoire, L'Afrique Danord*, P21; Goodchild, R. G *Libyan Studies*, Reynolds, J. Paulek, London, 1976, PP 156ff.
- Merighi, A., *Op Cit*, P 35. (2)

(3) محمد عبد الهادي شعيرة (ليبيا الاسم ومدلولاته التاريخية) مجلة كلية الآداب والعلوم، العدد الأول، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1958م، ص 15 إبراهيم أحمد ررقانة، جغرافية الوطن العربي، 1964، ص 72

(4) Warminster, B. H., *The North African Provinces From Diocletian To Vandal Conquest*, Gambridge At The University Press, 1954, P. 22. Blunsam, T., *Libya The Country And Its People*, Queen Anne Press, Copyright, 1968, P 95.

(5) جمال الدين الديناصوري، جغرافية عزاز، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ص 47 عبدالعزيز طريخ شرف، جغرافية ليبيا، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ص 159.

(6) Strabo, *Geog*, Xvi. 3, 20; Sallust, *Bel Jug*, Lxxvii, Breasted, J. H., *A History Of Egypt*, London, 1948, Pp 27 - 32.

محمد المبروك المهدي، جغرافية ليبيا البشرية، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ص 4

وقد اختلفت المصادر القديمة في الحديث عن المميزات المتنوعة في منطقة المدن الثلاث، فقد أكد هيرودوت⁽¹⁾ على خصوبة التربة فيها وغزارة أمطارها، ولكن مما يقلل من هذه المميزات إحاطة المنطقة بالصحراء من أغلب جهاتها⁽²⁾ الأمر الذي كان له بالغ التأثير على النشاط الاقتصادي، ويمكن تقسيم سطح المدن الثلاث إلى الأقسام الرئيسية الآتية:

أولاً: السهول الساحلية:

تتخلل هذه السهول العديد من السبخات والكثبان الرملية، ويتميز الساحل بأنه خالٍ من التعاريج والخلجان بصفة عامة التي تلعب دوراً هاماً في إنشاء المرافئ الطبيعية⁽³⁾، ومع ذلك نشأت على طول ساحل المدن الثلاث عدة موانئ جيدة أهمها صبراتة وأويا ولجدة⁽⁴⁾، ويرجع وجود موانئ أخرى صغيرة على طول الساحل مثل رأس جفارة «قصر خيارة» وأوزوخيس التي اشتهرت بصناعة الأرجوان والسمك⁽⁵⁾ وكذلك كيفالاي (مصبراتة)⁽⁶⁾، وأبتداءً من كيفالاي اتجاهًا نحو الشرق حتى حدود قوريني يمتد خليج السرتيس الكبرى الذي يعتبر من المناطق البحرية الصالحة للملاحة ولكنه لا يخلو من الخطورة التي تمثلت في المناطق الضحلة، حيث شكّلت مصدر رعب للبحارة وبخاصة عند ارتفاع الأمواج نتيجة المد والجزر⁽⁷⁾ أو بسبب اتجاه العواصف القوية، كما شكّل حيوان ماليا «MALEA» مصدر خوف كبير للبحارة أيضاً لأن هذا الحيوان لا يستطيع أحد السيطرة عليه⁽⁸⁾، واعتقد أن الخطر الذي يمكن قبوله وتصديقه هو تلك المناطق الضحلة التي تختفي تحت

-
- (1) Herodotus, iv 175-198. The Loeb Classical Library
(2) Strabo, Geog. II, V, 33; Lucan, De bello Civili, ix, 520; Sallust, Bel. Jug., Lxxix, Cury, M., The Geographical Background Of Greek And Roman History Oxford, 1949, P. 220
(3) Arcangelo, G., Tripolitania E Cirenaica, IIIa Edizione, Milano Bergamo, 1912, P. 26.
(4) Bates, O., The Eastern Libyan, Frank Cass & co. Ltd. New Impression London, 1970, P. 3; Haynes, E. L., The Antiquities Of Tripolitania, 4th Edition, 1981, P. 13.
(5) Merighi, A., Op. Cit., P. 39
(6) Strabo, Geo., Xvii, 3-19
(7) Strabo, Geog., Xvii, 3, 20; Pliney, V, 4; Lucan, Bel. Civ., ix, 305, 320.
(8) Propertius, III, XIX-XXIV. The Loeb Classical library

الأمواج المرتفعة، نتيجة هبوب الرياح القوية، أما غيرها من القصص فإنه لا يمكن تصديقها وربما تكون من اختلاق القرطاجيين للمحافظة على احتكارهم لتجارة المدن لأن تلك المخاطر لم تعق تجارة القرطاجيين.

واهم الموانئ على ساحل الخليج التي أسهمت على الأرجح في النشاط الاقتصادي هي أسبيس «بويرات الحسون» وماكومادس يوفرانتا «MACOMADES» «EUPHRNTA» وكراكس⁽¹⁾ «CHARAX» «أسكينا - سلطان الحالية».

وبعد أن تعرفنا على الموانئ التي نشأت على طول الساحل نعود إلى الحديث عن السهول الساحلية، فقد تحدث هيرودوت على منطقة وادي كينبس «وادي كعام»، ووصفها بخصوبة التربة وبخاصة في إنتاج القمح⁽²⁾، حيث كانت تعيش قبيلة المكاي في هذه المنطقة⁽³⁾، وكانت لها تنقلات موسمية من الساحل إلى الجبل في فصل الصيف⁽⁴⁾، وربما كانوا يذهبون إلى تل الحسان (مسلاتة) الذي تغطي الأشجار كما ذكر هيرودوت⁽⁵⁾.

وتغطي الكثبان الرملية مساحات واسعة من السهول الساحلية⁽⁶⁾، كما تنتشر فيها السبخات التي تعتبر سبخة ماكوماكا⁽⁷⁾ «تاورغاء» أكبرها، وربما أشار إليها استرابو حين ذكر وجود بحيرة بعد كيفالاي تصب في الخليج وبها مرفأ⁽⁸⁾، وقد رجّح بعض الباحثين انتشار النشاط الزراعي فيما بين كيفالاي وماكوماكا⁽⁹⁾.

Strabo, Geog., Xvii. 3 20; Goodechild, R. G., "Medina Sultan" Libya Antiqua, Vol. I, (1) 1964, PP. 99 - 100

Herodotus, Iv. 198; Pliny, Nat. Hist. V 5 27 (2)

Herodotus, Iv. 157; Strabo, Geog., Ii. 58; Id., 275 - 276. (3)

Haynes, E. I., Op. Cit., P. 19 (4)

Herodotus, Iv. 175. (5)

Lucan, Bel. Civ. Ix. 525 (6)

(7) وهي تشغل مساحة تصل إلى 2700 كيلو متر مربع، ويمتد 100 كيلو متر لهما بين سهل كيفالاي والخليج أما عرضها فيصل إلى ما بين 15 - 30 كيلو متراً وتغذيها مياه الأمطار والمياه الجوفية ووديان زعنم وسوق الجين والبي الكبير - انظر: عبد العزيز طريح شريف، المرجع نفسه، ص 96.

Strabo, Geog., Xvii. 3 20, Ettore, R., Storia Di Tripoli E Della Tripolitania, Rome, (8) 1968, P. 9

Brogan, O., "Round And About Misrata", The Society For Libyan Studies, 6 Th (9) Annual, 1974, 1975, P. 56.

وكانت أهم الأودية القديمة في منطقة الخليج، وديان سوق الجين والبي الكبير وزمزم⁽¹⁾ التي تعود إلى العصر البليستوسيني⁽²⁾ على الأرجح، وكان بعضها يصب في بحيرة ماكوماكا⁽³⁾، وقد شكّلت أهمية كبيرة في العصر الروماني نتيجة لانتشار بساتين الزيتون وأنظمة الري بها⁽⁴⁾.

وقد أشار المؤرخ استرابو إلى بعض السهول الخصبة بالقرب من خليج السرتيس⁽⁵⁾.

ثانياً: المرتفعات الشمالية:

تمتد المرتفعات⁽⁶⁾ في منطقة المدن الثلاث من تونس إلى مدينة لبدة الكبرى وقد أشار المؤرخ هيرودوت إلى أن قل الحسان (مسلاتة) كانت تغطيه الأشجار⁽⁷⁾، كما أكد بليني وجود الغابات على الجبل الغربي⁽⁸⁾.

ثالثاً: الهضبة الداخلية:

وهي تشمل منطقة واسعة من الصحراء⁽⁹⁾ تقع خلف الجبل مباشرة في

(1) Ibid. Pp. 56 FF

(2) يدل طول تلك الوديان واتساعها على أنها تكونت في ظروف مساحية تختلف عن السهول المعاصرة والمرجح أنها تكونت خلال العصر المطير في الزمن الجيولوجي الرابع، حول ذلك انظر

Haynes, E.L., Op. Cit., P. 13; Bates, O., Op. Cit., P. 3

(3) محمد المهدي، المرجع نفسه، ص 30 - 31

(4) إبراهيم أحمد رزقانة، المرجع نفسه، ص 107

Strabo, GeoG.,Xvii, 3 9

(5)

(6) يُلحق على المرتفعات الشمالية التي تمتد من تونس حتى الخمس، على مقربة من لبدة الكبرى.

بصفة عامة اسم الجبل ويبلغ طولها 500 كيلومتر، ومتوسط ارتفاعها 2000 قدم على مستوى سطح

البحر، وتنحدر نحو السهول الساحلية على شكل حواف شديدة الانحدار، وتنحدر تدريجياً نحو

الجنوب، وتحمل المرتفعات أسماء محلية ولعل أعلى قممها عند مدينة غريان، وتقطع المرتفعات عدة

أودية تختلف في طولها وتكوينها واتجاهاتها وأهميتها الاقتصادية، حول ما سبق ذكره انظر

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 13; Bates, O., Op. Cit., P. 2;

إبراهيم أحمد رزقانة، المرجع نفسه ص 3 ، 7

Herodotus, Iv, 175

(7)

Pliny, Nat. Hist., V. 4. 26.

(8)

(9) تشمل الهضبة الصحراوية منطقة الغبلة الواقعة مباشرة خلف الجبل وينخفض سطحها شيئاً عن

سطح بقية الصحراء الممتدة إلى الجسر منها وتشمل الهضبة القسم الأكبر من أحواض وديان =

الغرب، أما من ناحية الشرق؛ أي في منطقة السرتيس فإن الهضبة الصحراوية تتداخل مع السهول حتى البحر ومن الصعب التمييز بين الصحراء والسهول، وفي هذا الإطار يشير سالوست⁽¹⁾ إلى الصحارى التي تفصل لبدة الكبرى عن قوريني أما إذا توغلنا جنوباً فإن استرابو⁽²⁾ يذكر أن المنطقة الممتدة في الداخل أعلى سرت قاحلة وجافة ونادرة الحياة

المناخ والنبات:

يختلف المناخ من منطقة إلى أخرى في مناطق المدن الثلاث لأن السهول الساحلية تتأثر بمناخ البحر المتوسط في أغلب أجزائها⁽³⁾، خصوصاً المناطق الممتدة من بسيدة (سوكماش) إلى كيفالاي⁽⁴⁾ والتي يدخل وادي كينيس «وادي كعام» ضمن مناطقها فقد وصفته المصادر القديمة⁽⁵⁾ بأنه «أرض لإنتاج القمح في العالم ويتمتع بكمية كبيرة من الأمطار، إلا أن بعض السهول الساحلية

= زعم والبي الكبير وسوف الجبل المنحدرة مع اسجدار المنطقة نحو خليج سرت، وإلى الجنوب من القبلية توجد الحمادة وهي مناطق صخرية عظيمة الاتساع تشغل كل المنطقة الممتدة من القبلية في الشمال حتى الحافة الشمالية لحوض فزان ويتراوح ارتفاعها ما بين 1500 - 1700 قدم، وتعتبر من أفقر مناطق الصحراء في النبات والحيوان، كما أن العديد من المناطق القريبة من البحر تغطيها الصحارى والتي في مجموعها عبارة عن هضبة مترامية الأطراف ويرتفع سطحها كلما اتجهنا نحو الشمال تدريجياً، انظر

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 13; Bates, O., Op. Cit., P. 3;

عبدالعزیز طریح شرف، المرجع نفسه ص 84 ، 113 ، 124 ، 125

Salust, Bel. Jug., Lxxix.

(1)

Strabo, Geog., XVII 3. 20, 23

(2)

(3) تتأثر معظم المناطق الساحلية بمناخ البحر المتوسط، ويتراوح كمية الأمطار السنوية ما بين 100 -

400 مم وتتناقص الأمطار كلما بعدنا جنوباً، انظر إبراهيم زرقانة، نفس المرجع، ص 32، 40 - سالم

الحجاجي، «زراعة السحب في ليبيا» جامعة طرابلس، مجلة كلية التربية، العدد الرابع، 74 م ص

271 - عبدالعزیز طریح شرف، المرجع نفسه ص 203، 206 - محمد المهدي، المرجع نفسه، ص

63

Clachlan, K. M. "landed Property And Economic Change In Tripolitania" University Of Libya, Bulletin Of The Faculty Of Arts, Vol ii, 1968. P. 85; Blunsum, T, Op. Cit., P. 101.

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 14.

(4)

Herodotus, IV. 198; Plin, Nat. Hist., V. 5 27

(5)

لا تتمتع إلا بقدر ضئيل من الأمطار، مثل سهول سرت، فقد ذكر استرابون⁽¹⁾ أن كانتو حينما عبر منطقة سرت في طريقه إلى أفريقيا قسم جيشه المكون من عشرة آلاف رجل إلى عدة فرق بسبب ندرة المياه.

ويظهر أن المناطق الساحلية تلك والتي ليست بعيدة كثيراً عن الساحل تتميز بوجود المياه الجوفية⁽²⁾، أما المناطق الجبلية فهي أغزر أمطاراً من السهول بتأثير الرياح الشمالية الغربية⁽³⁾، ويرجح أن العديد من مناطق الجبل الغربي كانت تغطيها الأشجار منذ القدم وقد أكد هيرودوت⁽⁴⁾ وبليني⁽⁵⁾ واسترابون⁽⁶⁾ هذه الحقيقة. كما كانت العيون⁽⁷⁾ تمثل مصدراً آخر للمياه في منطقة الجبل مثل القرينات الغربية⁽⁸⁾، وتدل القنوات والسدود الموجودة حول هذه العيون على أنها كانت مستغلة في العصر الروماني⁽⁹⁾.

أما أمطار الهضبة الداخلية فهي قليلة⁽¹⁰⁾، ومع ذلك ازدهرت الحياة الزراعية

(1) Strabo, Geog. Xvii. 3. 20.

(2) Pliny, Nat. Hist., V 5.34.

(3) عبدالعزيز طريح شرف، المرجع نفسه، ص 207.

(4) Herodotus, iv 198.

(5) Pliny, Nat. Hist., V. 4. 26.

(6) Strabo, Geog., Xvii. 3. 18.

(7) شكلت العيون مصدراً رئيسياً للمياه وبخاصة في المنطقة الجبلية وأهمها عين الرومية قرب مدينة يفرن والتارك قرب غريان وعيون جادو، ومن العيون الأخرى الهامة عين ترهونة التي تدل آثار القنوات والسدود الموجودة حولها على الاستفادة منها. انظر

عبدالمعز طريح شرف، المرجع نفسه، ص 319، إبراهيم ريقانة المرجع نفسه ص 129، 130.

(8) Barker, G. w. w. and Jones, g.d.h., the unesco libyan valleys survey 1979 - 1981, li- byan studies, vol. 13, 1982, pp. 29 - 30.

(9) Brogan, o., roun. aboutmis., op. cit., pp. 36ff. Round About Misurata.

(10) تعتبر الأمطار التي تسقط على الهضبة الداخلية التي تضم منطقة القيلة والحمامة وبقية الأراضي

الصحراوية قليلة، معدلها لا يزيد عن 100مم وهي غير كافية للنشاط الزراعي إلا في الوديان الرئيسية مثل زمزم وسوف الجين والبي الكبير والتي اكدتها المطامير الأثرية في المنطقة انظر:

Rostovtzeff, M., The Social And Economic History Of The Roman Empire, Second Edition, Revised By Fraser. P. M . Oxford At The Clarendonpress, 1971, Vol. I, P. 335,

عبدالعزير طريح شرف، المرجع نفسه، ص 215، محمد المهدي، المرجع نفسه، ص 71، 76.

في بطون الاودية خصوصاً بساتين الزيتون والمزروعات الأخرى، كما يظهر في مستعمرة قرزة⁽¹⁾ وفي نظم الري المختلفة في تلك الاودية.⁽²⁾

وعلى العموم فإن أبرز مميزات المناخ في مناطق المدن الثلاث هي عدم الاستقرار الناشيء من تأثير عاملين متضادين البحر والصحراء مما أدى إلى عدم الانتظام في سقوط الأمطار⁽³⁾.

الحرارة:

بالرجوع إلى المصادر القديمة نلاحظ أن البلاد كانت شديدة الحرارة، حيث يقول أرسطو إن ليبيا رملية وخالية من الرطوبة⁽⁴⁾، كما يصف المؤرخ لوكان الرمل الذي يفصل بين لبدة الكبرى ومدن قوريني بأنسه ملتهب⁽⁵⁾، ويؤكد إميانوس ماركيلينوس على جفاف المنطقة⁽⁶⁾، أما هيرودوت فيصف المنطقة بالمناخ الحار⁽⁷⁾.

(1) تعتبر قرزة من أهم المستعمرات المحلية التي نشأت في أواخر العصر الروماني حيث سيطرت تلك المستعمرة على ملتقى مجموعة من الاودية والسهول التي اقيمت عليها العديد من السدود والمسالك. انظر

Brogan, O. And Smith, D. J., Ghurza Ali byan Settlement In The Roman Period Sec-
retariat Of Education Department Of Antiquities, Pub. By Dep. Of Antiq , Tripoli,
1984, PP. 33 - 39.

(2) ساعدت معدلات الأمطار على قيام الزراعة القديمة في المنطقة شبه الصحراوية مثل سوف الجين ومزدة والقربات الغربية والتي اكدتها البقايا الاثرية والتحليلات التي أجريت على بقايا النباتات، وقد وضحت تلك التحليلات أن الأمطار كانت توجه من مناطق أكثر أمطاراً إلى أرض الحراثة لأنه لم يوجد دليل مؤكد على اختلاف المناخ بين العصر الروماني والوقت الحاضر. انظر

Vander Veen, M., "The Unesco Libyan Valleys Surveyx, Botanical Evidence For
Ancient Farming In The Pre - Desert, Libyan Studies, Voi. 16, 1985 Pp 15ff.; Hunt,
C. O., Gale, S. J. And Gilbertson, D. D." The Unesco Libyan Valleys Survey IX:
Anhydrite And Limestone Karst In The Tripolitane Pre-desert Libyan Studies, Voi.
16. 1985, Pp 1 - 13.

Lucani, Bel. Civ., IX. 320; Haynes, E. L. , Op cit, p. 14: (3)

إبراهيم بركاتة، المرجع نفسه، ص 45؛ عبدالمعز طريخ شرف، المرجع نفسه ص 48، 51

(4) عبدالحسن بدوي (ليبيا في مؤلفات أرسطو) مجلة كلية الآداب، العدد الثالث 1969 م ، ص 134.

Lucani, Bel. civ., IX 525, IX 315. (5)

Ammanius Marcellinus, Xxi, 15 5, The Loeb Classical Library. (6)

Herodotus, Iv 251. (7)

وتتأثر درجة الحرارة في مناطق المدن الثلاث بعدة عوامل⁽¹⁾، ولذلك تميّزت المناطق الساحلية والمرتفعات باعتدال في درجة حرارتها⁽²⁾ بسبب قربها من البحر بالدرجة الأولى⁽³⁾.

أما مناطق الهضبة الداخلية وبعض المناطق الساحلية⁽⁴⁾ ففيها يختلط المناخ الصحراوي بمناخ البحر المتوسط ويزداد تأثير الصحراء ويقل تأثير البحر كلما بعدنا جنوباً⁽⁵⁾.

ورغم ارتفاع الحرارة في مناطق المدن الثلاث إلا أنها مناسبة لنمو أنواع عدة من الأشجار، حيث يشير لوكان إلى نمو الأشجار التي تدين بأصلها إلى نشأة محلية وأن الرمل والحرارة مناسبة لهذه الأشجار مثل الكروم والنخيل ونمو الحبوب⁽⁶⁾ أيضاً.

الرياح:

من أهم أنواع الرياح التي تهب على المنطقة الرياح التجارية الجافة⁽⁷⁾ والرياح الشمالية الغربية التي تسبب سقوط الأمطار⁽⁸⁾، أما رياح القبلي فتهب محملة بالرمال وفي هذا الإطار يورد هيرودوت قصة مفادها أن أفراد قبيلة البسولوي الليبية عندما جفت المياه من صهاريجهم ولم تعد هناك مياه في مواطنهم بمنطقة سرت ساروا نحو الجنوب حيث ردمتهم رياح قادمة من الجنوب وانقرضوا تماماً واستولى النماموسيين⁽⁹⁾ على منطقتهم وهذه القصة توضح مقدار ما كان

(1) تتأثر درجة الحرارة في المدن الثلاث على وجه العموم بالموقع الجغرافي بالنسبة لمحيطات الطول والعرض وبالنسبة للصحراء والبحر والتضاريس واتجاه الساحل.

(2) محمد المهدي، المرجع نفسه، ص 57 وما بعدها. عبدالعزیز طريخ شرف، المرجع نفسه، ص 173.

(3) Lucan, Bel. Civ., IX 315

(4) من أهم المناطق التي يختلط فيها المناخ الصحراوي والبحر المتوسط سهول سرت ومناطق جنوب سهل كيفالاي.

(5) عبدالعزیز طريخ شرف، المرجع نفسه، ص 172. إبراهيم رزقانة، المرجع نفسه، ص 43.

(6) Lucan, Bel. Civ., IX 430 - 435, 522 - 533

(7) عبدالعزیز طريخ شرف، المرجع نفسه، ص 186.

(8) Lucan, Bel. Cl., IX 415

(9) Herodotus, IV, 173.

يعانيه السكان من الرياح الجنوبية المحملة بالأتربة، وجفاف صهاريجهم يؤكد نقص المياه الذي كان يعانيه السكان في المنطقة كما سبق أن ذكرنا.

أما نهاية البسولي على هذا النحو فربما تكون من اختلاق النسامونيس الذين «على الأرجح» زحفوا على موطن البسولي لأنهم لم يكونوا في قوة النسامونيس وعلى ذلك فضلوا الانسحاب نحو الجنوب ولعل ما يؤكد ذلك استمرار وجود هذه القبيلة في المنطقة الجنوبية، إذ أشار بليني إلى مكان هذه القبيلة بين بحيرة لونكساما وبلاد الجرامنت⁽¹⁾، كما أكد استرابو وجود هذه القبيلة في الجنوب⁽²⁾.

وقد أكد لوكان على الأضرار التي تلحقها الرياح التي تهب من الجنوب⁽³⁾، وكان لرياح القبلي نتيجتين إحداهما سلبية وهي تدمير المحصول⁽⁴⁾ وإتلاف الكروم وزهر الزيتون⁽⁵⁾ أما النتيجة الإيجابية فتحصل عند هبوبها في موسم التمر، فهي تساعد على نضج البلح وغزارة محصوله⁽⁶⁾، وقد ذكر هيرودوت أن قبيلة النسامونيس تذهب إلى أوجلة في فصل الصيف لجمع التمر من أشجار النخيل التي تنمو هناك بكثرة⁽⁷⁾، وقد أكد بليني أن «دواخل أفريقيا حتى بلاد الجرامنت وكذلك الصحراء مكسوة بأشجار النخيل التي تتميز بكبر حجمها وقساوتها الحلوة المذاق الطيبة الرائحة»⁽⁸⁾ وكان تأثير رياح القبلي سلبياً في أغلب الأحيان على المدن الثلاث نتيجة عدم وجود جبال مرتفعة بدرجة كافية تفصل بين الصحراء والساحل⁽⁹⁾ وعدم وجود انحدارات تحولها إلى إعصار مصحوب بمطار⁽¹⁰⁾.

Pliny, Nat. Hist., V. 4.

Strabo, Geog., Xvii. 3. 23.

Lucani, Bel. Civ. ix. 445 - 455.

(4) تسبب الرياح الجنوبية تدمير المحاصيل في بعض الأحيان وبخاصة في المرحلة اللينة من مراحل نضج المحصول حيث تسبب ضعف المحصول وإذا هبت في فترة التلقيح تكثف على المحصول، انظر:

إبراهيم رزقانة، المرجع نفسه، ص 39

(5) إبراهيم رزقانة، المرجع نفسه، ص 39

(6) محمد المهدي، المرجع نفسه، ص 61 إبراهيم رزقانة، المرجع نفسه، ص 39

Herodotus, iv. 172

Pliny, Nat. Hist., Xiii. 32. 3.

Lucani Bel. Civ., ix 450; Haynes, E. L., Op. Cit., P. 14.

Lucani, Bel. Civ. ix. 450

الغابات

وكانت النباتات الطبيعية التي انتشرت في مناطق المدن الثلاث مرتبطة بسقوط الأمطار وكميتها حيث إن مناطق الجبل من أهم المناطق التي ساعدت على نمو النبات الطبيعي، كما يؤكد المؤرخون القدامى، فقد ذكر هيرودوت أن تل الحسان (مسلاتة) كان مكسواً بالأشجار⁽¹⁾، كما أشار استرابو إلى إحدى غابات الأشجار بأعلى رأس كيفالاي⁽²⁾، وأكد بليني على وجود غابات من الأشجار بالجبل الغربي⁽³⁾.

وكانت المناطق التي تحيط بالعيون وبخاصة في الجبل تغطيها النباتات الطبيعية والأشجار المرتفعة ومن أهمها مناطق العيون التي تحيط بترهونة⁽⁴⁾.

أما الأشجار التي لعبت دوراً كبيراً في الحياة الاقتصادية في المدن الثلاث وشكلت أحد العناصر الرئيسية في مصادر ثروته فهي كثيرة وقد تحدث المؤرخون القدامى عنها مؤكدين على دورها في غذاء السكان واعتماد الجيوش عليها في أحيان كثيرة وتنظيم القبائل لتنقلات موسمية من أجل جنيتها.

فقد تحدث لوكان عن الأشجار الخضراء الموجودة في ليبيا⁽⁵⁾، وتعتبر أشجار النخيل من أهم الأشجار التي لعبت دوراً هاماً في حياة القبائل الليبية وسكان المدن الساحلية فقد أكد بليني على انتشارها وعلى الصفات الجيدة التي تمتاز بها⁽⁶⁾، أما هيرودوت فقد ذكر أن قبائل النسامونيس يذهبون إلى أوجلة من أجل ثمار النخيل⁽⁷⁾ كما يؤكد بليني وغيره من المؤرخين على أهمية النخيل مضافاً إليها أشجاراً أخرى لا تقل أهمية عنها، أهمها أشجار اللوتس التي واستعملت في الغذاء ودخلت في عدة أغراض أخرى واعتمدت عليها الجيوش الرومانية في بعض الأحيان⁽⁸⁾.

(1) Herodotus, Iv 175

(2) Strabo Geog., Xvii 3 18

(3) Pliny, Nat. Hist. V Iv 26.

(4) هذا التعزيز عريق، المرجع نفسه، ص 319، إبراهيم رزقانة، المرجع نفسه، ص 130

(5) Lucani, Bel Civ., ix 520.

(6) Pliny, Nat. Hist., Xiii, 33.

(7) Herodotus, Iv 173.

(8) Pliny, Nat. His., Xiii, 32

ويعتبر الزيتون من الأشجار ذات المردود الاقتصادي الجيد على المدن الثلاث فقد أسهمت في صادراتها ودفع ضرائبها⁽¹⁾ وأشار المؤرخون القدامى⁽²⁾ من أمثال لوكان وبليني وإميانوس ماركيلينوس بأهمية الزيتون وانتشاره في المناطق المحيطة بالمدين الثلاث.

وإضافة إلى ما سبق ذكره من الأشجار توجد الكروم⁽³⁾ والفواكه الأخرى وبخاصة في العهد الفينيقي، كما لعبت الحبوب دوراً هاماً في النشاط الزراعي للسكان، وعلى وجه خاص القمح الذي أشار إليه قدماء المؤرخين⁽⁴⁾.

ومن خلال النشاط الزراعي الكبير الذي ازدهر في العصرين الفينيقي والروماني أوجد المؤرخون نقطة يدور حولها الجدل وهي إمكانية حصول تغيرات في الظروف المناخية وفي هذا الإطار انقسم المؤرخون إلى فريقين أحدهما يرى أن مناخ الصحراء الكبرى في تلك الفترة مشابه لما هو عليه الآن من الجفاف⁽⁵⁾، ويرى الفريق الثاني أن المنطقة كانت غزيرة الأمطار وأن حالة الجفاف التي تسودها في الوقت الحاضر ما هي إلا ظاهرة حديثة العهد نسبياً⁽⁶⁾.

ونظراً لهذا الاختلاف بين الباحثين⁽⁷⁾ فلا بد لنا من الرجوع إلى المصادر القديمة التي أشارت إلى أحوال البلاد المناخية في تلك الفترة والتي ذكرنا بعضاً منها فيما سبق، فقد ذكر هيرودوت الأشجار الكثيفة التي تغطي تل الحسان والينابيع والأمطار التي تغذي وادي كينيس⁽⁸⁾، كما تحدث استرابو عن الغابات في

(1) انظر الفصل الاقتصادي.

(2) Lucani, Bel. Civ., ix. 520; Pliny, Nat. Hist., Xii. 32. 104, Xv. 8. 33 - 34; Ammianus Marcellinus 13 - 15.

(3) Idem, Lucani, Bel. Civ., ix. 430 - 435. (3)

(4) Herodotus, iv. 198; Lucani Bel Civ ix 522 - 535. (4)

(5) Gautier, E. F. ; "Le Sahara", Collection Payot Paris, 1923, P. 47 (5)

(6) Krenkel, E. K., Geologie Africas, Erster Teil, Berlin, 1925, P. 48. (6)

(7) هناك اختلاف بين الباحثين في الأحوال السائدة خلال العصر الجيولوجي الثالث وإمكانية حدوث تغير في المنطقة منذ تلك الفترة حتى العصر الروماني وما بعده حول ما سبق ذكره انظر:

عبدالعزیز طریح شرق، المرجع نفسه، ص 19 - 20 - 98، 226.

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 13; General History Of Africa, Vol. II pp. 3, 5, 69, 84, 425FF.

Herodotus iv 175, 198. (8)

كيفالاي⁽¹⁾، وأكد بلييني على وجود أشجار النخيل واللوتس والزيتون⁽²⁾، كما تحدث
لوكان عن الأشجار الخضراء التي تغطي ليبيا⁽³⁾.

وبالنظر إلى ما أورده المؤرخون القدامى يمكن القول أن تلك المناطق
المشجرة كانت أغزر أمطاراً. وأنّ تسرب المياه وضياعها كانت أقل في تلك
الآزمنة⁽⁴⁾، ولكن تعميم هذا الرأي يصعب قبوله بالرجوع إلى أقوال المؤرخين
أنفسهم، فمثلاً هيرودوت بعد أن ذكر تل الحسان أردف قائلاً بأنها حالة استثنائية
في أرض قاحلة ليس بها أشجار⁽⁵⁾، كما أن سالوست يحدثنا عن الصحارى التي
تفصل لبدة الكبرى عن قوريني⁽⁶⁾، أما لوكان فقد تحدّث بشيء من المبالغة عن
المنطقة التي تفصل لبدة الكبرى عن قوريني ووصف المنطقة بالحرارة الملتهبة⁽⁷⁾،
وقد أكد استرابو أن المناطق الداخلية أعلى سرت قاحلة وجافة وتادرة المياه⁽⁸⁾.

وأكدت الدراسات التي أجرتها اليونسكو أثناء مسحها للأودية الليبية - ومن
خلال المادة المأخوذة من بعض الأودية - على أن المنطقة قبل بناء السدود الليبية
الرومانية لم تكن فيها اختلافات مدركة عن المناخ السائد الآن وربما كان المناخ
يختلف قليلاً في فترات أكثر قدماً من العهد الروماني إذ يرجّح أن المناخ كان أكثر
رطوبة⁽⁹⁾ مما هو عليه الآن.

وقد تحدّث هيرودوت عن استخدام الجرامنت للخيول والأبقار⁽¹⁰⁾، ويؤكد عدد

-
- (1) Strabo, Geog. Xvii 3 19
(2) Pliny, Nat., Hist., Xiii, 32 3. Xxii 32 104, Xv, 8, 33 - 34
(3) Lucan, Bel. Civ., ix, 520.
(4) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 15.
(5) Herodotus, iv 175
(6) Salust, Bel. Jig. Lxxix.
(7) Lucan, Bel. Civ., ix, 520.
(8) Strabo Geog., Xvii, 3, 20.
(9) Barker, G. W. W., Gilbertson, D. D., Griffin, C. M., Hayes, P. P. And Jones, D. A. "The Unesco Libyan Valleys Survey V. Sedimento Logical Properties Of Holocene Wadi Floor And Plateau Deposits In Tripolitania, North - West Libya" Libyan Studies, Vol. 14 1983, Pp 69 - 84. Jones, G. D. B. And Barker, G. W. W., "The Unesco Libyan Valleys Survey iv The 1981 Season" Libyan Studies, Vol. 14, 1983, P. 54.
(10) Herodotus, iv, 183

من الباحثين على أن المنطقة كانت مزدهرة بالإنسان وكثيفة بالأشجار والنبات أكثر مما هي عليه الآن⁽¹⁾.

ووجود تلك العناصر مجتمعة لا بد أن يرتبط بسقوط كمية أكبر من الأمطار في تلك الفترة.

وكانت الأكثرية من مناطق المدن الثلاث مزدهرة في العصر الروماني وتدلّ مخلفاتها في عدد من المناطق على أنها كانت حقولاً زراعية هامة وإنها استمرت كذلك حتى القرن الرابع عندما بدأت أحوال البلاد تتحول إلى حالة من التأخر والاضمحلال بلغت ذروتها في القرن السابع، وقد حاول بعض الكتاب نسبة ذلك للفتح العربي⁽²⁾، ولكن هذا القول لا يستند إلى الحقائق العلمية إذ يرجع عدد من الباحثين أن القرن السابع قد شهد بدء فترة جفاف قاسية في العديد من مناطق العالم⁽³⁾.

ويرى بعض الباحثين أن الكبريت من بين مصادر الثروة حيث كان يصدر من منطقة الخليج⁽⁴⁾، كذلك السمك والأرجوان الذي يصطاد من شواطئ المدن الثلاث⁽⁵⁾.

كانت تلك نبذة بسيطة عن جغرافية المدن الثلاث ومصادر الثروة فيها، حاولنا فيها جاهدين توضيح الأحوال المناخية التي سادت في العصر الروماني ودورها في النشاط الزراعي والنباتي والرعي.

Rebuffat, R., " Dix Ans Recherches Dans Le Pre-desert De Tripolitaïn Libya Antiqua, (1) Vol. Xiii - Xiv, 1976 - 1977, P. 87.

قسوزي فهدم جاد الله «بين ليبيا والسودان في العصور القديمة، مؤتمر الآثار العربية، الجامعة العربية، القاهرة، 1973م، ص 2

Julien Ch A Op. Cit P 14: (2)

عبد العزيز طريح شرف، المرجع نفسه، ص 229 - 230

Huntington, E , Civilisation And Climate, London, 1924, Pp. 315FF. (3)

Romanelli, P., La Cîrenaica Romana, Verbana, 1943, P. 29. (4)

Warmington, B. H., Cart., Op. Cit , P 63, Law, R. C., "The Garamantes And (5) Trans - Saharan Enterprise in Classical Times", The Journal Of African History, Cambridge At The University Press, 1967, Vol. Viii Nos. 1, 2, 3, P 187.

الفصل الثاني

أحوال المدن السياسية قبل الغزو الروماني

يعتبر الفينيقيون من أول الشعوب التي عرفت المنطقة الغربية من ليبيا، إذ بدأت السفن الفينيقية تتجه إلى الشواطئ الليبية منذ الألف الأول⁽¹⁾ ق.م نظراً لسوقها في طريق رحلاتهم المتجهة إلى إسبانيا مصدر المعادن في العصور القديمة⁽²⁾، وعندما أدرك الفينيقيون الأهمية الاقتصادية للساحل الليبي⁽³⁾، شرعوا في تأسيس مراكزهم التجارية حيث إنهم اختاروا مواقع هامة على الساحل أنشأوا

(1) Stanford Research Institute, Area Hand Book For Libya, Prepared For The American University, December, 1969, P. 21, Haynes, E. L., Op. Cit., P. 25; Department Of Antiquities, Historical And Archaeological Guide To Leptis Magna, 2nd Edition, Published By The Department Of Antiquities, Tripoli, 1981, P. 6, Bulugma, H., «Ethnic Elements in Western Coastal Zone of Tripolitania» "Field Studies In Libya, Research Papers Series No. 4 «1960» Department Of Geography Durham Colleges In The University Of Durham, P. 112;

مصطفى محمد فارس «الحياة الثقافية في ليبيا القديمة» مجلة البحوث التاريخية السنة السادسة، العدد الثاني، يوليو 1984م، ص 413.

(2) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 25

(3) Hamond, L. G. N. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 596, Haywood, R. M., Ancient Rome, David McKay Company, Inc., New York, 1967, P. 13;

محمد السيد غلاب ، الساحل الفينيقي وظهيره في الحفريات والتاريخ، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، 1969م، ص 484، محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية القديمة، الطبعة الأولى، دار المصراوي للطباعة والنشر، طرابلس، 1969م، ص 137

فيها تلك المراكز التي اكتسبت أهمية كبرى وشهرة عظيمة نتيجة للتبادل التجاري النشط⁽¹⁾، وقد دفعتهم إلى ذلك عدة عوامل في مقدمتها تعرض بلادهم للحصار والغزو من قبل الآشوريين⁽²⁾، والصراعات الداخلية⁽³⁾، إضافة للمطامع الاقتصادية⁽⁴⁾ التي شجعتهم للبحث عن موارد مالية، تجارية وزراعية وصناعية، وفتح أسواق جديدة أمام تجارتهم ومنتجاتهم الصناعية.

وكانت مدينة لبة الكبرى⁽⁵⁾ أهم المراكز التجارية التي أسسها الفينيقيون على الساحل الليبي، ويذكر سيلئوس⁽⁶⁾ أن تأسيسها قد تم على يد جماعة من صُور، ومع ذلك يشير سالوست أن المؤسسين كانوا من أهل صيدا الذين قرروا ترك أوطانهم بسبب نزاع داخلي وقدموا إلى المنطقة بين السرتيس الكبرى والصغرى⁽⁷⁾.

وإلى أن المؤسسين كانوا من أهل صُور على اعتبار أن مدينة صبراتة أسست من قبلهم، وربما لم يكن المؤرخون الرومان يميزون كثيراً بين أهل صور وأهل صيدا.

أما عن الزمن الذي تأسست فيه المدينة فهو غير محدد بدقة⁽⁸⁾، إذ ربما لم

(1) Menghi, A., Op. Cit., P. 4.

أحمد سعيد الفيتوري، ليبيا وتجارة الغرافل، الإدارة العامة للأثار، 1972م ص 8

(2) محمد السيد غلاب المرجع نفسه، ص 478 - 479

(3) Sallust, Bel. Jug., Lxxviii

(4) Hamond, L. G. N. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 596. Huywood, R. M., Op. Cit., P. 13.

(5) للمزيد عن تأسيس لبة الكبرى وأهميتها وإمكانية أن تكون مركزاً لقبيلة المكاي قبل تأسيسها من قبل الفينيقيين، انظر

Menghi, A., Op. Cit., Pp. 24. - 27; Warmington, B. H., "Sem. Mic Lib. Nor Afr.", Op. Cit., P. 167.

(6) Silus Italicus, Pon., III. 256.

(7) Sallust, bel. Jug., Lxxviii. Graham, A., Op. Cit., P. 6.

(8) يرجع بعض الباحثين أن لبة الكبرى أنشئت قبل عام 600 ق.م ولكنني لا أتعق معهم لسببين أولهما عدم ذكر هيرودوت للمدينة وثانيهما لم يُعثر على مكتشفات أثرية أقدم من القرن الخامس ق.م حول ذلك انظر

Hamond, L. G. N. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 596; Jenkins, G. K., "Some Ancient Coins of Libya", The Society For Libyan Studies, Fife Annual Report,

تُستوطن بصفة دائمة قبل أواخر القرن السادس بالنظر إلى ما ذكره هيرودوت من أن القرطاجيين والمكاي⁽¹⁾ قد طردوا داريوس من منطقة نهر كينيس⁽²⁾ «وادي كعام» ولم يتكر هيرودوت مدينة لبدة في حديثه، وهذا يعني أحد أمرين: إما أن المدينة في ذلك الوقت كانت صغيرة وغير ذات أهمية عند طرد داريوس ولم تساهم في ذلك أو أن المدينة لم تتأسس بعد، ومع ذلك فإن هذا الرأي الأخير يستند إلى بعض المكتشفات الأثرية التي عُثر عليها في المدينة والتي تؤرخ بعام 500 ق.م⁽³⁾.

وتعتبر مدينة صبراتة من المراكز الفينيقية الهامة⁽⁴⁾ بين السرتين الكبرى والصغرى ولقد قام بتأسيسها مهاجرون من صور⁽⁵⁾ «TYRIAN». أما عن تاريخ تأسيسها فهو غير معروف على وجه التحديد، إذ لم تذكرها المصادر القديمة قبل أواخر القرن الرابع ق.م ولكن من خلال المكتشفات الأثرية⁽⁶⁾ ربما أنشئت في القرن

1973 - 1974, P. 32; Boardman, J., The Greeks Dover Seas, Penguin, 1964, P. 222, Kenrick, Ph. M., Excavations At Sabratha 1948 - 1951, Society For The Promotion Of Roman Studies Journal Of Roman Studies Monograph No. 2, Britain, 1986, P. 275.

(1) كان المكاي من بين القبائل الليبية المقيمة على الساحل إلى الغرب من النمامونيس حيث امتدت منطقة استقرارهم إلى وادي كينيس، وكانت لهم حجرة موسمية إلى المناطق الداخلية عندما تشجع الماء في فصل الصيف على الساحل، انظر

Diodorus Of Sicily, iii, 49; Herodotus, iv, 175, Scylax, 109; Pliny, Nat. Hist., V 4; Ptolemy, iv, 4, 6.

Herodotus V 42, Perroud, C., De Syrtica Emporiss, P. 200. (2)

Warmington, B. H., Cart., Op. Cit., P. 62; Archeological News, Libya Antiqua, Vol. (3) Xi - Xu, 1975, P. 300.

(4) يدور الكثير من الجدل بين الباحثين حول اسم صبراتة واحتمال وجود مدينة أخرى في الداخل محمل نفس الاسم، حول ذلك انظر

Ward, Ph., Sabratha A Guide For Visitors, The Oleander Press Copyright, 1970, P. 19; Merighi, A., Op. Cit., Pp. 17 - 19.

Silius Italicus, Bon. It., 256. (5)

(6) من أهم الآثار الدالة على إنشاء صبراتة في العصر الفينيقي، أساسيات الجدران والغضار الإغريقية من القرن السادس وأوائل القرن الخامس، وقد بيّنت الاكتشافات الكثير من جدران المباني التي أنشئت في العصر الفينيقي ثم بُنيت عليها المباني الرومانية في منطقة سوق المدينة ومناطق أخرى. انظر

Kenrick, Ph., M., "Excavation At Sabratha 1948 - 1951," Libyan Studies, Vol 13, 1982, P. 58

السادس أو قبله بقليل⁽¹⁾.

أما مدينة أوبا⁽²⁾ فهي الثالثة مدن الساحل الليبي الهامة إذ شكّلت ميناء بحرياً يربط بين لبدّة وصبراتة ولا يُعرف تاريخ تأسيسها بالتحديد، ويرجع شأنها ليست أقدم من القرن الخامس⁽³⁾، ويذكر سيلبيوس بأن مؤسسها مهاجرون جاءوا من صقلية «ينتمون إلى أصل فينيقي ربما من صيدا» واختلطوا بالسكان الإفريقيين⁽⁴⁾.

ويرجع بعض الباحثين⁽⁵⁾ اشتراك الليبيين في تأسيس المدينة، وربما يكون هذا صحيحاً اعتماداً على قول سيلبيوس: إن المؤسسين قد اختلطوا بالإفريقيين.

إضافة للمدن الرئيسية السابق ذكرها، وجدت مراكز أخرى صغيرة تربط بين تلك المدن، مثل اساريا (قرية سعيد أو المايا) وفاكس⁽⁶⁾ «ربما تقع تحت الطوبية وهي واحدة بين الزاوية والمايا» وإلى الشرق من لبدّة توجد عدة مراكز أهمها كاراكس⁽⁷⁾، وحصن يوفرائتا⁽⁸⁾ «سرت الحالية»، ويمكن أن نعتبر مذابح الأخوين فيلايني من المواقع التي قامت بدور سياسي واقتصادي في العصر الفينيقي⁽⁹⁾، ويرى أحد الباحثين⁽¹⁰⁾ أن تصدير الكبريت من مستودعات موقتا⁽¹¹⁾ أعطى أهمية لمرفأ مذابح الأخوين فيلايني.

(1) اختلف الباحثون في تحديد تاريخ إنشاء مدينة صبراتة وإن كانت معظم التواريخ المذكورة تقع ما بين القرنين السابع والخامس، حول ذلك انظر

Warmingdon, B. H., Cart, Op. Cit., P. 63, Ward Ph., Sab., Op. Cit., P. 21; Kenrick, Ph. M., Excav. Sab., Prit., 1986, Pp. 50, 123, 128

(2) للمزيد عن اسم أوبا وتأسيسها انظر

Merighe, A. Op. Cit. P. 32

Jenkins, G. k., "Som. Anc. Coin Lib." Op. Cit., P. 32, Baker, T., "Archiological (3) News 1968 Tripolitania "Libya Antiqua Vol. 5, 1968, P. 199.

Silius Italicus, Bon., HL. 256 - 257; Scylax, 110. (4)

Warmingdon, B. H., Cart, Op. Cit., P. 63, Reynolds, J. And Wardperkins, J. B., In- (5) scription Of Roman Tripolitania, B. S. R., 1952, Pp. 63FF

Ward, Ph., Sab., Op. Cit., P. 16. (6)

Goodchild, R. G., "Med. Salt," Op. Cit., Pp. 99 - 101. (7)

Goodchild, R. G., Lib. Stud., Ed. Reynolds, J., Op. Cit., Pp. 163FF. (8)

Ibid PP. 155 FF. (9)

Ibid, PP. 167F (10)

(11) وهي منطقة تقع بين خليج السدرة ومذابح فيلايني وبوشيفة

وكانت جميع تلك المواقع في بدايتها عبارة عن مراكز تجارية تطوّر بعضها إلى مدن تمتلك العديد من المقومات الاقتصادية⁽¹⁾، وكانت «ولا شك» مرافئ جيدة على شاطئ، يمتاز بالقسوة⁽²⁾ في بعض المواضع آنذاك.

أما قرطاجة فقد كانت أكبر المدن الفينيقية على ساحل شمال أفريقيا، نشأت فيما بين 814 - 813 ق.م تقريباً، وفي 700 ق.م أصبحت على درجة كبيرة من القوة⁽³⁾ وبذلك حلّت محل بلاد الفينيقيين الأصلية التي اضمحلت تحت ضربات الآشوريين، وقد استغلت قرطاجة المطامع الإغريقية في السيطرة على غربي البحر المتوسط ونصبت من نفسها حامية للمستعمرات الفينيقية في هذه المنطقة⁽⁴⁾.

وعندما حاول اليونانيون السيطرة على جزء من الساحل الليبي الغربي وتأسيس مستعمرة يونانية على نهر كينيس في عام 514 ق.م⁽⁵⁾ بزعامة داريوس، ابن ملك إسبرطة، حيث نزلوا بالقرب من مصب الوادي وأسسوا مدينة باسمه، تمكّن القرطاجيون من طرده وتدمير مدينته بمساعدة قبيلة المكاي الليبية⁽⁶⁾ بعد

(1) Stan. Res. Inst., Op. Cit., P 21, Haynes, E. L., Op. Cit., P 25

(2) Hamond, L. G. N., And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 1094.

(3) Strabo, Geog., Xvii 3. 15, The Cambridge Ancient History, Ed. Bury, J. B., Cook, A. S. And Adcock, A. M., Vol III, Cambridge At The University Press, 1925, P. 649; Cary, M. And Scullard, H. H., A History Of Rome, Third Edition, 1975, P 116; Scullard H. H., A History Of The Roman World "From 753 - 146 B. C.," Third Edition, London, 1961, Pp. 133 - 134.

(4) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزء الأول، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، ص 245.

(5) اختلفت المراجع في تحديد تاريخ هذه الحملة إذ إن البعض يحددها بعام 520 ق.م ويحددها البعض الآخر بعام 517 ق.م ولكن الساري الغالب والذي أميل إليه، أن الحملة وقعت في 514 ق.م انظر

رجب عبد الحميد الأثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، الطبعة الثانية، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ص 126.

Abdelalim, M. .. K., " Libyan Nationalism And Foreign Rule In Graeco - Roman Times" Libya Antiqua, Printed In France, Unesco, 1986, P. 154.

Herodotus, V. 42; Goodchild, R G., Cyrene And Apollonia, Published By Dep. Of Antiquities 1970, P. 10.

محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981م، ص 75

مضي ثلاث سنوات من تأسيسها، ولا نعرف على وجه التحديد كيف تمكن داريوس من تأسيس مدينته دون معارضة من القبائل الليبية أو من القرطاجيين، ويبدو أن الإغريق قد تفاهموا مع الفينيقيين الذين سبقوهم إلى المنطقة ومع القبائل الليبية، أما قرطاجة فربما لن تغير الأمر اهتمام كبير في بدايته ولكنها أدركت في نهاية الأمر خطورة تسرب العناصر الإغريقية إلى هذه المنطقة التي تعتبرها من المناطق التابعة لنفوذها ولذلك بادرت في القضاء عليها⁽¹⁾.

ويظهر أن قرطاجة فرضت حمايتها على مناطق المدن الثلاث بعد هذا الحدث⁽²⁾، حيث أصبحت حريصة على الحيلولة دون وقوعها تحت النفوذ اليوناني ومنعت الرومان من ممارسة نشاطهم التجاري إلا تحت إشراف القرطاجيين ورقابتهم، كما جاء في بنود المعاهدة الأولى التي عُقدت بين الطرفين في أواخر القرن السادس⁽³⁾، والمعاهدة الثانية في 348 ق.م وقد نصت على أن الرومان لا يتاجرون ولا يؤسسون مدينة في المنطقة ولا يمكنون فترة أطول مما تتطلبه الحاجة لأخذ المؤن أو إصلاح سفنهم إذا لجأت هناك بسبب الضغط أو الخوف من الأعداء، أو بسبب سوء حالة الجو على أن يرحلوا في غضون خمسة أيام⁽⁴⁾.

وقد أورد بعض المؤرخين والباحثين⁽⁵⁾ تواريخ أخرى لهذه المعاهدات، ولكن يبقى ما ذكره بوليبيوس عن هذه المعاهدات أقرب للصواب لدليل اللغة العتيقة التي صيغت بها والفترة الزمنية الفاصلة بين المعاهدتين⁽⁶⁾.

أما عن سبب هذا الحظر من قبل قرطاجة على علاقات المدن الثلاث مع الدول الأخرى، فيرى بعض الباحثين أنه راجع لأسباب أمنية ودفاعية في بادئ

(1) Menghe, A., Op. Cit., P. 30.

(2) تحدد بعض المراجع تاريخ بداية السيطرة القرطاجية بعام 500 ق.م. حول ذلك انظر Graham, A. Op. Cit., PP. 6, 8 — 12; Merighi, A., Op. Cit., P. 29.

(3) Polybius, iii. 22, L. C. L. Cury, M. And Scullard, H. H., Op. Cit., PP. 55, 58, 116.

(4) Polybius, Hist., iii. 24. Warmington, Cart. Op. Cit., P. 48;

رشيد الماصوري، تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ج1، ص 241.
(5) Livy, vii. 28. 2, 38. 1; Diodorus Siculus, xvi. 69; Cambridge Ancient History Vol. (5) vii, Cambridge, 1928, Pp859FF.

(6) Polybius, Hist., iii. 22, 24.

الامر⁽¹⁾، ولكن هذا قد يكون سبباً ظاهرياً يحمل وراءه رغبة قرطاجية في السيطرة على تجارة المدن مع أواسط أفريقيا، وعدم السماح بوجود منافس تجاري لها في أفريقيا وفي غرب البحر المتوسط، ولعل ما يؤكد السيطرة القرطاجية على مناطق المدن الثلاث قيامها بتحديد مناطق الحدود فيما بين منتصف القرنين الرابع والخامس⁽²⁾ مع الإغريق المسيطرين على منطقة قوريني حسب ما أورده سالوست⁽³⁾.

وكانت قرطاج لا تسمح بالتجارة الإغريقية غرب مذابح الأخوين فيلايني⁽⁴⁾ ولعل ذلك راجع إلى خشيتها من امتداد السيطرة الإغريقية على مناطق المدن الثلاث التي تمثل أقصى امتداد لنفوذها نحو الشرق.

ويرجح أن البطالمة قد احتلوا جزءاً من المنطقة بالقرب من أيوفرانتا ساكوماس⁽⁵⁾ «سرت»، حيث يشير استرابو إلى أن الحدود بين القرطاجيين والبطالمة أصبحت عند هذه المنطقة⁽⁶⁾.

وكان للأحداث التي تدور في حوض البحر المتوسط أثرها على المدن الثلاث، حيث أن قرطاج كانت في صراع طويل مع الإغريق من أجل السيطرة على البحر المتوسط وجزيره خصوصاً صقلية، وفي هذا الإطار تحالف أجاثوكليس طاغية سيراكوزة مع أفيلاس حاكم قوريني البطلمي وينص هذا التحالف بأن يقدم أفيلاس مساعدات عسكرية إلى أجاثوكليس في حربه مع قرطاج مقابل أن يتنازل له عن حكم أفريقيا⁽⁷⁾ بعد الانتصار على قرطاج، ويحكم أجاثوكليس صقلية بعد طرد القرطاجيين منها، وتنفيذاً للمعاهدة أعد أفيلاس قوة عسكرية من عشرة آلاف جندي⁽⁸⁾ من المشاة وستمائة فارس⁽⁹⁾، وقد ساعد في إعداد تلك القوات جموع

(1) إبراهيم بصبي، ج 1 المرجع نفسه، ص 211.

(2) Merighi, A., Op. Cit., PP. 32 – 33.

(3) Sallust, Bel. Jug., Lxxix.

(4) Goodechild, R. G., Lib. Stud., Ed., Reynolds, J., Op. Cit., P. 167.

(5) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 28.

(6) Strabo, Geog., Xvii. 3, 20; Menghe, A., Op. Cit., P. 37.

(7) Diodorus Of Sicily, Xx. 40.

(8) محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع نفسه، ص 81.

(9) Merighe, A., Op. Cit., P. 42.

كبيرة من أثينا نتيجة لارتفاع أسعار اللحوم والقمح مما دفعهم إلى الهجرة إلى قورينى واستخدمهم أغيلاس في جيشه⁽¹⁾ الذي زحف به على إفريقية عبر المدن الثلاث والتي لا نعرف شيئاً مؤكداً عن مصيرها من جزاء تلك الكتلة البشرية الجائعة والتي أرجح بأنها قد تركت المدن الثلاث في أسوأ حال نظراً لحاجتها للمؤن والماء بعد عبورها منطقة سرت القاحلة التي بالضرورة قد استنفذت جميع ما تحمله هذه الكتلة البشرية الهائلة، ولا تعتقد بأن الحملة قد لاقى مقاومة من المدن الثلاث لسببين: أولهما كثرة أعداد الحملة⁽²⁾، وثانيهما وجود الحلفاء من الإغريق بالقرب من قرطاجة الذين سينجدون الحملة في حالة تعرضها للهجوم.

وانضمت قسوات أغيلاس التي تزيد عن عشرة آلاف مقاتل إلى جيش أجاثوكليس البالغ عدده أربعة عشر ألف جندي⁽³⁾، ولكن الوفاق لم يدم طويلاً بين الحليفين حيث قُتل أغيلاس في عام 308 ق.م على يد حليفه متهماً بإيذاء بخيافة التحالف⁽⁴⁾، واستغل أجاثوكليس الظروف السياسية التي تمر بها قرطاجة⁽⁵⁾، واحتل عدداً من المدن التابعة لها، عاد بعدها إلى سيراكوزة وبذلك أعطى القرطاجيين فرصة مناسبة لمهاجمة جيشه وهزيمته ولم تجد قرطاجة صعوبة بعد هذا الانتصار في عقد معاهدة «صلح» مع أجاثوكليس أنهت الحرب بينهما في عام 305 ق.م⁽⁶⁾.

ومن خلال الأحداث السابقة، نصل إلى نتيجة عامة وهي أن المدن الثلاث أصبحت تحت السيطرة القرطاجية الكاملة⁽⁷⁾، خصوصاً قبل منتصف القرن الثالث لأن قرطاجة بعد هذه الفترة تعرضت لحرب طاحنة⁽⁸⁾، ومن المسلم به أنها خففت من سيطرتها على المدن الثلاث كارهة⁽⁹⁾، ولعلّ مما يؤكد ذلك أن توسع المدن الليبية

(1) رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع نفسه، ص 48

(2) Merighe, A., Op. Cit., P. 43.

(3) محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع نفسه، ص 81.

(4) Diodorus Of Sicilis, XX, 42.

(5) كانت قرطاجة في تلك الفترة تمر بمشاكل داخلية، إذ أن بوميلقار أحد أفراد الطبقة الحاكمة كان يحاول الحصول على سلطة مطلقة، ولكنه قُتل قبل أن يتمكن من النجاح.

(6) محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع نفسه، ص 81

(7) Graham, A., Op. Cit., P. 6, Arcangelo, Ch., Tripolitania E Cirenaica, In a Edizione, (7) Milano - Bergamo, 1912, P. 33.

(8) خاضت الدولة القرطاجية في القرن الثالث حرب طاحنة ضد روما انتهت بتدميرها.

(9) C. A., Hist. Vol, VII, P. 682.

بشكل ملموس قد تم في النصف الأخير من القرن الثالث⁽¹⁾.

وقد ارتبط تاريخ المدن الثلاث بقرطاجة، وكانت مدينة لبدة على الأرجح عاصمة لها حيث أكد ليفيوس بأنها المدينة الرئيسية وأن قرطاجة فرضت عليها بالذات واحداً⁽²⁾، ويعتقد بعض الباحثين⁽³⁾ أنها كانت تؤلف منطقة إدارية واحدة، وربما كان لها مجلس عام يجتمع مرة واحدة كل عام، ومعلوماتنا عن أحوال المدن السياسية قبل العصر الروماني قليلة جداً حيث لم يرد ذكرها إلا في بعض المصادر الجغرافية، وقد أظهرت الاكتشافات الأثرية أن المدن الثلاث لم تتوسع بصورة ملموسة إلا في القرن الثالث⁽⁴⁾، وهذا راجع - بطبيعة الحال - إلى العزلة التي فرضتها قرطاجة عليها وفقاً للمعاهدات التي عقدها مع روما، والتي كان من شأنها احتكار قرطاجة لجميع عمليات الاستيراد والتصدير⁽⁵⁾، ونتيجة لهذه السياسة القرطاجية المبنية على إبعاد النفوذ الأجنبي عن المراكز التجارية، والرقابة الصارمة عليها، تمكنت قرطاجة لذلك من الاحتفاظ بسيادتها عليها لعدة قرون⁽⁶⁾.

وقد اتبعت قرطاجة أسلوباً ابتزازياً نحو المدن الثلاث عن طريق فرض الضرائب الباهظة والتي يقدرها المؤرخ ليفيوس⁽⁷⁾ بنحو ثلث⁽⁸⁾ يومياً على مدينة لبدة، التي كانت المركز الإداري والمالي للمدن الثلاث، وقد أثرت هذه الضريبة على تقدم المدن الاقتصادي والسياسي.

كما كانت المدن الثلاث ملزمة بتحمل أعباء الحروب التي تخوضها قرطاجة، عن طريق إمدادها بالفرق العسكرية⁽⁹⁾، مثال ذلك تجنيد حنيبعل في عام 219 -

(1) Kenrick, Ph. M., Excav. Sab. Prit, 1986, Pp 313 - 314.

(2) Livy, Xxxiv, 62. 3

(3) Menghe, A., Op Cit, P. 59; Warmington, B. H., "Sem. Mic. Lib. Nor. Afr." Op. Cit., P. 167.

(4) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 28.

(5) Julien, Ch. A., Op Cit P 81

(6) Merighe, A., Op. Cit, Pp. 49 - 50.

(7) Livy, Ix, Xxxiv, 62; Polybius, I. 82

(8) التالنت يساوي حوالي 230 جندياً إستراتيجياً

(9) Graham, A., Op. Cit., P. 6; C. A., Hist., Vol, VII, P. 682.

218 ق.م لأربعمئة وخمسين فارساً من المدن الفينيقية أثناء حربه مع روما⁽¹⁾، كذلك تمدها بالمؤمن وكان محظوراً عليها الاحتفاظ بقوات بحرية أو برية خاصة بها⁽²⁾، إضافة إلى ذلك كانت قرطاجة تحصل على العمال والبحارة من المدن الفينيقية⁽³⁾.

أما بخصوص الشؤون الداخلية فمن المرجح أن المدن الثلاث - تونس - بقسط من الحرية⁽⁴⁾، حيث ذكر سالوست أن أهل لبدة كانت لهم قوانينهم الخاصة⁽⁵⁾، التي احتفظوا بها لفترة طويلة، و... أن المدن الثلاث استخدمت لقب سوفيت «SUFETE» وهي كلمة فينيقية بمعنى قاضي، ورغم أن الدليل الوحيد على استخدامها قد جاء من نقوش تعود للفترة الرومانية⁽⁶⁾، ولكنه مستمد من دستور المدينة الأصلي الذي ربما يطابق دستور قرطاجة⁽⁷⁾، وتشير نقوش لبدة إلى صنف آخر من القضاة يسمى موهازيم⁽⁸⁾ «MUHAZIM» «بمعنى الجابي»، وترجع تلك الوظيفة إلى العصر الفينيقي على الأرجح. وكان من اختصاص هؤلاء المسؤولين تحصيل الغرامات، وتزويد الأسواق بالمعدات والأدوات وجمع الضرائب⁽⁹⁾، ويرجع وجود ... آخر يسمى سهم «SHUM» ويعتبر هذا القاضي مسؤولاً عن الزراعة⁽¹⁰⁾.

(1) Merighe, A., Op. Cit., P. 60.

(2) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 29; Dep. Antiq. Lep. Mag., Op. Cit., P. 10.

(3) شارل أندريه جوليان، تاريخ أفريقيا، ترجمة طلعت أبانقة، ص 47.

(4) يقترح بعض الباحثين وجود عدة أنظمة في المدن الثلاث مثل القضاة والجمعية الشعبية والمجلس البلدي ومجلس الشيوخ، حول هذه الأنظمة المقترحة، انظر:

Merighe, A., Op. Cit., P. 56.

(5) Sallust, Bel. Jug., LXXVIII.

(6) Warrington, B.H., "Sem, mig. Lib. Nor.Afr.", Op. Cit., P. 170.

(7) أظهر نقش بونيقي اسمين من القضاة المحليين وهما موكر وبلين، انظر

Jenkins, G. K., "Som, Anc. Coin. Lib. Trip.", Op. Cit., P. 34.

(8) للمزيد عن دستور قرطاجة، انظر

أبراهيم نصحي، ج 1 ص 248، وما بعدها.

(9) I. R. T., 599

(10) Elmayor, A. F., "The Reinterpretation Of Latin - Punic Inscriptions From Roman Tripolitania" Lib. Stud., Vol. 15, 1984, P. 93.

(11) Irt. No., 319; Elmayor, A. F., "Reint. Lat. Pun. Insc. Rom. Trip." Op. Cit., P. 93.

واستمر القرطاجيون مسيطرين على المدن الثلاث حتى اندلعت الحرب البونية⁽¹⁾ بينهم وبين الرومان نتيجة لأسباب متعددة لعل أهمها التنافس التجاري والسيطرة على البحر المتوسط⁽²⁾.

أما السبب المباشر للحرب فيدور حول السيطرة على مضيق ماسينسا⁽³⁾، وقد انقسمت الحرب إلى ثلاث مراحل رئيسية، كانت أولها قد استمرت من 264 - 241 ق.م حيث كانت نتائجها وخيمة على القرطاجيين، ولكنها لم تفقدهم السيطرة على جميع المستعمرات التي كانت في حوزتهم⁽⁴⁾، أما الحرب الثانية فقد استمرت من 218 - 202 ق.م وشهدت رحاساً مناطق متعددة والتقى فيها أعظم القواد⁽⁵⁾، وكانت نهايتها وبالأعلى قرطاجة التي خسرت معركة زاما عام 202 ق.م واضطرت إلى قبول الصلح⁽⁶⁾ الذي استغله حليفها ماسينيا⁽⁷⁾ لصالحه.

(1) لا نريد بذكرنا الحرب البونية أن نخوض في تفاصيل هذه الحرب ونتائجها، إنما نريد أن نلقي بعض الضوء عليها لنصل إلى أثر هذه الحرب على إقليم المدن الثلاث الذي نحن بصدد دراسته

Bulugma, H., Op Cit., P. 112

(2)

Cary, M. And Scullard H. H., Op. Cit., Pp. 116F; Ettore, R., Op Cit., P8.

(3)

(4) انقسمت الحرب الأولى إلى ثلاثة مراحل، ودارت رحاسها في عدة مناطق، وكانت جيل نتائجها في صالح الرومان الذين سيطروا على صقلية والجزر المجاورة لها ودفعوا قرطاجة 3200 تالنت، وألقت السيادة البحرية للرومان في غرب المتوسط، وقام المرتزقة في الجيش القرطاجي بالثورة على الدولة القرطاجية التي لم يبق أمامها إلا التوسع في أسبانيا وأفريقيا للمزيد من المعلومات عن ذلك، انظر Polybius, III. 22, 33 - 36, 67, 75 FF, Strabo, Geog., XVII 3. 15;

رشيد الناصوري، نفس المرجع، ص 244 - 254

(5) شهدت هذه الحرب أعظم قائدين في العصور القديمة وهما هانيبال وسكيبو ودارت رحى الحرب في إيطاليا وإفريقيا وصقلية، وانتهت بانتصار الرومان الذين فرضوا شروطاً قاسية للغاية على غريمهم قرطاجة، حول ذلك انظر

Livy, XXI. 2, XXII. 47; Strabo, Geog. XVII 3. 15, Polybius, II 13. 7

Law, R. C. C., Op. Cit., P. 190; Graham, A., Op. Cit., PP. 8 - 13,

(6)

إبراهيم نصحي، ح 1، المرجع نفسه، ص 269 - 288

(7) كان ماسينيسا يجمع إلى جانب موهبته القتالية حكمة سياسية كبيرة استطاع بها أن يتكون دولة قوية في أعقاب الحرب البونية الثانية وأن يهتم بالزراعة والتجارة ويبشر الثقالة الفنية في ربوع تلك الدولة، وكان يتطلع لقيام دولة تشمل ما يعرف اليوم بالجزائر وتونس والمدن الثلاث وأن تصبح قرطاجة عاصمة لها، صادق الرومان وأصبح حليفاً لهم وقدم لهم مساعدات فهمة في الحرب البونية الثانية كانت من أسباب نصرهم على قرطاجة بفضل قوة فرسانه وشجاعتهم ودرايتهم بطرق الحرب القرطاجية، لمعلومات أكثر حول ماسينيسا وسياسته تجاه قرطاجة وتغير موقف الرومان منه، انظر

ولا نعرف موقف المدن الثلاث أثناء هذه الحرب ولكن من المرجح أنها كانت في صف قرطاجة تدعمها بالرجال والمؤن باعتبارها خاضعة لها، ولعل ذكر سيلفيوس إسم صبراق وموقعة حربية بين الرومان والقرطاجيين⁽¹⁾ يشير إلى وصول الحرب إليها ويؤكد بعض الباحثين أن الرومان قاموا بحملة حربية بحرية على المدن الثلاث في عام 253 ق.م.⁽²⁾ ولعل في ذلك دليلاً على موقف المدن الثلاث من الحرب خصوصاً وأن حنيعل قام بتجنيد أربع مائة وخمسين فارساً من المدن الفينيقيّة أثناء الحرب الليونية الثانية⁽³⁾.

وطبقاً لشروط الصلح عمل الرومان على القضاء على قوة قرطاجة والحيولة دون استعادتها لنشاطها السابق، وذلك بتشجيع حليفهم وصديقهم ماسينيسا على توسيع حدود دولته على حساب ممتلكات قرطاجة، إذ استغل معاهدة 201 ق.م بين الرومان والقرطاجيين عقب معركة زاما، والتي تنص في أحد شروطها بأن ترد قرطاجة لماسينيسا جميع الممتلكات التي كانت في حوزته أو حوزة أسلافه⁽⁴⁾، وجاءت هذه العبارة الغامضة عن قصد من قبل الرومان ليتمكنوا من إثارة المشاكل بين قرطاجة وجيرانها في أي وقت يروق لهم، زد على ذلك أن قرطاجة كانت مقيدة بعدم القيام بحرب داخل أفريقيا أو خارجها بدون موافقة الرومان⁽⁵⁾، ولذلك استغل ماسينيسا هذين الشرطين إلى أقصى درجة ممكنة، لأنه كان يعتبر بقاء قرطاجة إلى جانبه كدولة مستقلة بمثابة شوكة وحائل بينه وبين تنفيذ مخطمعه في ضم المدن الثلاث⁽⁶⁾ لدولته، وعليه أخذ في تغذية شكوك الرومان ومخاوفهم من نشاط قرطاجة وعجل بالإغارة على الأراضي التابعة لها⁽⁷⁾، وأعد قواته لاحتلال المدن الثلاث، أما قرطاجة فكانت تتجنب المواجهة معه، وتكتفي بالشكوى إلى مجلس

Strabo, Geog., Viii. 173, 183., Xvii. 3. 15; Sallust, Bel. Jug, Cambridge Ancient History, Vol. ix, 1951, P. 116; Geddes, R. A., The Defens System In Libya During The I - Vi Centuries A. D., Port Land State University, 1978, P. 10;

إبراهيم نصحي، ج 1، ص 336 - رشيد القاسوري، المرجع نفسه، ص 270 - 272.

Silius Italicus, Bun., Xiv, 437. L. C. L. (1)

Cary, M., And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 119. (2)

Merighi, A., Op. Cit., P. 60. (3)

Polybius, Hist., 1. 3; Scullard, H. H., Op. Cit., P. 266; (4)

(5) أسد رستم عصر أغسطس قيصر وخلفائه، بيروت، 1961، ص 31.

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 32 (6)

(7) إبراهيم نصحي، ج 1، المرجع نفسه، ص 336

الشيوخ الروماني الذي عمل دائماً على إرسال اللجان التي تحقق في الأمر، وكانت أحكامها إما إلى جانب ماسينيسا أو تترك الأمر بدون الفصل فيه⁽¹⁾، وفي النصف الأول من القرن الثاني طلب ماسينيسا من قرطاجة السماح له بالممرور عبر المدن الثلاث بحجة ملاحقة أحد الثائرين على حكمه الذي فر إلى قوريني وأدركت قرطاجة ما يرمي إليه ولذلك رفضت هذا الطلب فلم يكن من ماسينيسا إلا الإسراع بالدخول إلى منطقة المدن الثلاث بالقوة وسيطر على سهل الجفارة⁽²⁾، ولكن قرطاجة تمكنت من الدفاع عنه وعجز ماسينيسا في الاستيلاء عليه⁽³⁾.

وفي غضون ذلك أرسلت قرطاجة وفداً لتوضيح موقفها وللشكوى من ماسينيسا الذي أسرع بإرسال مبعوثين لشراء ذمم بعض الرومان⁽⁴⁾. وبعد جهد كبير اقتنع مجلس الشيوخ الروماني بضرورة إرسال لجنة تحقيق على رأسها كاتو الكبير حوالي عام 153 ق.م، والتي قفلت راجعة إلى روما تاركة المشكلة معلقة بدون حل⁽⁵⁾ ثم أرسلت لجنة أخرى قررت تسليم المدن الثلاث لماسينيسا ودفع تعويض قدره 500 تالنت لماسينيسا لاحتفاظ قرطاجة بهذه المدن دون وجه حق⁽⁶⁾.

ومنذ ذلك الوقت انتقلت المدن الثلاث من السيطرة القرطاجية إلى السيطرة النوميدية واهتم ماسينيسا بشؤونها كسائر اهتماماته ببقية دولته⁽⁷⁾.

ولكن في هذه الأثناء بدأت المخاوف تساور روما فيما إذا نجح ماسينيسا في السيطرة على قرطاجة بعد سيطرته على المدن الثلاث لأنه سيشكل خطراً لا يقل عن خطر قرطاجة على الرومان ومن هنا طرأ التبدل في الموقف الروماني اتجاه حليفهم ماسينيسا⁽⁸⁾ الذي استفز قرطاجة وأجبرها على الدخول معه في حرب خاسرة بجيش غير مدرب تمكن من هزيمته⁽⁹⁾.

(1) Scullard, H. H. , Op. Cit. , P. 330

(2) Polybius, Xxx; Livy, IX, Xxxiv, 62; Law, R. C. C. , Op. Cit. , P. 190

(3) Haynes, E. L. , Op. Cit. , P. 32, blensum, T., Op. Cit. , P. 86.

(4) Livy, IX, xxxiv, 62.

(5) Scullard, H. H. , OP, Cit. , P. 300

(6) Julien, Ch. A. , Op. Cit. , P. 81; Dep. Antiq. Lep. mag., P. 12;

(7) هانس فايس، الصحراء الكبرى في ضوء التاريخ، ترجمة مكابيل محرز، الصحراء الكبرى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1979م ص 169

(8) Gedde, R. A. , Op. Cit. , 10; Bulugma, H., Op. Cit. , P. 12.

(9) Scullard, H. H. , Op. Cit. , P. 300, Dep. Antig. Lep. Mag. , Op. Cit. , P. 12.

ولأن قرطاجة قد أعلنت الحرب⁽¹⁾ على ماسينيسا بدون أخذ موافقة روما فقد وجد الرومان الفرصة المناسبة التي يبحثون عنها ليسبقوا خليغهم ماسينيسا في الاستيلاء على قرطاجة بدعوى أنها خرقت معاهدة عام 201 ق.م.⁽²⁾

أعلن الرومان الحرب البونيقية الثالثة⁽³⁾ على قرطاجة رغم أنها بالفت في الخضوع والطاعة خشية الحرب⁽⁴⁾، ولكن هذا لم يمنع الرومان من إعلان الحرب على قرطاجة، حيث استمرت الحرب لمدة ثلاث سنوات من 149 - 146 ق.م.⁽⁵⁾ دافعت فيها قرطاجة بكل غالٍ ورخيص، ومع ذلك تمكن الرومان من تدميرها وتسويتها بالأرض⁽⁶⁾، وباعوا خمسين ألفاً من سكانها في سوق النخاسة، وحوّلوها إلى ولاية رومانية أطلقوا عليها ولاية أفريقية⁽⁷⁾.

ويتدمير قرطاجة في 146 ق.م. انتهت الحرب البونيقية⁽⁸⁾، التي فتحت المجال أمام الاستعمار الروماني إلى أفريقية، وفي أثناء الحرب البونيقية الثالثة تسوفي

-
- (1) أعلنت قرطاجة الحرب ضد ماسينيسا بعد أن جردها من إقليم طرابلس، بل تدخل في الشؤون الداخلية لقرطاجة عندما حاول أن يفرض اشخاصاً مواليين له داخل الحكومة القرطاجية. انظر إبراهيم نصحي، ج 1، المرجع نفسه، ص 338؛ وشيد الناصري، المرجع نفسه، ص 277.
- (2) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 32; Dep. Antig. Lep. Mag., Op. Cit., P. 12.
- (3) لم اتسائل هذه الحرب بالتفصيل لأنه لا تسمع المجال لذلك، وإنما اشرت إليها لربط الأحداث السياسية، إذ ثم اتطرق لأسبابها وفادتها وعوامل النصر والهزيمة فيها، عن هذه الأمور، انظر Polybius Hist., V. Romanelli, P. Storia Delle Province Romane Dell Africa, Roma, 1959, Pp. 22FF.
- (4) عندما أدركت قرطاجة أنها خرقت معاهدة الصلح مع الرومان بحربها لماسينيسا، قامت بعدة أعمال كان القصد منها خنق يد الرومان ومنع انتقامهم، من ذلك أعلنت عن عزمها إعدام القادة العسكريين الذين قادوا الحرب، وأرسلت بعثة سياسية إلى روما تلاماً إعلان قرطاجة عن استسلامها بدون قيد أو شرط، وسلمت أسلحتها وثلاثمائة من أبناء سنائها كرهائن لدى الرومان، ومع ذلك أعلن الرومان عن نيهم في تدمير قرطاجة انظر Strabo, Geog., XVII. 3, 15, Cary, M. and Scullard, H. H., Op. Cit., P. 158;
- إبراهيم نصحي، ج 1، المرجع نفسه، ص 338 - 339.
- (5) Warmington, B. H., Cart., Op. Cit., Pp. 223 - 237; Ettore, R., Op. Cit., P. 8.
- (6) Soames, J., The Coast Of Barbary, First Published, 1938, London, P. 22.
- (7) Ogrizer, D., The World In Colour: North Africa, Translation, Rowan, D., Publishing Company Ltd., Newyork, London, Toronto, P. 40.
- (8) تعددت مراحل ومسارح الحرب البونيقية وتحللها الكثير من الممارك والمعاهدات والنتائج والمفاجات، وإن كانت معظم النتائج في صالح الرومان رغم ما بذله القرطاجيون من جهد انظر:

ماسينيسا⁽¹⁾ في 148 ق.م وتدخل الرومان⁽²⁾ في تقسيم دولته بين أبنائه الثلاثة⁽³⁾، ثم أعاد توحيدها ابنه مكيبسا «MICPSA» الذي تخلى عن سياسة أبيه التوسعية، واستمر في تشجيع طرق الحياة المستقرة والاهتمام بشؤون دولته⁽⁴⁾.

ويرجع أن المدن الثلاث تمتعت بحرية نسبية تحت الحكم النوميدي، فعلى الرغم من استمرارها في دفع الضرائب التي كانت تدفعها لقرطاجة⁽⁵⁾، إلا أن شؤون الحكم الداخلية قد تركت في أيدي سكان المدن⁽⁶⁾، فكان لها الحرية في الأخذ بأنظمة تطابق القوانين والعادات الفينيقية، ويعمل سالوست هذا التساهل من طرف الحكومة النوميدي أنه راجع إلى بُعد المسافة بين المدن الثلاث وكبرتا «CIRTA» عاصمة الدولة النوميديّة⁽⁷⁾، وهي على الأرجح سياسة مقصودة من قبل مكيبسا قصد من ورائها عدم إثارة الاضطراب في تلك المراكز البعيدة المتشعبة بالحضارة الفينيقية⁽⁸⁾.

والاستفادة الهامة التي حصلت عليها المدن الثلاث إبان الحكم النوميدي هو خروجها من العزلة التي فرضها القرطاجيون عليها حيث أ - ذات علاقات تجارية⁽⁹⁾ مع روما وعدد من المناطق الأخرى.

وخلال العهد النوميدي بدأ يتسرب إلى المدن الثلاث النفوذ الروماني عن

Dios, Roman History, I - II, Leob Classical Library, Mcmlii, Remains Of Old Latin, Iv, Archie In Scriptions; Sextus Julius Frontinus, Iuli Frontini Strtegematon, I - Iv; Warmington, B. H., " The Carthaginian Period" General History Of Africa, II Ancient Civilisations Of Africa, Unesco, 1981 Pp. 456ff

Cary, M., And Seullard, H. H., Op. Cit., P. 149; Geddeda, R. A., Op Cit , P 10. (1)

(2) رشيد الناصوري، المرجع نفسه، ص 280، شارل أندريه جوثيان، المرجع نفسه، ص 52

(3) كان لماسينيسا ثلاثة أبناء شوعيين وهم مكيبسا ملكاً وجولوسا رئيس الإدارة الحربية وماسقانبيا رئيساً للإدارة القضائية. للمزيد انظر:

Appian, 106; Sallust, Bel. Jug., V, C. A. Hist. Vol. Ix, P. 117.

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 32; Dep. Antig. Lep. Mag , Op. Cit., P. 13. (4)

(5) عبد القادر جفلول، مقدمات في تاريخ المغرب الكبير القديم والوسيطة، «ترجمة فصيل الحكيم» المطبعة الأولى، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1982م، ص 13

(6) عبد القادر جفلول، المرجع نفسه، ص 13

Sallust, Bel - Jug., Lxxviii; Dep. Antig. Lep. Mag., Op. Cit , P. 13. (7)

(8) إبراهيم نصحي، ج 1، المرجع نفسه، ص 341.

Haynes, E. I , Op. Cit., P. 33, Dep. Antig. Lep. Mag., Op. Cit., P. 13. (9)

طوبى أصحاب رؤوس الأموال مثل هيرينيوس⁽¹⁾ الذي استقر في لبدة الكبرى في أواخر القرن الثاني⁽²⁾، واستمرت المدن الثلاث خاضعة لنوميديا وتمتعة بحرية نسبية⁽³⁾ حتى حرب يوجرتا ضد روما.

وقد علمنا فيما سبق أن الرومان تدخلوا في تقسيم المملكة النوميديية بين أبناء ماسينيسا الثلاثة الشرعيين، وعند وفاة اثنين من هؤلاء الأخوة ألت سلطة المملكة النوميديية إلى مكيبسا⁽⁴⁾ الذي اتجه إلى تقليد ولديه أدهريال وهياميسال مقاليد الحكم⁽⁵⁾ ولكنه كان يخشى عليهما من ابن أخيه يوجرتا⁽⁶⁾، لهذا السبب أرسله على رأس القوة العسكرية التي أسهمت بها نوميديا إلى جانب الرومان في إسبانيا عام 134 ق.م على أمل أن يقضي نحبه هناك⁽⁷⁾.

ولكن يوجرتا عاد إلى نوميديا بعد أن كسب ثقة الرومان وتقديرهم لخدماته الجليلة⁽⁸⁾ وفي ذات الوقت يحمل أطماعه الخاصة في أن يكون ملكاً على نوميديا⁽⁹⁾، ولذلك اضطر مكيبسا إلى الاعتراف به أميراً محاولاً التوفيق بينه وبين أبنائه⁽¹⁰⁾، إذ يرجح أنه في الفترة ما بين 121 - 118 ق.م تبني الملك مكيبسا ابن أخيه⁽¹¹⁾ اعتقاداً منه أن هذه هي الطريقة المثلى لكسب يوجرتا وتأمين مستقبل ولديه في تولي الحكم من بعده، ولذا أوصى بأن يخلفه في الحكم أبناء الشرعيين أدهريال وهياميسال وابنه بالتبني يوجرتا الذي كسب بهذا الإجراء حقاً شرعياً في تولي

(1) كان هيرينيوس أحد الثمار الرومان الذين استقروا في لبدة الكبرى قبل الاحتلال الروماني

(2) Graham, A., Op. Cit., P. 13, Haynes, E. L., Op. Cit., P. 33.

(3) Hamond, L. G. N. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 1094.

(4) Sallust, Bel. Jug., Cary, M. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 214.

(5) Graham, A., Op. Cit., P. 15

(6) كان يوجرتا ابن غير شرعي لمستعبد شقيق مكيبسا، وكان يتصف بسعة الحيلة وشدة الذكاء وقوة

الشخصية والشجاعة، يهوى المخاطرة، وكان طموحه أن يكون دولة قوية هي نوميديا. حول يوجرتا،

انظر

Sallust, Bel. Jug., VII - VIII, Warmington, B. H., "Cart. Per.", Op. Cit., P461

Sallust, Bel. Jug., VI - VII; Cary M. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 214 (7)

Sallust, Bel. Jug., VII - IX. (8)

Sallust, Bel. Jug., VII - VIII. (9)

C. A. Hist., Vol. IX, P. 117. (10)

Sallust, Bel. Jug., XI. (11)

الحكم⁽¹⁾، وبوفاة مكيسا عام 118 اختلف ورثته الثلاثة في تقسيم الحكم بينهم⁽²⁾، وانتَهز يوجرتا هذه الفرصة وأخذ يعمل بجد في تحقيق أطماعه بطرق مختلفة مستخدماً المؤامرات تارة والرشوة⁽³⁾ تارة أخرى، إذ يرجع بأنه دبر مؤامرة مقتل ابن عمه هيامبسال في 117 ق.م⁽⁴⁾ ولذلك قام أهربال بخطوتين: أولهما أرسل مبعوثيه إلى روما لإبلاغهم بمصير أخيه⁽⁵⁾، والخطوة الثانية استعد لمواجهة يوجرتا ولكن هُزم في اللقاء وهرب إلى روما⁽⁶⁾ لعرض قضيته على مجلس الشيوخ الروماني، ورغم أن يوجرتا يعتبر المعتدي ولكن هذا المجلس اتخذ موقفاً وسطاً نظراً للرشاوى التي وزعتها بعثة يوجرتا على بعض أعضاء مجلس الشيوخ⁽⁷⁾، ونظراً للخدمات المربية⁽⁸⁾ التي سبق وأن أداها يوجرتا للرومان في نومانتييا⁽⁹⁾ ففي إسمانياء لذلك قرر مجلس الشيوخ الروماني إرسال لجنة⁽¹⁰⁾ قسّمت المملكة بين المتخاصمين، حيث حصل يوجرتا على القسم الغربي وأدهربال حصل على القسم الشرقي مع المدن الثلاث⁽¹¹⁾

ولما كان هذا التقسيم لا يتماشى مع سياسة يوجرتا التوسعية التوحيدية، لذا قام بالإغارة على إحدى مناطق خصمه لجره على المواجهة⁽¹²⁾، وعندما فشلت تلك الخطة اتجه لتحقيق هدفه بالهجوم المباشر حيث دارت بينه وبين أدهربال معركة

- (1) Livy. Epit., 62; C. A. Hist., Vol., ix, P. 117.
- (2) Robinson, C. E., History Of Rome. Methuen And Ltd., London, 1966, P. 131
- (3) إبراهيم نصحي، ج 2، المرجع نفسه، ص 170 - 171
- (4) Livy Epit., 62; Sallust. Bel. Jug., Xxi, Xxviii.
- (5) C. A. Hist., Vol. ix, P. 117; Haynes, E. L., Op. Cit., P. 33.
- (6) Sallust, Bel. Jug., Xlii, Cary, M. And Scullard, Op. Cit., P. 214.
- (7) Sallust, Bel. Jug., Xlii.
- (8) محمد الجراري، الاستيطان الروماني في ليبيا الاستعمار الاستيطاني الإيطالي في ليبيا منشورات جامعة الفاتح مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1984، ص 25.
- (9) انظر من هذا الفصل ص 46.
- (10) Sallust, Bel. Jug., Viii - ix; Robinson, C. E., Op. Cit., P. 131.
- (11) كانت هذه اللجنة بقيادة ل. أوبيميوس للمزيد عن هذه اللجنة وعن الرشاوى التي استلمها بعض أعضائها من يوجرتا ليخضموه بأفضل قسم من المملكة، انظر Sallust, Bel. Jug., Xv - Xvi; Cary, M. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 214.
- (12) Warmington, B. H., " Cart. Per. " Op. Cit., P. 461.
- (13) Sallust, Bel. Jug., Xlii.

تمكّن من الانتصار فيها، وانسحب أدهريال متحصناً بعاصمته سرتا ومعتمداً على دعم التجار الرومان المقيمين بها⁽¹⁾.

وقبل أن ينجح يوجرتا في دخول سرتا عنوة أرسل الرومان بعثة لحل المشكلة ولكنها رجعت بدون نتيجة⁽²⁾، وتمكّنت قوات يوجرتا من دخول المدينة التي فتحت أبوابها وقتل أدهريال وعدد كبير من المدافعين عن المدينة وعدد آخر من التجار الرومان الذين وجد بحوزتهم سلاح⁽³⁾.

ويبدو أن موقف يوجرتا المعادي من التجار الرومان في سرتا يرجع إلى مساندة أولئك التجار ودعمهم لأدهريال «كما سبق ذكره» ويعتبر ما قام به يوجرتا دليلاً على استهتاره بروما واعتقاده أن في وسعه شراء ذمم الرومان أصحاب النفوذ، ولمّا علم الرومان بما حدث ونتيجة لضغط الرأي العام الروماني، اضطر مجلس الشيوخ إلى إعلان الحرب على يوجرتا،⁽⁴⁾ الذي حاول تداركها بإرسال بعثة⁽⁵⁾ إلى روما ولكنها فشلت في مهمتها⁽⁶⁾.

باشمّر القنصل الروماني ل. كالمورتيوس بسنيا⁽⁷⁾ LUCIUS CALPURNIUS «PESTIA» في عام 111 حملته ضد يوجرتا التي بدأت ناجحة⁽⁸⁾ وانتهت بعقد صلح بين يوجرتا وبستيا⁽⁹⁾.

ورغم استمرار الحرب لم يتمكّن الرومان من إحراز انتصار حاسم على

(1) Ibid, Xxi, Xxv, Xxvi, Graham, A., Op. Cit., P. 132.

(2) Sallust, Bel. Jug., Xx - Xxv; Robenson, C. E., Op. Cit., P. 132.

(3) Sallust, Bel. Jug., Xxvi; Strabo Geog., Xvii, 3.

(4) لا نريد الخوض في تفاصيل هذه الحرب، ونكتفي بإعطاء فكرة عامة من أحداثها، لأنها كانت السبب المباشر لوقوع المدن الثلاث تحت السيطرة الرومانية منذ تلك الفترة المبكرة.

(5) أرسل يوجرتا بعثة إلى روما تتكون من ابنه مع اثنين من أصدقائه حتى يحول دون وقوع الحرب.

(6) Sallust, Bel. Jug., Xxviii; Haynes, E. L., Op. Cit., P. 33.

(7) عند إجراء القرعة بين القنصلين المنتخبين عام 111م أصبحت نوميديا من نصيب القنصل لوقيوس كالمورتيوس بستيا، حول ذلك انظر

Sallust, Bel. Jug., Xxvii.

(8) Ibid, Xxviii; Cary, M. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 214.

(9) كانت شروط الصلح أن يدفع يوجرتا للرومان ثلاثين فيلاً وكثيراً من الماشية والخيول والفضة، انظر Sallust, Bel. Jug., Xxix; C. A. Hist., Vol. ix, P. 119.

يوجرتا نظراً لأسلوب المراوغة الذي استخدمه يوجرتا وعدم دخوله مع الرومان في معارك كبيرة فاصلة⁽¹⁾.

ومع استمرار الصراع واصل الرومان تغيير قادتهم في محاولة للقضاء على يوجرتا، ولكنه تمكن في كثير من الأحيان من التضيق عليهم كمحاصرتهم لقوات القائد الروماني أولوس البينوس التي انتهت بفرض معاهدة مهينة عليه⁽²⁾.

وفي عام 109 تولى قيادة الجيوش الرومانية كوينتوس كايغيليوس متلوس يساعده عدد من القادة الآخرين، وقد أعاد تدريب جيشه ووزعه في الكثير من المناطق متتبعاً قوات يوجرتا، ونجح في الاشتباك معه في معركة ناجحة⁽³⁾، وحاول يوجرتا عقد الصلح مع القائد الروماني ولكنه فشل في ذلك⁽⁴⁾، ورأى الرومان بعد انتصارهم الأخير ضرورة تغيير طريقة القتال مع خصمهم وذلك بتخريب الأراضي الزراعية الخصبة وحرمان العدو من قواعده التي يعتمد عليها⁽⁵⁾.

واستمرت المناوشات بين الطرفين دون نتيجة حاسمة وحاصر متلوس شالا وفتحها باعتبارها مدينة هامة⁽⁶⁾، وفي هذه الأثناء أرسلت لبدة الكبرى بعثة إلى متلوس تناشده إرسال قوة عسكرية للقضاء على التدابير التي يقوم بها أحد مؤيدي يوجرتا يسمى اميلقار لإشعال الثورة في المدينة. ويضيف سالوست بأن لبدة في بداية الحرب مع يوجرتا طلبت التحالف مع الرومان وعقدت معاهدة صداقة معهم، وكانت لبدة وغبة لهذه المعاهدة⁽⁷⁾.

وربما حصلت أويا وصبراتة على معاهدة مماثلة أو أن هذا التحالف مع لبدة كان يشمل المدينتين الأخريين حيث يرجح أن لبدة كانت المركز الإداري للمدن الثلاث⁽⁸⁾، ولما كان طلب لبدة يساهم في المعركة ضد يوجرتا فقد وجد هوى في نفوس الرومان الذين أرسلوا أربع فرق لأجورية بقيادة جايوس أنيوس⁽⁹⁾.

(1) Sallust, Bel. Jug., Xxvi.

(2) Sallust, Bel. Jug., Xxxvii - Xxxviii.

(3) Sallust, Bel. Jug., Xlmi - Xlv.

(4) بدل يوجرتا عدة محاولات لعقد الصلح مع الرومان، للمزيد انظر

Ibid, Xlvi - Xlviii, Lxi, C. A. Hist., Vol. ix, P. 131

(5) Sallust, Bel. Jug., Xliii - Lxii; Robenson, C. E., Op. Cit., P. 133

(6) Sallust Bel. Jug. Lxvi - Lxxvi.

(7) Sallust, Bel. Jug., Lxxvii, Ettore, R., Op. Cit., P. 11

(8) Livy, Xxxiv, 62. 3; Merighi, A., Op. Cit., P. 59.

(9) Sallust, Bel. Jug., Lxxvii, C. A. Hist. Vol. ix, P. 130.

وقد اعتمد يوجرتا في تجديد قوة مقاتليه بعد الانسحاب من مدينة ثالا على قبائل الجايتولي والتحالف مع ملك موريتانيا باخوس⁽¹⁾، أما في الجانب الروماني فقد أسندت القيادة إلى ماريوس الذي قام بحشد قوات كثيرة⁽²⁾ استطاع أن يستولي بها على الكثير من المناطق والمدن أهمها كابسا⁽³⁾ «CAPSA» وقلعة في وادي نهر مولوقا⁽⁴⁾، واستمرت العمليات العسكرية بين الطرفين⁽⁵⁾ دون نتيجة حاسمة لأي منهما.

وفي تلك الأثناء كانت الاتصالات بين الرومان⁽⁶⁾ وباخوس تجرى في سرية تامة⁽⁷⁾، وأسفرت عن عقد اتفاق يقضي بالغدر بيوجرتا وتسليمه للرومان مقابل بعض المكاسب الشخصية لباخوس، الذي رتب الأمر وقبض على يوجرتا وسلمه لسلا⁽⁸⁾، وهذا بدوره سلمه للقائد ماريوس حيث تم قتله في روما عام 104 ق.م، ويُفهم من حديث ساليوست أن الحرب قد انتهت في النصف الأول من عام 105⁽⁹⁾، وكانت المكافأة التي حصل عليها عميل الرومان باخوس ثمن خيانتته، جزء من المملكة النوميديّة ألحق بموريتانيا، أما ما تبقى من المملكة النوميديّة فقد وضع عليه الرومان رجالاً مسالماً لا يخشونه من سلالة ماسينيسا يُدعى جودا⁽¹⁰⁾.

-
- (1) Sallust. Bel Jug., Lxxx - Lxxxi.
 - (2) Sallust. Bel. Jug., Lxxxiv-Lxxxvi.
 - (3) Sallust. Bel Jug., lxxxvii. Xcvi.
 - (4) Sallust. Bel Jug. , Xcii
 - (5) إبراهيم نصحي، ج 2، المرجع نفسه، ص 185
 - (6) Sallust. Bel. Jug. , Xcvii, C - Ci.
 - (7) اتصل القائد مطوس بباخوس لعقد معاهدة ضد يوجرتا ولكنه ترك القيادة قبل إتمام المهمة انظر Sallust. Bel. Jug., Lxxxiii.
 - (8) Ibid, Lxxxviii, Cii - Cvi; C. A. Hist., Vol ix, P. 128.
 - (9) Appians, Rom. Hist., I. ii. I - V; Sallust. Bel. Jug. Cvi - Cxii; Plutarch, Sulla. li; Diodorus, Xxx, 39.
 - (10) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 33; Geddeda, R. A., Op. Cit., P. 11.
 - (11) Sallust. Bel. Jug. Cxiv.
 - (12) C. A. Hist., Vol. ix, P. 130; Cary, M. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 217.

الفصل الثالث

دوافع الغزو الروماني وسياسته من أغسطس إلى سيفروس

أولاً: دوافع الغزو
ثانياً: مراحل الغزو وترسيخه حتى عهد أغسطس
ثالثاً: السياسة الرومانية من أغسطس إلى سيفروس

أولاً: دوافع الغزو الروماني:

إذا ما تساءلنا عن دوافع الغزو الروماني لمنطقة المدن الثلاث، سنلاحظ أنها لا تخرج عن الدوافع العامة للغزو الروماني لبقية شمال إفريقيا والتي يمكن ملاحظتها في العوامل التالية:

العامل السياسي:

يرى فريق من الباحثين⁽¹⁾ أن الرومان كانوا يهدفون من غزوهم لشمال أفريقيا إلى القضاء على عدوهم الأول المتمثل في القرطاجيين والمناطق التابعة لهم، ويؤكد هؤلاء الباحثون أن الرومان لم يأتوا إلى شمال أفريقيا راغبين وإنما مرغمين تمشياً مع حرصهم في القضاء على غريمتهم القوية قرطاجة، وقد أخذ الباحثون من عبارة كاتو: «CARTHAGE delenda est» دليلاً على رأيهم هذا، وفي ذات الوقت يرى فريق آخر من الباحثين⁽²⁾ أن الرومان لم يستثمروا شمال أفريقيا اقتصادياً وإنما كان عبئاً عسكرياً على كاهلهم، وكان كل ما يهمهم العمل على القضاء على القوى المحلية في شمال أفريقيا

(1) Sallust, Bel. Jug., Xviii; Appian, Pon., 57f; Boissier, G., Roman Africa, Translated (1) By Arabella Ward, P., Putnoms Sons, 1899, Pp 93 - 95

(2) محمد الجراي، «الاستيطان الروماني في ليبيا»، المرجع نفسه، ص 117
Mommensen, T., The Provinces Of The Roman Empire, Translated By Dickson, W.P., Vol. II, Macmillan & Co., London, 1909, P. 306.

ولكن الذي يقلل من هذا الهدف «القضاء على قرطاجة» أن روما قد حكمت على قرطاجة بالموت قبل قيام الحرب البونيقية الثالثة وذلك عن طريق شروط معاهدة زاما القاسية⁽¹⁾، ودعم حليفهم ماسينيسا يراقبها ويتحفظ لئلا نقضاض عليها وعلى املاكها⁽²⁾، ولكن الأقرب إلى الصواب هو خشية روما من استيلاء ماسينيسا⁽³⁾ أو أحد أسلافه على قرطاجة وبذلك يستطيع أن يكون قوة تهدد المصالح الرومانية في غرب البحر المتوسط، وتشكل قوة قرطاجية جديدة ربما في صورة أخرى أفضل، وما تدمير الرومان لقرطاجة في 146 ق.م.⁽⁴⁾ والتدخل في تقسيم المملكة النوميديّة⁽⁵⁾، ومحاربة يوجرتا⁽⁶⁾ إلا لهذا الغرض وهو عدم السماح بوجود منافس قوي في غرب البحر المتوسط، وكان الضمان الوحيد للسيطرة على هذا البحر، القيام باحتلال شمال أفريقيا والقضاء على القوى المحلية وضمان استمرار الوجود العسكري الروماني فيه، ولذا أحضر قيصر وخلفاؤه جنوداً إلى أفريقيا وأغروهم بالإغفاء من دفع الضرائب حتى يضمنوا بقاءهم⁽⁷⁾.

كما قام الرومان باحتلال عدد من المواقع والمدن الاستراتيجية بعد أن أبعدوا أهلها منها وأسكنوا فيها جنوداً من الرومان مهمتهم حماية الوجود الروماني وأنشأوا قرى محصنة على الحدود الغرض منها الدفاع عن كياناتهم في المدن الساحلية⁽⁸⁾، ويعتقد بعض الباحثين⁽⁹⁾ أن الرومان قد جاءوا إلى أفريقيا لتنظيمها

(1) انظر الفصل السابق 41، هامش 5

(2) Livy, ix Xxxiv, 52, Seullard, H. H., Op. Cit., P. 300.

(3) Bulugma, H., Op. Cit., 112.

(4) Dios, Rom. Hist., I - II; Remains Of Old Latn, Iv A Rehic Inscriptions; Sextus Juhus

Frontinus, Iuli Frontini Strtegematon, I - Iv

(5) إبراهيم نصحي، ج 1، المرجع نفسه، ص 340 رشيد الناصوري، المرجع نفسه، ص 280

(6) Sallust, Bel. Jug. Xxvii - Xxix, Xxxvi - Xxxviii, Xliii - Lxii, Lxxvii, Lxxx - Lxxxii,

Lxxxiv - Cxiii; Strabo, Geog., Vii. 3 12.

(7) رشيد الناصوري، المرجع نفسه، ص 292 محمد علي عيسى، مدينة صبراتة، إشراف الإدارة

العامة للبحوث الأثرية والمخطوطات التاريخية، الدار العربية للكتاب 1978م، ص 34.

(8) محمد الجاربي «الاستيطان الروماني في ليبيا» المرجع نفسه، ص 17

(9) Broughton, T. R. S., The Romanization Of Africa Proconsularis, Green Wood Press

Publishers, Newyork, 1968, P 11, Wellard, J., The Great Sahara, First Edition, E. P

Dutton And Co., Inc., Newyork, 1965, P. 75.

وإدارتها وتطويرها واعتبر بعضهم⁽¹⁾ ما قام به أغسطس وغيره من الأباطرة من استيطان، للرومان في المنطقة كان الهدف منه تحضير البلاد، ويرى روستوفتسف⁽²⁾ أن الاستعمار الروماني قد لعب دوراً هاماً في نشر الحضارة الرومانية في أفريقيا، ولكن هذا الرأي مردود عليه حيث إن أفريقيا قد شهدت ازدهار الحضارة الفينيقية القرطاجية قبل الغزو الروماني بزمان ليس بالقصير، ويشهد الكتاب اللاتين⁽³⁾ أن بالبلاد أكثر من ثلاثمائة مدينة قبل قدوم الرومان الذين لم يحملوا من الحضارة شيئاً إلا بعض النواحي العسكرية⁽⁴⁾ البسيطة.

العامل الاقتصادي:

يؤكد الباحثون⁽⁵⁾ أن العامل الاقتصادي يعتبر من العوامل الهامة للغزو الروماني حيث أن تلك الفترة تعتبر خالية من أي باعث ديموغرافي إذ أن سكان إيطاليا آنذاك لا يزيدون عن أربعة عشرة مليوناً منهم أربعة ملايين من العبيد.

كما لا ننسى أن أفريقيا ذات أهمية تجارية وزراعية بالنسبة للأغنياء والحكام من الرومان الباحثين عن الثروة⁽⁶⁾، وأصدق مثال على الأهمية الاقتصادية لأفريقيا أن قلّة الواردات القادمة منها كانت سبباً في ارتفاع سعر القمح في روما عام 122 ق.م حسبما ذكره المؤرخ ليفيوس⁽⁷⁾، وقد كان النشاط التجاري عبر الصحراء منذ أيام الفينيقيين أحد العوامل التي شجعت الرومان على استعمار أفريقيا⁽⁸⁾ وهذا ما دعا صانعي القرارات الرومانية إلى الدعوة لاحتلالها واستعمار أراضيها لتوفير الغذاء للشعب الروماني وابتزاز أكبر قدر ممكن من الضرائب⁽⁹⁾.

(1) Mommsen, T., Op. Cit., P. 306.

(2) Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., Pp 325 – 326.

(3) Strabo, Geog., XVII, 3 15; Pliny Nat. Hist., V 4 2.

(4) Paynes, R., Ancient Rome, American Heritage Press, Newyork, 1970, P. 224.

(5) Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 148; Graham, A., Op. Cit., P. 36.

(6) محمد الجبري «الاستيطان الروماني في ليبيا» المرجع نفسه، ص 18

(7) Livy, Ep., IX.

(8) Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 338

(9) محمد الجبري «الاستيطان الروماني في ليبيا» المرجع نفسه، ص 19

١ مل الاجتماعي:

يرى فريق من الباحثين^(١) أن الاستعمار الروماني فرضته الظروف الاجتماعية التي عاشتها إيطاليا إبان الحروب الأهلية خلال القرنين الأول ق.م والاميل الميلادي، حيث كان قادة الجيوش يمنون جنودهم بالأراضي الزراعية إذا ما انتصروا في الحرب كما فعل ماريوس مع جنوده^(٢)، كذلك شجع قيصر^(٣) الكثيرين من جنوده على الهجرة إلى أفريقيا والاستقرار بها، مما أدى إلى قيام العديد من الثورات في وجه الرومان الذين طردوا المواطنين من أراضيهم مثل ثورة تكفريناس^(٤).

وبخلاصة القول أن تلك الدوافع السابقة التي شجعت الرومان على احتلال أفريقيا أسهمت جميعاً في دفع الاستعمار إلى البلاد، وإن اختلفت درجة أهميتها حيث إن الدافع الاقتصادي لعب الدور الأكبر في ذلك، ومن هذا المنطلق سخرت بقية الدوافع لخدمة هذا الهدف إذ إن وجود جماعات السماسرة من الرومان والتجار وأرباب السفن وأصحاب الحرف^(٥)، أضف إليهم المعقرين الذين استولوا على أرض أفريقيا وجعلوها إلى إقطاعيات خاصة بهم^(٦)، يؤكد لنا الدافع الرئيسي للرومان من احتلال البلاد: الرغبة في السيطرة على خيرات البلاد واستثمارها لصالحهم.

ثانياً: بداية الغزو وترسيخه حتى عهد أغسطس

ويمكن اعتبار بداية تسرب الرومان إلى المدن الثلاث سليماً منذ تدخلهم في تقسيم المملكة النوميدية بعد وفاة ماسينيسا^(٧)، حيث كانت المدن الثلاث تشكل

Cary, M., A History Of Roman Domain To The Reign Of Constantine, Second Ed., (1) London, 1965, Pp. 311 - 315.

(2) بدل الرومان بعد احتلالهم للبلاد الكثير من الجهود للسيطرة على الأراضي الزراعية، انظر
Carney, T. F., "A Biography Of C. Marius", Argonaut, Chicago, 1970; Graham, W.,
The Roman Imperial Army, Adam And Charles Black, London, 1969, P. 56.
Appian, Rom. Hist., I, VIII, 2; Warmington, B. H., Op. Cit., P. 238. (3)

(4) محمد الجراوي «الاستيطان الروماني في ليبيا»، المرجع نفسه، ص 18
Sallust, Bel. Jug., XXI, XXV - XXVI; Appian, Pon., 92. (5)

(6) نجح الرومان في السيطرة على الأراضي الزراعية وتحويلها إلى إقطاعيات خاصة، انظر
Appian, Rom. Hist., I, 8, 2; Plutarch, C. Gracchus, 10, 14; Appian, Bel. Civ., I, 24.
Pliny, Nat. Hist., V, 3; Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 18. (7)

جزءاً من هذه المملكة ويتولى مكيبسا أمور الحكم بدأ التسرب الفعلي للرومان إلى المنطقة عن طريق أثرياء الرومان من تجار وصناع وأرباب سفن مثل هيرينيوس الذي استقر في لبة الكبرى في نهاية القرن الثاني ق م⁽¹⁾.

وعندما أعلنت روما الحرب على يوجرتا⁽²⁾ بصورة فعلية وصلت الرسائل من مدينة لبة الكبرى إلى القنصل بستيا «BESTIA» وفيما بعد إلى روما يلتصقون الصداقة والتحالف مع الرومان الذين لبسوا طلب مدينة لبة⁽³⁾. ويرى بعض الباحثين⁽⁴⁾ أن مدينتي صبراتة وأويا قد حصلتا على معاهدة مماثلة مع روما، ولكن فقدان الدليل المادي الذي يثبت عقد معاهدة بين أويا وصبراتة من جهة وروما من جهة أخرى يوحي بأن المعاهدة التي عقدها روما مع لبة كانت تشمل مدينتي أويا وصبراتة باعتبار أن لبة كانت المركز الإداري والسياسي للمدن الثلاث، مما يؤكد ذلك أن لبة قبل منتصف القرن الأول قبل الميلاد قد طلبت من روما أن تقنع جوبا الأول ملك نوميديا أن يرد إليها قسماً من أراضيها سبق وأن وقع تحت سيطرته فما كان من روما إلا أن لبّت هذا الطلب⁽⁵⁾.

وإذا ما تساعلنا عن الدوافع التي جعلت لبة تلجأ إلى التحالف مع روما وفي بداية الحرب⁽⁶⁾ مع يوجرتا، وللإجابة عن ذلك أرجح أن الرومان وبخاصة الأغنياء منهم الموجودين في المدن الثلاث هم الذين دعوا لبة للتحالف مع دولتهم حتى لا تقبض يد العيون ليوجرتا ومن ناحية أخرى قد تكون هناك مجموعات سياسية متصارمة بعضها كان يفضل التحالف مع الرومان دون الوقوف إلى جانب يوجرتا الرجل الطموح فقد كانوا يخشون على مصالحهم التجارية والزراعية أن تتأثر ولعل ما يؤكد ذلك ما ذكره سالوست عن شخصية أميلقار الذي كان يدبر للقيام بثورة في

Thompson, L. A , " Roman And Native In The Tripolitania Cites In The Early (1) Empire. Libya In History, Dar El Mashrq, Berot, 1968, P. 235; Braton, L., M., Africa In The Roman Empire, Chana Universities Press, Accra, 1972, P. 51.

(2) انظر الفصل السابق من 46 .. 50

Sallust, Bel Jug., Xvii.

John, Ch. A., OP. Cit P. 144, Haynes, E. L , Op. Cit., P. 33.

Ibid, P. 34.

(6) يذكر بعض الباحثين أن لبة عندما عرفت أن الحرب في صالح الرومان استغلت هذه الفرصة ولكن هذا قد يكون ليس صائباً تماماً خصوصاً إذا ما تذكرنا أن التحالف كان في بداية الحرب وليس في نهايتها وأن بداية المعارك كانت في صالح يوجرتا

المدينة⁽¹⁾، بصفته يتزعم الحزب المؤيد ليسوجرتا في لبدة⁽²⁾، أما قبول روما لهذا التحالف فإنها كانت على ثقة بأنها لن تخسر شيئاً بل على العكس أدركت أن هذا التحالف سيؤدي إلى إضعاف العدو وحرمانه من إحدى المناطق الغنية التي
1 تحت سيطرتهم فيما بعد⁽³⁾، كما أن الرومان لا ريب قد فرضوا على المدن إلزامات عسكرية ومالية⁽⁴⁾ ولعل ما يبرهن على ذلك أن سالوست يؤكد بأن لبدة قد نفذت بعناية جميع أوامر بستيا والبينوس وميتيليوس⁽⁵⁾.

أما الفائدة التي عادت على المدن الثلاث من هذه المعاهدة فهي لا تتعدى الاستقلال الذاتي تحت الحماية الرومانية⁽⁶⁾، وحصولها على بعض الأراضي التي سبق وأن استولى عليها النوميديون داخل مناطق المدن الثلاث⁽⁷⁾، ومع ذلك فهذه النتائج لا تبرر هذا التحالف إذا ما تدكرنا أنها كانت تتمتع بقسط وافر من الحرية الاقتصادية والسياسية تحت الحكم النوميدي⁽⁸⁾.

وتنفيذاً لهذا التحالف قدمت⁽⁹⁾ الرسل من مدينة لبدة إلى القائد الروماني ميتيليوس «METELLUS» بعد استيلائه على مدينة ثالا «THALA» يلتصون منه أن يرسل إليهم حامية عسكرية بقائدها معلنين أن شخصاً ميثالاً للتامر من اتباع يوجرتا يدعى هاميلقار «HAMILCAR» يدبر للقيام بثورة في المدينة إذ أنه اعتقل حكام المدينة وإن لم يُنقذوا فوراً ستعرض حياتهم للخطر وبذلك يفقد الرومان

(1) Sallust, Bel. Jug., Lxxvii.

(2) Ettore, R., Op. Cit., P. 11; Haynes, E. L., Op. Cit., P. 33.

(3) يؤكد بعض الباحثين أن من الأسباب التي جعلت قادة الرومان بستيا وسكيريوس يسالسون يوجرتا هي رعبهم في تسليم سوق لبدة الكبرى إلى رجال الأعمال الرومان، انظر

Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 114; Bulugam, H. Op. Cit., P. 112.

(4) Julien, ch. A., Op. Cit., P. 108.

(5) Sallust, Bel. Jug. Lxxvii

(6) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 34; Dep. Antiq. Lep. Mag., Op. Cit., P. 13.

(7) Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 108.

(8) Sallust, Bel. Jug. Lxxviii.

(9) إبراهيم نصحي، المرجع نفسه جـ 1 ص 347 عبد القادر جقلول، المرجع نفسه، ص 23
اختلف الباحثون في تحديد التاريخ الذي قدمت فيه الرسل إلى ميتيليوس فبعضهم يحدده بعام 106 ق م والبعض الآخر عام 107 ق م ولكن الأقرب للصواب عام 108 ق م لاعتبارين أولهما أن ثالا سقطت في 108 ق م في يد الرومان وثانيهما أن مدة قيادة ميتيليوس قد انتهت في نهاية عام 106 ق م حيث تولى ماريوس القيادة من بعده

حلفاءهم، وقد أجاب الرومان طلب لبدة وأرسلوا إليها أربع فرق ليجودية بقيادة جايوس أنيوس⁽¹⁾، وكانت هذه المرة الأولى التي تدخل فيها القوات الرومانية إلى المدن الثلاث، وترجح بعض المراجع أن القوات الرومانية قد انسحبت من المنطقة مع استمرار المعاهدة بين الطرفين⁽²⁾، حيث تمتعت المدن الثلاث بوضع شبه مستقل تحت السيطرة الرومانية⁽³⁾، ولعل ما يؤكد استمرار علاقات الصداقة بين الجانبين أن لبدة طلبت تدخل الرومان لاسترجاع جزء من أراضيها استولى عليه جوبا الأول ملك نوميديا، وقد لبّت روما هذا الطلب⁽⁴⁾.

واستمرت المدن الثلاث على هذا النحو من شبه الاستقلال حتى نهاية الحرب الأهلية بين بومبي وقيصر التي نشبت بينهما في 49 ق.م، وانضم جوبا الأول إلى بومبي⁽⁵⁾ وتعاون مع قائده فاروس في القضاء على جيش يوليوس قيصر بقيادة سكرينيوس وبدءاً معاً في تنظيم تحصينات المنطقة⁽⁶⁾.

ويرجح البعض⁽⁷⁾ أن اتباع بومبي وحليفهم جوبا سيطروا على لبدة وأجبروها على أن تزودهم بالسلاح والرجال والمؤن، ويعد انتصار قيصر في معركة فرساليا⁽⁸⁾ عام 48 ق.م واغتيال بومبي في الإسكندرية⁽⁹⁾ تجمعت جيوشه في أفريقيا تحت قيادة ميتلبوس سكيبيو وماركوس كاتو⁽¹⁰⁾، الذي عبر مناطق المدن الثلاث قادماً من قوريني وتحت قيادته عشرة آلاف مقاتل قسمهم إلى عدة فرق بسبب ندرة المياه، وقد امضى فصل الشتاء بمدينة لبدة⁽¹¹⁾ وتوحدت قوات بومبي مع القوات النوميدية بقيادة جوبا الأول⁽¹²⁾ استعداداً لملاقاة قيصر الذي عبر البحر المتوسط إلى أفريقيا

(1) Sallust, Bel. Jug., Lxxvii, Entire, R., Op. Cit., P. 11.

(2) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 34.

(3) Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 108, Dep. Antig. Lep. Mag., Op. Cit., P. 13.

(4) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 34.

(5) Geddeda, R. A., Op. Cit., P. 11; Barton, I. M., Op. Cit., P. 51.

(6) إبراهيم نصحي، ج 2، المرجع نفسه، ص 656 - 657.

(7) Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 120, Dep. Antig. Lep. Mag., Op. Cit., P. 14.

(8) Lucanti, Bel. Civ., I - IX; Caesar, Bel. Civ., III, 78 - 99; Geddeda, R. A., Op. Cit., P. 11.

(9) Lucaniphrasia, Viir, 460ff; Plutarch, Pomp., 78 - 80.

(10) Strabo, Geog., Xvii, 3, 20; Lucani, Phralia, IX, 39ff.

(11) Lucani, Bel. Civ., IX, 445; Geddeda, R. A., Op. Cit., P. 11.

(12) C. A. Hist., Vol. IX, Pp. 682, 684 - 685, Graham, A., Op. Cit., P. 17.

حيث دارت بينه وبين قادة جيوش بومبي العديد من المعارك قرب روسبينوس وفي مواقع أخرى⁽¹⁾، وكانت آخرها معركة تابسوس⁽²⁾ عام 47 ق.م وكان من نتائجها المباشرة على المنطقة ككل إلغاء يوليوس قيصر للملكة النوميدية وضم الجزء الأكبر منها في ولاية رومانية جديدة سُميت أفريقية الجديدة وعُيّن عليها المؤرخ سالوست⁽³⁾، أما ولاية أفريقية الرومانية فقد أطلق عليها أفريقية القديمة⁽⁴⁾، وكان العقاب الذي أنزله يوليوس قيصر بلبدة الكبرى صارماً حيث أنزلها إلى مرتبة مدينة خاضعة لروما بعد أن كانت حليفة لها، كما فرض عليها غرامة⁽⁵⁾ سنوية تقدر بثلاثة ملايين رطل⁽⁶⁾ من زيت الزيتون لأنها استضافت كاتو عند مروره بها وقبّلت التحالف مع جوبا الأول، ويرجح أن هذا العقاب كان يشمل صبراتة وأويا لاتباعهما سياسة لبدة⁽⁷⁾، لعل ما يؤكد ذلك أن هذه الضريبة كانت من الضخامة بحيث لا تستطيع مدينة لبدة تحملها بمفردها، ويبدو أن إجراءات يوليوس قد أثرت على المنطقة استناداً على الانقطاع المفاجيء للخزف والتمنيات من بعض مواقع المدن الثلاث⁽⁸⁾

(1) من بين المواقع الأخرى التي جرت عندها المعارك منطقتي أوزيتا وساريسوما، انظر Strabo, Geog., XVII, 3, 12; C.A. Hist., Vol. IX, Pp. 682 - 683.

(2) شهدت هذه المعركة نهاية جيوش بومبي إذ قتل سكيبيو نفسه مفضلاً ذلك عن الوقوع في قبضة قيصر، أما كاتو فقد هرب إلى أوبيكا حيث قتل نفسه عند وصول قوات حصريه لصرب الحصار عليها، كما أن جوبا هرب إلى راند من طريق إحدى الوصيفات ولكنه وجد المدينة قد أغلقت أبوابها من الخوف، وبذلك فقد أسوته وكنوزه، وواصل هروبه إلى إحدى الغابات حيث قُتل هناك، وسقطت نوميديا في قبضة الرومان، للمزيد انظر

Strabo, Geog., XVII, 3, 12, Geddeda, R. A., Op. Cit., Pp. 11 - 12;

أسد رستم، المرجع نفسه، ص 59، إبراهيم مصححي، ج 2، المرجع نفسه، ص 660 - 662 Pliny Nat. Hist., V, in 25;

(3) محمد سليمان أيوب، مختصر تاريخ قرآن، العطيفة الليبية، طرابلس، ص 51 Pliny Nat. Hist., V, in 25, Haynes, E. L., Op. Cit., P. 34.

(4) يشير الكاتب فيلسون أن هذه الضريبة فرضها قيصر على لبدة الصغرى، ولكن هذا غير صحيح لأن هذه المدينة رحبت بقيصر أثناء حربه في أفريقية، حول ذلك انظر

Nihson M. P., Imperial Rome, The Social Life Of The Roman Empire, Aris Publishers Inc., Chicago, Mmxxiv, P. 193.

(6) يقدر بعض الباحثين هذه الضريبة بما يعادل 10,000 هكتومتر أو ما يعادل 10/800 لقر أو 100,000 جالون.

(7) Rostovtzeff, M., Soc Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 338.

(8) Arthur, P., " Hellenistic And Roman Sites At Mursa Gezirah Near Misurata", Lib Studies, Vol. 14, 1983, P. 136.

وهكذا دخلت المدن الثلاث في الإمبراطورية الرومانية التي لم تستقر الأمور فيها لمدة ثلاثة عشر عاماً بعد مقتل قيصر في 44 ق.م.⁽¹⁾ إذ قامت فيها الحرب الأهلية بين كل من أكتافقيوس وأنطونيوس التي انتهت بانتصار أولهما في معركة أكتيوم البحرية⁽²⁾، ولم تتأثر المدن الثلاث بهذه الحرب⁽³⁾ لأنها وقفت بمعزل عنها.

ثالثاً: السياسة الرومانية من أغسطس إلى سقيروس

اعتباراً من 27 ق.م أدمج الإمبراطور أغسطس⁽⁴⁾ ولايتي أفريقية القديمة والجديدة في ولاية واحدة أطلق عليها الولاية البروقنصلية⁽⁵⁾، وأصبحت المدن الثلاث جزءاً منها⁽⁶⁾، وفي العام ذاته حصل اتفاق بين أغسطس ومجلس الشيوخ تنال بموجبيه لمجلس الشيوخ عن الولايات التي لا تحتاج إلى حماية، وبذلك

1 - الولاية البروقنصلية تابعة إدارياً لمجلس الشيوخ الروماني يتولى حكمها بروقنصل نيابة عن المجلس⁽⁷⁾، وكان مقره في قرطاج⁽⁸⁾.

وفي 25 ق.م أضيفت نوميديا إلى الولاية البروقنصلية⁽⁹⁾، وهذا يعني أن البروقنصل أصبح مسؤولاً عن القيام بواجبات الترخوم في منطقة تكثر فيها القلاقل⁽¹⁰⁾، بحيث أصبحت حدود الولاية تمتد من قوريني شرقاً إلى نهر أمبساق⁽¹¹⁾

(1) رشيد الناصوري، المرجع نفسه، ص 309.

(2) Rostovtzeff, M., The Social And Conomic History Of The Hellenistic World, First Edition, Oxford At The Clarendon Press, 1971, Vol. I, Pp. 53, 69; Vol. II., 910, 929ff.

(3) Haynes, E. L. , Op. Cit., P. 35; Dep. Antiq. Lep. Mag., Op. Cit., P. 14.

(4) وهو اللقب الذي أضفاه مجلس الشيوخ الروماني على أكتافقيوس

(5) Strabo, Geog. , Xvii 3, 25; Cambridge Ancient History, Ed. Cook, S. A. Adcock, F. E. And Charles Worth, M. P., Vol. X, 1952, P. 347.

(6) Rostovtzeff, M. , Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 335.

(7) Strabo, Geog. Xvii. 3, 25. Leon, H. Roman Political Institutions From City To State (Translated By Dobie, M. R. , London, P. 316.

(8) Hamond, N. G. L. And Scullard, H. H., Op. Cit., 609.

(9) Cary, M. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 331.

(10) Wells, J. And Barrow, R. H., A Short History Of The Roman Empire, London 1965, P. 66; Holmes, T. R. , The Architect Of Roman Empire, At The Clarendon Press, Oxford, 1931, P. 11.

(11) كانت هذه الولاية تضم اثني عشرة مستعمرة، ويوجد بها الكثير من الرومان المهاجرين وقد صمدت

«AMPSAGA» غربياً، ويعتقد بعض الباحثين أن أغسطس رغب في توحيد هذه المنطقة من أجل تنسيق العمليات العسكرية ضد القبائل التي تشن هجماتها على المدن الثلاث وقوريني وأهمها الجيتولي والجرامنت والمارماريداي⁽¹⁾.

ونظراً لامتداد حدود الولاية خرج أغسطس عن نظامه المعروف بعدم إستناد قوة مسلحة إلى أشخاص تابعين لمجلس الشيوخ⁽²⁾، حيث أرسل الفرقة الأغسطية الثالثة لتتولى الدفاع عن الحدود الجنوبية التي كانت عرضة للهجوم⁽³⁾، ولكن المهمة الرئيسية لها في حقيقة الأمر هي ترسيخ الاحتلال الروماني وقمع الثورات المحلية التي قام بها المواطنون بعد أن زحف الرومان على أراضيهم⁽⁴⁾، وكانت قيادة الفيلق في بداية الأمر تحت إمرة القنصل السناتورى⁽⁵⁾، وهو الحاكم الوحيد من بين القنصائل السناتوريين الذي أسندت إليه قيادة الجيش⁽⁶⁾، وقد عسكرت الفرقة الأغسطية في بداية الأمر⁽⁷⁾ عند أمائدة «AMMAEDARA» ثم في تبسا⁽⁸⁾، نُقلت بعدها إلى لامباسيس في عهد تراجان⁽⁹⁾ وكان من المهام الرئيسية لهذه الفرقة حماية حدود الولاية عن طريق دفع القبائل نحو الصحراء⁽¹⁰⁾ ومن مهامها أيضاً

-
- المناطق الأكثر تقدماً حيث اتقنت الأساليب الفنية في التجارة والفلاحة ونعمت بالسلام، انظر
Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 144, Wells, J. And Barrow, R. H., Op. Cit., P. 42.
Romanelli, P., Ciren., Op. Cit., Pp. 72 - 73. (1)
- C. A. Hist., Vol. X, P. 211; Haynes, E. L., Op. Cit., P. 36. (2)
- Strabo, Geog., XVIII, 3, 25; Nilsson, M. P., Op. Cit., Pp. 218ff. (3)
- (4) يؤكد الباحثون أن من الأسباب التي أدت إلى الصروب والثورات ضد الرومان، هو زحفهم على الأراضي الزراعية ولعل الدعم الذي وجده تكفريثاس في ثورته يبرهن على ذلك، انظر
Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Hell. Wor., Op. Cit., P. 319.
- (5) استمرت قيادة الفيلق الأغسطي تحت القنصل السناتورى حتى عهد كاليجولا الذي نقلها إلى قائد خاص يعين من قبل الإمبراطور.
Hamond, N. G. L. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 609. (6)
- (7) يحدد الباحثون بداية استقرار الفيلق الأغسطي فيما بين 6 - 5 ق م للمزيد انظر
Graham, W., Op. Cit., P. 56; Cary, M., And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 331.
- C. A. Hist., Vol. X, P. 347; Wells, J. And Barrow, R. H., Op. Cit., P. 42. (8)
- Geddeda, R. A., Op. Cit., P. 12; Barton, I. M., Op. Cit., P. 51. (9)
- Hamond, N. G. L. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 609, (10)
- مصطفى عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، المطبعة الأهلية - بنغازي - 1966، ص 86

أما أسباب الحملة فيصعب تحديدها بدقة ولكن يمكن إرجاعها إلى عدة عوامل في مقدمتها تقدم جريمة ونموها بحيث لا تشكل قوة لا يستهان بها وهذا بطبيعة الحال يتعارض مع مخططات الرومان وأهدافهم التوسعية في المنطقة⁽¹⁾.

ومن بين الأسباب الأخرى محاولة الإمبراطور أغسطس شغل الجيوش الرومانية بعد الحرب الأهلية بأي فتوحات حتى تبهرهم الانتصارات العسكرية عن أي محاولة للاستيلاء على الحكم⁽²⁾.

ويضيف بعض الباحثين أن من أسباب الحملة محاولة الجرامنت مشاركة الرومان في السيطرة على المنطقة الساحلية⁽³⁾، وأرى أن من أسباب هذه الحملة رغبة الرومان في الوصول إلى مناطق الإنتاج في وسط القارة ورغبتهم في مشاركة القبائل الليبية في المكاسب التي تعود عليها من التعامل التجاري مع أفريقيا وليس أدل على ذلك من الحملات التجارية⁽⁴⁾ العسكرية التي قادها الرومان فيما بعد نحو الجنوب.

أما السبب المباشر للحرب فيؤكد الباحثون⁽⁵⁾ بأنه راجع لمدعم الجرامنت للقبائل الجيتولية عندما ثارت ضد الرومان⁽⁶⁾، الذين اعتبروا هذا الموقف من طرف الجرامنت إهانة لهم وتحدياً لسلطتهم وأدى إلى نشوب الاحتكاك الأول بين الطرفين وقد لا يكون هذا السبب الحقيقي للحرب كما سبق ذكره، ولكنه كان المبرر الذي

(1) محمد سليمان أيوب، جريمة من تاريخ الحضارة الليبية القديمة، ص 138.

(2) Daniels, C. M., "The Garamantes Of Fezzan", Libya In History, Dar - Elmasheeq, Beirut, 1968, P. 261

(3) Daniels, C.m., The Garamantes Of Southern Libya, Oleander Press, 1970 P. 22.

(4) Ptolemy, I. R. 4, Kirwan, L. P., " Roman Expedition To The Upper Nile And The Chad - Darfur Region", Libya In History, Univesuty Of Libya Faculty Of Arts, History Conference, 1968, Pp. 254ff.

(5) واجه الرومان قبل حملتهم ضد الجرامنت ثورة من قبائل الجايسولي الذين تمتد منطقتهم إلى جنوب المدن الثلاث وقد أرسل إليهم الرومان حملة بقيادة سمبرونيوس اشراتينيوس الذي احتل بسانتصاره في هذه المعركة عام 21 ق م للمزيد عن حرب الرومان ضد الجايتولي، انظر

Haynes, E. L., Op. Cit , P 36.

(6) مصطفى كمال عبدالعليم، المرجع نفسه، ص 86

اتخذته الرومان لتنفيذ حملتهم ضد الجرامنت.

أصدر الإمبراطور أغسطس أوامره إلى بعض قادته باكتساح المناطق المجاورة لحدود الإمبراطورية وكان من بينهم قائد صغير يدعى لوكيوس كورنيليوس بالبوس بإخضاع الجرامنت⁽¹⁾.

انطلقت الحملة نحو الجنوب وكان أول ما استولت عليه واحة كيدامس التي كانت مركزاً تجارياً هاماً للجرامنت، ونظراً لأهمية الواحة أعلن الرومان بأنها حليفة لهم⁽²⁾.

واصل بالبوس حملته لمسافة 350 ميلاً إلى الجنوب الشرقي حتى وصل إلى جزمة⁽³⁾ ويبدو أن هجومهم قد أخذ الجرامنت على حين غرة⁽⁴⁾.

وتختلف المراجع في تحديد تاريخ هذه الحملة وإن كان معظمها تتفق على سنة 19 ق.م تاريخاً لهذه الحملة⁽⁵⁾، لأن بالبوس احتفل بانتصاره في 27 مارس عام 19 ق.م⁽⁶⁾ وكان الأجنبي الوحيد الذي كُرم بهذا الاحتفال⁽⁷⁾، وكان آخر الاحتفالات التي تقام للقادة المنتصرين في ذلك الوقت⁽⁸⁾، ومع ذلك يؤرخ بعض الباحثين⁽⁹⁾ الحملة فيما بين 21 - 20 ق.م.

وقد ذكر بليني في نصه عن الحملة جميع القبائل والمدن والقرى التي يقول

(1) قد تكون أول إشارة وصلت إلينا عن حملة بالبوس من الشاعر فرجيل الذي تحدث عن الإمبراطور

أغسطس وكيف بسط حدود الإمبراطور إلى ما وراء بلاد الجرامنت - انظر

Virgil, Vi, 791 - 797, Salmon, E. T., Op. Cit., P. 106

Hayne, E. L., Op. Cit., P. 36.

(2)

Pliny, Nat. Hist., V. 5.

(3)

(4) هانس فايس، المرجع نفسه، ص 171 مصطفي عبدالعليم، المرجع نفسه، ص 86

Cary M And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 331; Salmon, E. T., Op. Cit., P. 106; (5)

Wellard, J., Lost World Of Africa, Hutchin Son London, 1967, P. 323.

Daniels, C. M., Gar. Sout Lib, Op. Cit., P. 21

(6)

Pliny, Nat. Hist., V. 5. 36.

(7)

Daniels, C. M., Gar. Sout Lib., Op. Cit., P. 21.

(8)

Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist Rom Emp. Op Cit., P. 338.

(9)

ولذلك اعتقد أن أي تحديد للأماكن غير المعروفة والتي لم يكشف عنها الأثريون إنما هو نوع من الاستنتاج المفرط الذي لا يتمشى والحقيقة التاريخية.

وكسبت الحملة على ما يبدو محدودة الأهداف، ولم تسفر عن أي استقرار روماني في الجنوب⁽¹⁾، وربما لم تزد عن قوة ضاربة هاجمت الجرامنت على حين غرة⁽²⁾ وعادت لتربط في قواعدها جنوب المدن الثلاث⁽³⁾، وقد بالغ الرومان في إطراد حملتهم واعتبروها نصراً عظيماً باعتبارها الحملة الأولى من نوعها ونظراً للصعوبات التي واجهتها⁽⁴⁾، ولكن ما يقلل من أهمية الحملة ويعتبرها مجرد ضربة سريعة جاءت إلى الجرامنت من غير توقع لاعتقادهم أن موقعهم في الصحراء أعظم من أن يهاجمه أحد⁽⁵⁾، إن المؤرخ الروماني استرابو لم يتعرض لهذه الحملة في كتاباته رغم معاصرته لها، ولعل ما يزيد من الاعتقاد بعدم أهميتها أنها لم تحظ باهتمام كبير من الشعب الروماني مثل الحملات المعاصرة لها⁽⁶⁾، وربما كان الغرض منها هدف سياسي بالدرجة الأولى، إذ عندما كتب بليني عن الحملة كانت السلطات الرومانية تعد لحملة جديدة ضد الجرامنت في عهد فسبسيان، ولعل ما كتبه بليني عن الحملة قصيد من ورائه رفع الروح المعنوية للجند الرومان الذين تعدهم آنذاك لحرب الجنوب⁽⁷⁾، كما أن ما ذكره بليني من اكتشاف الرومان في عهد سبسيان لأقصر الطرق إلى بلاد الجرامنت⁽⁸⁾، يؤكد عدم وجود قوات رومانية في الجنوب.

ولعل عدم العثور على نقش أو نصب يشير إلى الحملة جرساً على عادة الرومان⁽⁹⁾، يدل على عدم أهمية الحملة أو فشلها، ومما يؤكد ذلك أننا نسمع عن

(1) Orosius, Vi. 21. 18. Ettore, R., Op. Cit., P. 12.

(2) Bates, O., Op. Cit., P. 105

(3) رشيد الناصوري، المرجع نفسه، ص 326: محمد سليمان أيوب حملة باليوس على فزان عام 19 ق.م، ص 217.

(4) Gedde, R. A., Op. Cit., P. 13; Daniels, C. M., Gar. Sout. Lib., Op. Cit., P. 21

(5) محمد سليمان أيوب، مختصر تاريخ فزان، ص 51: هانس فايس، المرجع نفسه، ص 171.

(6) من الحملات الرومانية المعاصرة لحملة باليوس، حملة بتروبيوس ضد ملكة مروي في السودان. وحملة تيبيريوس ضد باتونيا واليريا.

(7) محمد سليمان أيوب، حملة باليوس على فزان عام 19 ق.م، ص 207.

(8) Pliny, Nat. Hist., V. 5.

(9) محمد سليمان أيوب، حملة باليوس على فزان عام 19 ق.م، ص 208.

حملات وتحركات للقبائل الليبية بعد مضي عدد من السنين وبالتحديد فيما بين 16 ق.م - 15 ق.م⁽¹⁾، وتأييد الجرامنت لثورة تكفربناس⁽²⁾، وأخيراً ليس أدل على فشل الحملة من أن الجرامنت استطاعوا بعد أقل من قرن محاصرة لبدة وتهديد بقية المراكز الرومانية الساحلية في المدن الثلاث⁽³⁾.

وكانت أهم نتائج الحملة بالنسبة للرومان تحذيرهم للجرامنت بأن الوصول إلى معاقلمهم في قلب الصحراء ليس مستحيلاً، وإشعارهم بقدرة الرومان في الوصول إليهم⁽⁴⁾، كما أن كيدامس قاعدة متقدمة للرومان نحو الجنوب⁽⁵⁾، وكان للتحذير الروماني نتائج العكسية إذ لم تمض أربع سنوات على حملة بالبوس حتى تحالف الجرامنت مع المارماريداي وقاموا بغزو قوريني⁽⁶⁾ حيث واحهتهم الجيوش الرومانية بقيادة بوبليوس سوليبيكيوس كويرينيوس «PUBLIUS SUPICUS QUTRINIUS» حاكم ولاية كريت وقوريني وهزمهم في 15 ق.م على أقرب تقدير⁽⁷⁾، وترجع بعض المراجع⁽⁸⁾ تعرض المدن الثلاث للهجوم لفترة قصيرة في الوقت الذي غزا فيه الجرامنت والمارماريداي منطقة قوريني، وعلى ما يبدو أن الأمور ظلت مضطربة في البلاد بسبب ثورة قبائل الموسلامي⁽⁹⁾ والجيتولي⁽¹⁰⁾ ضد الرومان الذين أنفذوا إليهم حملة عسكرية بقيادة كوسوس كورنيليوس لينتولوس «COSSUS CORNELIUS»

(1) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 36; Holmes, T. R., Op. Cit., P. 12.

(2) Tacitus, Ann., lii. Lxxiii-Lxxiv, Iv. xxiii-xxiv, xxvi.

(3) Ibid. Ann., Iv. 26, 50; Pliny, Nat. Hist., V. 5. 38; Ofrood, R. L., People Of The Veil, (3)

The Nether Lands, A Nithropogical Publications Doste Rhout, N. B., 1966, P. 324.

(4) مصطفى عبد العظيم، المرجع نفسه، ص 87.

(5) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 36.

(6) Bovill, W. E., Op. Cit., P. 37; Holmes, T. R., Op. Cit., P. 88.

(7) اختلف المؤرخون في تحديد زمن هذه الحرب، ويعتقدون حدوثها فيما بين 15 - 12 ق.م، انظر

Florius, li. 31, Geddeda, R. A., Op. Cit., P. 14, S. E. G., ix. 63.

(8) Rostjovtz Eff, M., Soc Econ, Hist Rom Emp Op. Cit., P. 338; Haynes, E. L., Op. Cit., P. 37.

(9) Bates, O., Op. Cit., P. 234; Haynes, E. L., Op. Cit., P. 37.

(10) يشير أحد النقوش الذي عُثر عليه في مدينة لبدة إلى الحرب الجايثولية كتاريخ لتعيين لنتولوس بروفنصل في لبدة بولاية أفريقية، انظر IRT., No. 301.

المنصب موجوداً منذ العصر الفينيقي ولكن وظيفته على الأرجح قد تغيرت بحيث أصبح مسؤولاً عن إدارة وصيانة مباني الألعاب في المدينة مثل المسرح والملاعب المدرج والسيرك⁽¹⁾، ومن المعلوم أن مسرح لبدة الكبرى قد أنشئ في العهد الروماني في الفترة ما بين 1 - 2 م.⁽²⁾

وكانت اللغة الفينيقية، هي السائدة خلال القرن الأول كما تبين النقوش في لبدة وصبراتة⁽³⁾ ونقوش المنطقة الداخلية مثل قرزة وويان زمزم والمردوم وبشر دريدر، ويتميز نقوش لبدة التي تتعلق بموظفي البلدية بأنها ذات صفة رسمية. وهذا يعني أن اللغة الفينيقية كانت تحتل المرتبة الثانية حتى عصر أغسطس على الأقل⁽⁴⁾، وهي تبين دور الليبيين السياسي والحضاري رغم المظهر الروماني⁽⁵⁾.

واستمرت الأوضاع حسنة وهادئة داخل المدن⁽⁶⁾ في بداية القرن الأول الميلادي قام خلالها البروقنصل لاميا بشق طريق من لبدة إلى ترهونة وهو الذي أدمج فيما بعد مع الطريق الهام الذي يربط لبدة ببيتكاباي والذي كانت تقوم على حراسته فصائل من القوات الرومانية⁽⁷⁾.

(1) Elmayer, A. F., "Reint. Lat. Pun. Insc. Rom. Trip.", Op. Cit., P. 93.

(2) Irt. No 232; Barton, I. M., Op. Cit. P. 52.

(3) Ward Perkins, J. B., "Pre. Rom. Elem. Arch. Rom. Trip." Op. Cit., P. 103.

(4) Millar, F. G., "Local Culture In Roman Empire", Journal Of Roman Studies, Vol. 58, 1968, Pp. 133f.

(5) حول دور الليبيين السياسي والحضاري في تلك الفترة والذي يؤكد الباحثون، انظر:

Wardperkins, J. B., "pre - Rom. Elem. Arch. Rom. Trip." Op. Cit., Pp. 103, 110;

محمد الجبراري «الاستيطان الروماني في ليبيا» المرجع نفسه، ص 30 وما بعدها.

(6) يمكن أن نلحظ عن قرب حالة الاستقرار في المدن الثلاث وخاصة في مدينة لبدة الكبرى خلال عهد أغسطس حيث شيدت الكثير من المباني العامة مثل المسرح والسوق وغيرها، انظر:

Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp; Op. Cit., P. 141; Humphrey, J., Frank, S. And Vickers, M., Aspects Of The Circus At Lepcis Magna", Society For Libyan Studies, Vol. 5, 1973 - 1974, Pp. 4 - 12

(7) Goodchild, R. G. And Ward Perkins, J. M., The Limes Tripolitanus In The Light Of Recent Discoveries", J. R. S., Vol. Xxxix, 1949, P. 81.

وقد اضطريت اوضاع المدن بقيام ثورة تكفريناس⁽¹⁾، التي تعتبر من أهم الثورات الوطنية ضد الرومان. وكانت من الأهمية والقوة إلى درجة أن انتشارها في أرجاء البلاد كان سريعاً جداً، وقد انحار إليها أهل البلاد من أجل تحرير بلادهم من السيطرة الرومانية والعناصر المحلية الموالية لهم⁽²⁾.

ولعل من الأسباب الأخرى التي ساعدت على تغذية الثورة، فساد نظام الحكم الروماني، وتسلمته على المواطنين⁽³⁾، وسيطرته على مرافق البلاد الاقتصادية وبخاصة التهاقت على الأراضي الزراعية وإبعاد أصحابها الوطنيين إلى أطراف الصحراء⁽⁴⁾.

كان تكفريناس أحد النوميديين، يعمل كجندي مساعد في الجيش الروماني ولكنه هجره⁽⁵⁾ بعد أن أطلع على أساليب تدريبه ومواطن ضعفه ونقائصه⁽⁶⁾، واستفاد منها في تدريب جموع النوميديين على طرق القتال الرومانية⁽⁷⁾، ثم نظمهم في فرق وسرايا عسكرية⁽⁸⁾.

واسعت حركة الثورة بانضمام جموع أخرى إليها من قبائل الحدود الجنوبية، وكان من بين قادتها مازيبا الذي أصبح من أهم مساعدي تكفريناس حيث ولّاه على جزء كبير من القوات التي تسليحها خفيف لشن الغارات الخاطفة على المدن والقرى⁽⁹⁾، بينما بقيت تحت قيادة تكفريناس القوات المنظمة والمتدربة جيداً على طرق

(1) عُثر على أحد النقوش البونيقية عند رأس الحدادية «ثمانون كيلو متر جنوب طرابلس» يحمل اسم تكفريناس ويتزامن تاريخياً مع ثورة تكفريناس في 17 م. انظر

Geddeda, R. A. Op. Cit. P. 15.

(2) رشيد الناصوري، المرجع نفسه ص 323.

(3) Tacitus, Ann., iv. 23; Mahjoubi, A. And Salma, P., "The Roman and Post - Roman Period In North Africa", General History Of Africa, Vol. II Unesco, 1981, Pp. 469f.

(4) Appians, Rom. Hist., I, 8. 1 Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 319

(5) Tacitus, Ann., II. 52; Geddeda, R. A., Op. Cit., P. 15. (6)

C. A. Hist., Vol. X, P. 643; Wells, J. And Barrow, R. H., Op. Cit., P. 66. (7)

Tacitus, Ann., II. 52; Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 128. (8)

Tacitus, Ann., II. 52. (9)

يذكر تالكيتوس وعدد آخر من المؤرخين من بعده أن تلك القوات كانت تتألف من عناصر تسليحها خفيف، ويقول جرهام إنها تتكون من نهاية جيش تكفريناس وكانت مهمتها أن تشن الحرب بالسيف والنار ولا تظهر أي شفقة ولا رحمة اتجاء المدن والقرى. ويضيف تالكيتوس أن تلك القوات كانت

مواجهته رغم استعانتهم بالملك بطليموس⁽¹⁾ ملك موريثانيا حيث استخدموا طرق الكماثن المفاجئة لمباغثة قواته وكثفوا من هجماتهم عليه وملاحقته وتتبع خطواته مما أدى إلى نجاح القوات الرومانية بقيادة نائب قنصل رومانى يسمى بومبيليوس كورنيليوس دولابيلا في محاصرته والهجوم عليه على حين غرة وقتل عدد كبير من قواته⁽²⁾ وقد قاتل تكفريناس حتى سقط في المعركة عام 24م⁽³⁾.

ومن نتائج هذه الحرب أن الجرامنت أرسلوا وفداً إلى الرومان مع القائد الرومانى دولابيلا يلتصقون الصفح عنهم لوقوفهم مع ثورة تكفريناس⁽⁴⁾ وقد رحبت روما بالوفد الجرامنتى لأنها وجدت فيه ما يحفظ عليها ماء وجهها حيث جنبها حرباً محفوفة بالمخاطر لأنها تعلم مصير حملاتها مسبقاً وما النجاح الذي أحرزه بالبوس في حملته ضد الجرامنت عام 19 ق.م. إلا لأنه أخذ الجرامنت على حين غرة⁽⁵⁾ وبالضرورة إن الجرامنت قد أصبحوا أكثر حرصاً وحذراً من أعدائهم الرومان⁽⁶⁾.

وإذا ما تسامنا لماذا أرسل الجرامنت وفداً إلى روما وهل هي القناعة بجرمهم أو الخوف قادهم إلى إرسال الوفد؟ وإزاء هذه التساؤلات، أقول: بعد إرسال الوفد لا نجد أي تقارب بين الطرفين وهذا يجعلنا نرجح أن الوفد الجرامنتى ربما أرغمهم على تكوينه دولابيلا وأن الخوف لم يكن الدافع وراء تكوينه وإنما الهدف منه على ما يبدو تهدئة غضب الرومان إلى أن يحين الوقت المناسب للانتقام منهم ولعل تدخلهم في الحرب بين أويا وليدة خير دليل على ذلك، ويؤكد الباحثون⁽⁷⁾ بأن الجرامنت لم يكن لهم نية في مسألة الرومان

(1) Tacitus, Ann., Iv. 26.

(2) يرى روستوفتروف أن لوحة الفسيفساء المكتشفة في داربوك عميرة تصور الأسرى الذين أخذهم الرومان بعد المعركة، حيث قتلهم في المسرح الدائري بلدة الكبرى، رغم أن المؤرخين يسيرون هؤلاء الأسرى إلى حملة فستوس، انظر

Rustovtzeff, M., Soc Econ Hist Rom Emp, Op. Cit., P. 338

(3) تمكن الرومان بقيادة دولابيلا من القضاء على ثورة تكفريناس بعد أن دامت سبع سنوات استعان الرومان فيها بالفرقة الأسبانية التاسعة وقد نُحِر في مدينة ليدة على نقش التكريس الذي قدمه دولابيلا لآلهة النصر، انظر.

Tacitus, Ann. Iul. 74; Graham, A. Op. Cit., Pp. 34 - 35.

(4) Tacitus, Ann. Iv. 26; Geddeda, R. A., Op. Cit., P. 16.

(5) Bates, O., Op. Cit., P. 105; Abdelalim, M. K., Op. cit., P. 157.

(6) مصطفى عبدالعليم، المرجع نفسه، ص 89.

(7) Tacitus, Hist. Iv. 50; Law, R. C. C., Op., Cit., P. 191.

ومن خلال حرب تكفيريناس اتضح للسلطات الرومانية أن الولاة المعيّنين من طرف مجلس الشيوخ غير صالحين لتولي القيادة العسكرية، لذلك عمل الإمبراطور كاليجولا (37 - 41) على نقل القيادة العسكرية إلى ضابط «LEGATUS» يعينه الإمبراطور وكانت له سلطة كاملة عسكرية وإدارية في المناطق التي ترابط فيها قواته⁽¹⁾، بينما بقيت الإدارة المدنية في يد قنصل تابع لمجلس الشيوخ⁽²⁾، وبعد القضاء على ثورة تكفيريناس استقرت المنطقة⁽³⁾ لفترة من الزمن تحت حكم تيريوس وأصبحت⁽⁴⁾ واحدة من مخازن القمح في الإمبراطورية الرومانية⁽⁵⁾.

وتؤكد بعض المراجع أن تيريوس كان صارماً خصوصاً مع الحكام المقصرين في واجباتهم ومرتكبي الأخطاء⁽⁶⁾، واستمرت أوضاع المدن الثلاث مستقرة طوال حكم كلوديوس ولوسيس نيرون⁽⁷⁾ الذي أعقبت اغتياله فترة من الفوضى والاضطراب تولى فيها أربعة من الأباطرة استطاع آخرهم فسبسيان الانفراد بالحكم⁽⁸⁾، وقد انعكست تلك الأحداث التي مرت بها الإمبراطورية الرومانية على المدن الثلاث حيث استقلت لينة وأويا هذه الحرب الأهلية «68 - 69» في روما لتسوية نزاع بينهما⁽⁹⁾، كان قد بدأ في بداية الأمر بين الفلاحين بإغارة كل منهما على الأراضي الزراعية للطرف الآخر

(1) Hamond, N. G. L. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 1094.

(2) أصبحت المنطقة من الناحية العملية تنقسم إلى منطقتين رغم أنها تعتبر من حيث المبدأ منطقة واحدة، انظر.

Cary, M. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 366.

(3) يرجح أن أويا مزدهرة كثيراً في عهد تيريوس، انظر.

Jenkins, G. K., "Som. Anc. Com. Lib." Op. Cit., P. 34.

Graham, A., Op. Cit., P. 34. (4)

Wells, J. And Barrow, R. H., Op. Cit., P. 67. (5)

Robinson, E. C., Op. Cit., P. 282. (6)

(7) لم تسجل المصادر القديمة أي أعمال حربية داخل الإقليم خلال هذه الفترة ويحتل أن الأوضاع استمرت مستقرة حيث أنشئ المسرح الدائري في مدينة لينة عام 56م. انظر

Humphrey, J., Frank S. And Vickers, M., Op. Cit., P. 4 - 12.

(8) بعد اغتيال الإمبراطور كلوديوس نيرون في أواخر 68م تشبعت حرب أهلية اشترك فيها كل من جالبيا، وأوتو وفسبسيان الذي تمكن من الانفراد بالحكم ومن نتائج هذه الحرب على إفريقيا استقلال كلوديوس ساكر بها الذي كان يتولى قيادة فيلق أغسطس الثالث ولكن عملاء جالبيا تمكنوا من اغتياله وتولى قيادة الفيلق تيريوس، حول ذلك انظر

Tacitus, Hist. Iv. 49; Haynes, E. L., Op. Cit., 37

Daniels, C. M., Gar. Sout. Lib., Op. Cit., P. 21 (9)

الجرامنت ما عدا الأشياء التي باعوها أثناء تجولهم في القرى البعيدة⁽¹⁾.

وبعد أن استولى فستوس على أويا⁽²⁾ عقد صلحاً بين المدينتين⁽³⁾، ويعتقد بعض الباحثين أن أحد المناظر على فسيفساء دأربوك عميرة تصور الأسرى الجرامنت⁽⁴⁾ وهم يقدمون كطعام للأسود في حلقات المصارعة في لبدة الكبرى⁽⁵⁾.

ولكي يعمل فاليريوس فستوس على إظهار مقدوته للإمبراطور الجديد⁽⁶⁾ قسبسيان والانتقام للهجوم الجرامنتي على مدينة لبدة قام بالتوجه إلى الجنوب يقود حملة عسكرية لتأديب الجرامنت⁽⁷⁾.

ولم يكن الهدف الوحيد للحملة تأديب الجرامنت فقط، وإنما على الأرجح كانت ذات أهداف أخرى أهمها رغبة الرومان في السيطرة على قبائل الجرامنت التي لم تخضع لهم⁽⁸⁾.

ويسجل بليني⁽⁹⁾ بأن الظروف في هذه الحملة قد تغيرت عما كانت عليه في السابق «عندما كان من المستحيل قبل هذا الوقت شق طريق إلى بلاد الجرامنت لأن قاطعي الطريق من هذا الشعب كانوا يملأون الآبار بالرمل».

وفي هذه الحملة أكتشف طريق قصير يستغرق أربعة أيام *Viae Quadridui* «*Deprehensum Est Conpendium* وهو المعروف بطريق رأس الصخرة *Praeter Caput Saxi*⁽¹⁰⁾؛ وإذا ما نظرنا إلى نص بليني عن الحملة فإننا لا نستطيع تصديق كل ما ورد في هذا النص، حيث إنه يشير إلى اكتشاف الرومان لطريق جديد، الذي ربما يكون جديداً على الرومان وليس على الجرامنت أسياد الصحراء، الذين أهملوا

(1) Tacitus, Hist., iv. 50; Solinus, 29, 6 - 7; Haynes, E. L., Op. Cit., P. 38.

(2) Pliny, Nat. Hist., V. 5. 38.

(3) Tacitus, iv. 50; Haynes, E. L., Op. Cit., P. 38.

(4) يذكر بعض الباحثين أن هذه المناظر تصور الجرامنت وهم يقدمون كطعام للأسود، ولكن رستوفتزف يخالفهم في الرأي، حيث يصف هؤلاء الأسرى بأنهم نوميديون حاربوا مع تكفريثاس، انظر

Rostovtzeff, M. Soc. Econ. Hist. Rom. Emp. Op. Cit., P. 338.

(5) Foucher, L., " Sur Les Mosaiques De Zliten" Libya Antiqua, Vol. I, 1964 Pp. 4ff.

(6) Tacitus, Hist., iv. 50.

(7) Law, R. C. C., Op. Cit., P. 191.

(8) Tacitus, Hist., iv. 50.

(9) Pliny, Nat. Hist., V. 5. 38.

(10) Pliny, Nat. Hist., V. 5. 38.

استعماله لكثرة الرمال به التي تعيق عرباتهم وخيولهم عن السير، لأن الخيول لا تتحمل العطش⁽¹⁾.

كما ذكر بليني أن الطريق يستغرق أربعة أيام، وهي فترة اقصر من أن يُقطع فيها الطريق⁽²⁾، ولعل المقصود أن قطعه يقل بمسيرة أربعة أيام⁽³⁾ عن الزمن الذي ذكره هيرودوت عند حديثه عن المسافة التي تفصل الجرامنت عن موطن اللوتفاجي «أن مسيرة ثلاثين يوماً تفصل الجرامنت عن موطن اللوتفاجي»⁽⁴⁾ وقد اختلف الباحثون في تحديد هذا الطريق، فقد رأى بعضهم⁽⁵⁾ أن الطريق ينطلق من جولايا «بونجيم» إلى هون ويفترض البعض الآخر أن الطريق ينطلق من أويا إلى مرزدة عبر الحمادة الحمراء، ومع ذلك لم يتم تحديده بدقة ولم يأت ذكره في المصادر الموثوق بها⁽⁶⁾، ومع ذلك فمن المؤكد أن طريقاً مباشراً قد تم استخدامه بين الجنوب والشمال عبر المدن الثلاث⁽⁷⁾.

ويرجح المؤرخون أن الفضل في نجاح الحملة يعود لاستخدام الرومان للجمال إذ أن وصولهم بهذه السرعة الغير متوقعة كان له تأثير الصاعقة على الجرامنت⁽⁸⁾ الذين هُزموا على يد فاليريوس⁽⁹⁾، وإن كنا فشك في قيمة هذا الانتصار، إذ يتضح من حديث بليني عن الحملة أنها لم تكن بالأمر الهين لأن الجرامنت في أثناء تراجعهم كانوا يطمرون أبار المياه بالومل⁽¹⁰⁾، وهذا يعني أن الجرامنت كانت لهم دراية بالخطيط الحربي، حيث إن تلك الخطوة تزيد العدو وتجعله يتخبط وسط رمال

(1) Goodchild, R., G. "Oasis Forts of Legio iii on the Routes to Fezzan", P. B. S. R., Vol. XXII.

(2) يؤكد بعض الباحثين هذا الرأي، وهو عدم استطاعة جيش فستوس قطع المسافة في أربعة أيام إلى بلاد الجرامنت، حوالى ذلك انظر

Daniels, C. M., *Gar Sout Lib.*, Op. Cit., P. 22.

Geddeda, R. A., *Op. Cit.*, P. 17. (3)

Herodotus, iv, 183. (4)

Haynes, E. L., *Op. Cit.*, P. 38. (5)

(6) ذكر جيمس ويلارد أن بارت وجد آثاراً رومانية على هذا الطريق من مرزدة إلى مزيق، انظر

Weillard, J., *Op. Cit.*, Pp. 322 - 323.

Pliny, *Nat. Hist.*, V. 5, 38. (7)

Brogan, O., "The Camel In Roman Trépolitania", P. B. S. R., Vol. 22, 1954, Pp. 126 - 131. (8)

Daniels, C. M., "Gar, Fezz.", *Op. Cit.*, P. 261. (9)

Pliny, *Nat. Hist.*, V. 5, 38. Law, R. C. C., *Op. Cit.*, P. 191. (10)

الصحراء القاحلة. كما كانوا يقطعون خطوط مواصلات العدو بشن الغارات المفاجئة مما دفع القوات الرومانية إلى التراجع بسبب الجوع والعطش⁽¹⁾، حيث أقام الرومان خطأً دفاعياً عند الرأس الصخري⁽²⁾، ويرى عدد من الباحثين⁽³⁾ أن الحملة قد حققت أغراضها متخذين من الحملات التي قادها الرومان «فيما بعد» نحو الجنوب دليلاً على هذا التجاح.

أما عن النتيجة المباشرة للحملة فهي إحلال السلام والعلاقات الطيبة بين الرومان المسيطرين على المدن الثلاث والجرامنت، وفتح المجال للتعاون المشترك ولو مؤقتاً⁽⁴⁾.

وكان الإمبراطور فسبسيان⁽⁵⁾ قد اقترح نزع الملكية، وفي ذات الوقت لم يكن على استعداد لفقد مصادر الدخل الحكومي، مما زاد من قسوة جامعي الضرائب في مناطق المدن الثلاث⁽⁶⁾، وكانت السبب المباشر لقيام الحرب بين الرومان والنسامونيين⁽⁷⁾ الذين ساءت علاقاتهم بالرومان بسبب فرض الإقامة على أفراد القبيلة في مناطق معينة من طرف جبهة الضرائب الرومان وحرمانهم من حرية الحركة والهجرة الموسمية⁽⁸⁾ التي كانوا يقومون بها إلى ناحية أوجلة في الجنوب⁽⁹⁾، كما

(1) محمد سليمان أيوب، جزمة من تاريخ الحضارة الليبية، ص 52. محمد سليمان أيوب، مختصر تاريخ لبر، ص 52.

(2) Bates, O., Op. Cit., P. 234.

(3) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 28; Dep. Antiq. Lep. Mag., Op. Cit., Pp. 15 - 16.

(4) Abdelalim, M. K., Op. Cit., P. 158.

(5) كانت هلافا دوميلا زوجة الإمبراطور فسبسيان إحدى مواطنات مدينة صبراتة. انظر

Ward, Ph., Sab., Op. Cit., P. 15.

(6) Salmon, E. T., Op. Cit., P. 231; Abdelalim, M. K., Op. Cit., P. 158.

(7) يعتبر النسامونيين من القبائل الكبرى في إقليم طرابلس، وقد امتدت منطقة إقامتهم إلى الداخل حيث كانوا يتركون قطعانهم في الصيف ويذهبون إلى أوجلة لجني ثمار النخيل، كما كانوا يعتمدون على السفن الفارقة في منطقتهم، وقد استطاعوا المتاجرة مع عدد من مناطق العالم كما يقول لوكان في كتابه التاسع عن الحرب الأهلية، حول النسامونيين انظر

Herodotus, II, 32, IV, 172, 182; Pliny, Nat. Hist., V, 5; Strabo, Geog., XVII, III, 20;

Seylax, in Diodorus Siculus, III, 49; Lucan, Bel. Civ., IX, 440.

(8) Rattering, E., "Military Forces in the Senatorial Provinces", J. R. S. Vol. 17, 1927, PP 28 - 29.

(9) كريستوف روجر «الرومان والصحراء الكبرى» ترجمة عماد الدين غام، الصحراء الكبرى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الجماهيرية، 1979 م، ص 196.

(9) Herodotus, IV, 182.

استخدم الرومان القسوة في تحصيل الضرائب من أفراد القبيلة، وكانوا ينتزعونها قسراً⁽¹⁾ مما دفع أفراد القبيلة للقيام بالثورة⁽²⁾ على جباة الضرائب الرومان وقتلهم⁽³⁾، وعلى إثر ذلك حرد الرومان حملة⁽⁴⁾ عليهم في 85 - 86 بقيادة سوليوس فلاكوس⁽⁵⁾، لكن النسامونيس تمكنوا من الانتصار على القوات الرومانية وقتلوا عدداً كبيراً منها ولاذ فلاكوس وجنوده بالفرار تاركين معسكرهم الذي احتله الثوار وغنموا ما فيه من أسلحة ومؤن، كان من بينها دنان الخمر التي دفعتهم إلى ارتكاب خطأ قاتل⁽⁶⁾، تمثل في إقبالهم على دنان الخمر يحتسونها والمؤن يلتهمونها بدلاً من مطاردة العدو والقضاء على قواته، وغفل النسامونيس عن إمكانية أن تركز عليهم القوات الرومانية، وكان للطعام والشراب الذي غنموه من المعسكر دور كبير في ذلك حيث غلبهم النوم، وما أن علم فلاكوس بالأمر حتى جمع فلوله المذعورة وكرّ على أعدائه وهم شبه أيقاظ من هول المفاجأة وأعمل فيهم السيف ضرباً وتقتيلاً⁽⁷⁾، وفي هذا السياق يؤكد المؤرخ ديوس «DIOS» أن القائد الروماني فلاكوس قد فتك بأفراد القبيلة غير المحاربين⁽⁸⁾ وهذا يبرهن على الروح العدائية التي تعصف بال عقلية الرومانية، ويبتل في ذات الوقت المزاعم الرومانية بأنهم جاعوا بالحضارة إلى البلاد

(1) Dios, Rom. Hist., Lxvii, Hayes, E. L., Op. Cit., Pp. 38 - 39

(2) يرجح أحد الباحثين أن أسباب ثورة النسامونيس ترجع إلى محاولة الإمبراطور دوميتيانوس مد حدوده المعدن الخمس إلى مناطق النسامونيس عند مذابح الأخوين فيسلايين، وأن النسامونيس تلقوا المساعدة من المكاي والبسولي، انظر

Geddeda, R. A., Op. Cit., P. 18.

(3) Dios, Rom. Hist., Ep., Lxvii; Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 131.

(4) يشير أيوب أن الحرب بين الطرفين بدأت بشجار بين النسامونيس والجنود الرومان ولكن معظم المؤرخين يؤكدون أن سبب الحملة قتل النسامونيس لجباة الرومان الذين كانوا يبتزون الأموال من المواطنين قسراً، وهو الرأي الأرجح، انظر

محمد سليمان أيوب، جريمة في عصر ازدهارها الذهبي، ص 179

(5) وفي مراجع أخرى سبتيوس فلاكوس، انظر

Salmon, E. T., Op. Cit., P. 231; Law, R. C. C., Op. Cit., P. 193.

(6) هذا الخطأ القاتل الذي ارتكبه النسامونيس ربما يكون مبنياً على معطيات سابقة منها تعويد الغليبيين على هروب الرومان وعدم الرجوع للقتال مجدداً وإلا كيف لا ينتهيون إلى إمكانية أن يكر عليهم الرومان، وربما هروب الرومان كان خدعة من فلاكوس لمحرمته المسبقة من إقبال الغليبيين على الخمر والطعام لاطمئنانهم أن الرومان لن يعودوا إليهم جرياً على عادتهم

(7) Dios, Rom. Hist., Ep., Lxvii, Zonaras, Annals, Xa, 19.

(8) Dios, Rom. Hist., Ep., Lxvii.

ولكم افتخر الإمبراطور دوميتانوس وهو يعلن أمام مجلس الشيوخ بأنه قد حرم النسامونيس من الحياة⁽¹⁾، ولكن هذا القول لا يخلو من المبالغة ويعد مجرد أماني كانت تراود الإمبراطور وهي أن يتمكن من القضاء على النسامونيس⁽²⁾ لأنهم استمروا يذكرون في المصادر الرومانية، ليس أدل على ذلك من تحالفهم مع الجرامنت ومهاجمة المدن الثلاث في عهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس⁽³⁾.

وقد ارتبطت الأحوال الأمنية في المدن الثلاث بنشاط القبائل الليبية خاصة الجرامنت ويظهر أن الأمور قد استقرت بعد حملة فسقوس ووقوع الصدام بين النسامونيس والرومان، حيث ذكرت المصادر اللاتينية أن الإمبراطور دوميتانوس استقبل بعثة ليبية برئاسة شخص يدعى مرسيس وتمت تلك المقابلة في بلاد الغال، ورغم أن المصادر اللاتينية ذكرت أنه زعيم النسامونيس⁽⁴⁾، إلا أن الأقرب للصواب هو أن يكون ملك الجرامنت لأن المقابلة تمت بعد عدة أسابيع من إعلان دوميتانوس أمام مجلس الشيوخ بأنه قد تم القضاء على النسامونيس فالأقرب إلى الصواب أن يكون ملك الجرامنت وليس ملك النسامونيس⁽⁵⁾.

ويرجع عقد معاهدة بعد هذه المقابلة ربما نصت على مساعدة الرومان لملك الجرامنت في فتح الطرق التجارية الجنوبية، والتي نتج عنها إحلال السلام بين الرومان في المدن الثلاث والجرامنت⁽⁶⁾، ولعل العثور على أوان مصنوعة في بلاد الغال يدعم عقد هذه الاتفاقية التي نفذت بعد تلك المقابلة⁽⁷⁾.

أما أسباب هذه الصداقة والتعاون المشترك، فربما تكمن في رغبة الرومان إلى مهادنة الجرامنت والتقرب إليهم خصوصاً بعد أن وقع الصدام بين الرومان والنسامونيس⁽⁸⁾، ومن ناحية ثانية اقتناع الجرامنت بعدم جدوى الحرب مع الرومان

(1) Edin; Dionysius Periegesis, 218.

(2) فوزي فهم جاد الله «المعارك والمواقع الحربية الهامة بين الليبيين والمستعمرين من الإغريق والرومان» مركز دراسة جهاد الليبيين، الموسم الثقافي، 1981م، ص 5، 8.

(3) Geddeda, R. A., Op. Cit., P. 18; Gruham, A. Op. Cit., P. 282.

(4) Ptolmy, I. 8.4.

(5) محمد سليمان أيوب، مختصر تاريخ قرآن، ص 53.

(6) Geddeda, R. A., Op. Cit., P. 18.

(7) محمد سليمان أيوب (جرمة في عصر ازدهارها الذهبي) ص 179 - 180.

(8) انظر المصاحفات السابقة من 79 - 80.

المسيطرين على المدن الثلاث وبخاصة بعد استعمالهم للابل واستخدام الطرق القصيرة نحو الجنوب⁽¹⁾ ومن ناحية ثالثة قيام قبائل الصحراء بقطع الطريق على تجارة الجرامنت مستغلين انشغالهم بالحرب مع الرومان، ومن ناحية أخرى أغلقت المدن الساحلية أبوابها في وجه تجارة الجرامنت بسبب الحرب بين الطرفين⁽²⁾.

وربما كان الرومان يهدفون من علاقات الصداقة إلى إقامة وكالات تجارية في جزمة⁽³⁾ كانت تلك الأسباب الرئيسية لعلاقات الصداقة بين الجرامنت والرومان وهي التي شجعت على الحملات الرومانية نحو الجنوب التي كانت تختلف في طبيعتها⁽⁴⁾ إلى حد ما عن الحملات الرومانية السابقة وقد سجلها بطليموس في ملاحظة هامشية وكانت أولى تلك الحملات بقيادة سبتيموس فلاكوس⁽⁵⁾ قائد الفرقة الاغسطية الثالثة⁽⁶⁾ الذي قاد قوة عسكرية من المدن الثلاث إلى جزمة ثم توجه منها جنوباً ووصل بعد ثلاثة أشهر إلى إثيوبيا⁽⁷⁾، ويشير بعض الباحثين إلى أن هذه الحملة هي استمرار لحملة يوليوس فلاكوس ضد النسامونيس ويرجحون أن فلاكوس بعد هزيمته للنسامونيس طاردهم نحو الجنوب حتى نهاية بلاد الجرامنت⁽⁸⁾.

ونظراً للغموض الذي يلف هذه الحملة فإنني أركن إلى الرأي السابق خصوصاً وأن المصادر لم تذكر شيئاً عن أي مساعدة من قبل الجرامنت للحملة، وهذا يؤكد أن الحملة لم تكن موجهة ضد الإثيوبيين وإلا لاستعان الرومان بالجرامنت كما حصل في الحملة الثانية بقيادة ماتيرينوس ولذلك اتفق مع بعض الباحثين في أن الحملة كانت من أجل ردع⁽⁹⁾ ومطاردة النسامونيس⁽¹⁰⁾ وربما كانت ذات هدف آخر وهو استكشاف المنطقة عسكرياً واقتصادياً⁽¹¹⁾ في ذات الوقت.

(1) Pliny, Nat. Hist., V. 5, Daniels, C M, Gar Sout Lib Op Cit, P. 22

(2) محمد سليمان أيوب (جزمة في عصر ازدهارها الذهبي) ص 179

(3) مصطفى عبدالمعطي، المرجع نفسه، ص 91

(4) Kerwan, L. P., " Rom. Exped. Upp. Nat. Ch. Dar. Reg.", Op. Cit., P. 254.

(5) Ptolemy, I. 8, 4; Cary, M. And Sullard, H. H., Op. Cit., P. 458.

(6) Bovill, W. E., Op. Cit., P. 38, Ofrood, R. L., Op. Cit., P. 326.

(7) Irt No. 854; Desanges, J. Latomus, Vol 23, 1964, Pp. 713 - 725.

(8) Law., R. C. C., Op. Cit., P. 193.

(9) Edim.

(10) محمد سليمان أيوب (جزمة في عصر ازدهارها الذهبي)، ص 179

(11) Daniels, C M, Gar Sout Lib., Op. cit., P. 23.

أما تاريخ الحملة فإننا لا نستطيع تحديده يقيناً لأن معظم المراجع تُعطي تواريخ مختلفة لها، ومع ذلك فإن أغلبها تؤكد حدوثها في عهد دوميتيانوس⁽¹⁾، وأرجّح وقوعها في عام 86م إذا اعتبرناها امتداداً للحملة التي خرجت ضد النسماونيس.

إضافة للحملة السابقة قاد الرومان حملة أخرى في عهد الإمبراطور تراجان⁽²⁾ بقيادة يوليوس مايتريينوس «JULIUS MATERNUS» الذي تحرك بقواته من مدينة لبدة إلى جرمة، بعدها سار إلى الجنوب برفقة ملك الجرامنت وقواته، وبعد رحلة دامت أربعة أشهر وصل الحليفان إلى منطقة تسمى أجيسمبا «AGISYMBΑ» حيث يوجد وحيد القرن بكثرة⁽³⁾

وكانت أقصى نقطة وصلت إليها الحملة مثار نقاش من قبل معظم الباحثين⁽⁴⁾ وقد اقترح بعضهم عدة مناطق لأقصى نقطة وصلتها الحملة مثل بحيرة تشاد، واعتبر البعض الآخر⁽⁵⁾ أجيسمبا هي النيجر⁽⁶⁾ أو أير أو تبستي⁽⁷⁾ وبالنظر لطبيعة الحملة ولأنها موجّهة ضد قطاع الطرق والعدة القصيرة التي استغرقته، ربما لم تتعد حدود أير أو تبستي⁽⁸⁾.

(1) تحدد معظم المراجع تواريخ مختلفة لتلك الحملة من ذلك رجيح كيروان وجيمس ويلارد وبيتس حدوثها في عام 100م ويرجح لاور حدوثها بعد 86م ولكنهم في الغالب يتفقوا على وقوعها في عهد دوميتيانوس، انظر

Kirwan, L. P., "Rom. Exped. Nil. Ch. Dar. Reg.", Op. Cit., P. 254, Law, R. C. C., Op. Cit., P. 193; Bates, O., Op. Cit., P. 234.

(2) لم يُحدد تاريخ دقيق للحملة ولكن يرجح حدوثها في عام مائة أو قبلها بقليل أي في عهد تراجان، انظر

Bovill, W. E., Op. Cit., P. 40.

(3) Ptolemy, I. VIII 4; Cary, M. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 458

(4) لا أريد الدخول في التفاصيل والمجادلات التي دارت حول هذا الموضوع ونكتفي بلمحة مختصرة أذكر من خلالها المراجع التي تناولت الموضوع بالبحث والنقل.

(5) C. A. Hist. Vol. Xi, P. 145; Haynes, E. L., Op. Cit., P. 38.

(6) Kirwan, L. P., Rom. Exped. Upp. Nil. Ch. Dar. Reg., Op. Cit., P. 254.

(6) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 38.

(7) حول المناطق التي وصلت إليها الحملة والمناقشات التي دارت حولها، انظر

Danels, C. M., Gar. Sout. Lib., Op. Cit., P. 23; Law, R. C. C., Op. Cit., Pp. 193, 197, 200, Wellard, J. Op. Cit., P. 327.

(8) Kirwan, P. L., "Rom. Exped. Upp. Nil. Ch. Dar. Reg.", Op. Cit., P. 257

وكانت تلك المنطقة الجنوبية ذات أهمية كبرى للرومان لسيطرتها على الطرق المتجهة شمالاً إلى ليبيا أو مصر ولذلك حرص الرومان على أن تبقى في أيدي حلفائهم الجرامنت⁽¹⁾.

أما الهدف الأساسي للحملة فهو اقتصادي في جملته تمثل في تطهير المسالك التجارية⁽²⁾، وربما أيضاً البحث عن أماكن التجارة الإفريقية⁽³⁾، ومن أهم نتائج الحملة نمو التجارة وازدهارها⁽⁴⁾ بين جزمة والمدن الثلاث⁽⁵⁾ التي يسيطر عليها الرومان، ويعتبر قيام الرومان بهاتين الحملتين عبر أراضي الجرامنت ومساعدتهم «خصوصاً في الحملة الثانية، دليلاً على مدى الصداقة والتعاون بين الرومان والجرامنت⁽⁶⁾ في تلك الفترة

ويؤكد بعض الباحثين أن القرن الثاني الميلادي كان فترة رخاء وسلام بالنسبة للمدن الثلاث بصفة خاصة والإمبراطورية بصفة عامة⁽⁷⁾، ومع ذلك لا نستطيع أن نؤكد أن الأمور كانت مستقرة بشكل دائم حيث يشير بعض الباحثين إلى أن جيش تراجان هاجم الحصون الشديدة في أفريقيا حوالي عام 113م⁽⁸⁾.

أما عن أنظمة الحكم فقد استمرت نفس النظم التي كانت في عهد أغسطس حتى بداية القرن الثاني عندما حصلت المدن الثلاث على درجة المستعمرات الرومانية وكانت لبدة الكبرى أولى المدن التي حصلت على وضع المستعمرة الرومانية فيما بين 109 - 110 م، أي في عهد الإمبراطور ترجان⁽⁹⁾ COLONIA «TRAIANA FIDELIS LEPTIS MAGNA ويرجع أن حمامات المدينة التي تحمل

(1) KIRWAN, P.L., «ROM. EXPED. UPP. NIL. CH. DAR. REG.», Op. cit., P. 257

(2) Bates, O., Op. Cit., Pp. 105, 234, Wellard, J., Op. Cit., P. 327.

(3) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 38.

(4) Darms, J. H., J. R. S., 1974, Pp. 104ff.

(5) وقد أكد بطليموس بأن عدداً كبيراً من المسافرين كانوا ينتقلون بين لبدة وجزمة في عهده، انظر: Ptolemy, I, 10. 3

(6) Daniels, C. M., Gar. Sout. Lib., Op. Cit., P. 23.

(7) Geddeda, R. A., Op. Cit., P. 19.

(8) Daniels, C. M., Gar. Sout. Lib., Op. Cit., P. 25; C. A. Hist., Vol. Xi, P. 176.

(9) Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom Emp., Op. Cit., P. 335.

اسمه ⁽¹⁾ قد بُنيت بهذه المناسبة.

ونالت أويبا وضع المستعمرة في منتصف القرن الثاني وصبراته في نفس الفترة ⁽²⁾ تقريباً وبالتحديد في 157م ولعل مباني المدينة وتوسعها يعود لتلك الفترة ⁽³⁾

ولا نعتقد أن المدن الثلاث حصلت على وضع المستعمرة مباشرة وعلى الأرجح قد مرت بمرحلة البلدية ⁽⁴⁾ الرومانية المعروفة بمونيكيبيا ⁽⁵⁾ «MUNICIPIA».

وكان لقب مستعمرة يُعطى لإرضاء كبرياء المواطنين في مدن الإمبراطورية، واعتبر بعض الباحثين ⁽⁶⁾ هذه الرغبة من قبل المدن في الحصول على وضع مستعمرة دليلاً على تقديرهم للحكم الروماني، ولكنني أراها ما هي إلا وسيلة للهروب من دفع الضرائب أو تخفيفها والحماية من ظلم القناصل وفي ذات الوقت منافسة للمدن الأخرى.

ويرجح أن المدن الثلاث قد غيّرت من نظام الحكم بها بعد حصولها على مرتبة المستعمرات ⁽⁷⁾ بحيث أصبح السوفيت يُطلق عليهم ديوفيري ⁽⁸⁾ أوديوفيري

(1) حول حمامات تراجان التي تحمل اسمه وكذلك عن المخلعات الأثرية، انظر

Bruse, J., In Libya "1766" The Society For Libyan Studies, First Annual Report, 1969 - 1970, Pp. 12ff.

(2) Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 335.

(3) حول النواحي العمرانية في مدينة صبراتة خلال العصر الروماني وتوسعها في القرن الثاني، انظر: Apuleius, 73, Ward, Ph., Sub., Op. Cit., P. 22; Stan. Res. Inst., Op. Cit., P. 22

(4) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 42.

(5) Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 146.

(6) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 42.

(7) من الوسائل التي لا تزال يتبعها الحكام حتى العصور الحديثة لترسيخ نفوذهم هو محاباة مدينة أو مدن على حساب المدن الأخرى ومنحها العناية والدعم لإشغال المنافسة والخصومات بينها حتى يتمكنوا من إحكام قبضتهم عليها وأشغالها عن واقعها الأليم الذي تعيشه، وهذا ما اتبعه الرومان مع المدن التي سيطروا عليها

(8) كان الحاكم «الديوفيري» ينتجان لمدة عام ويجلسان على كرسي من العاج ويسرتديان حُلّة بيضاء لها حواف أرجوانية ويتولى حراستهما جنديان يحملان حزمة من العصي بدون، لاس، انظر.

Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 146.

كينكليانليس⁽¹⁾ وأصبح مجلس الشيوخ⁽²⁾ الذي يرأسه يسمى أوردو ديكورونوم⁽³⁾ «ORDO DECURIONUM» أما المحزم والذي كان يُستخدم في المدن فقد أصبح يسمى ايديليس «AEDILES» ومهمته القيام بالأعمال اليومية⁽⁴⁾، أما الأعمال المالية فكان يتولى القيام بها كويسطور كما كانت الجمعية الشعبية تتكون من مجموعة دوائر انتخابية⁽⁵⁾ اختصاها اختيار القضاة من كشف يقدم لها، والموافقة على مقترحات أو قرارات ترقية لمرتبة شرف أعلى⁽⁶⁾.

أما الفائدة التي عادت على المدن الثلاث من هذا الوضع الجديد فلعلها لم تتعد تطبيق ضريبة الوفاة على كافة السكان بعد أن كانت تطبق على المواطنين⁽⁷⁾ فقط.

أما عن النظم خارج المدن الثلاث فقد بقيت القرى والقيائل الليبية على نظمها السابقة التي اعتمدت على شيوخ القرى ومسوظف يسمى بريفيكت «PRAEFECTS» تعينه السلطات الرومانية ليكون حلقة اتصال بينها وبين المواطنين⁽⁸⁾، وهذا الموظف ربما يتم اختياره من بين القادة والزعماء المحليين

(1) القاضيان المنتخبان سنوياً يطلق عليهما ديوفيري وهو لقب يوازي قنصل روماني أو ديوفيري كينكليانوس وهو يطلق على القاضيين المنتخبين لمدة خمس سنوات إذا كان العمل يقتضي تحمل مسؤوليات أو تمجيد أكثر، انظر

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 43.

(2) حول مجلس الشيوخ في إفريقيا، انظر

Hamond, N. G. L. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 22.

(3) وهي تعني المواطن الثري الذي سبق له العمل قاضياً أو جديراً بهذا المنصب

(4) من أهم الأعمال اليومية التي يقوم بها الايديليس، الإشراف على الطرق والأسواق وتوزيع الحنطة والإشراف على الألعاب، انظر

محمد علي عيسى، المرجع نفسه، ص 39.

(5) كان سكان كل مدينة يقسمون إلى دوائر انتخابية أطلق عليها كوريا لكل واحد منها اسم خاص،

فكانت الدوائر في لبة قد اتخذت أسماء من أسرة تراجان لأنه منحها وضع مستعمرة، وأطلقت

سيرة على دوائرها أسماء أشخاص من الأسرة الأنطونية، انظر

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 43.

Julien, ch. A., Op. Cit., P. 146.

(6)

(7) تعددت أنظمة الحكم الروماني في المدن الإفريقية بحسب الظروف التي عاشتها الإمبراطورية وما

تبع ذلك من تقلبات سياسية واقتصادية للمزيد عن أنظمة المدن الإفريقية انظر:

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 44; Julien, Ch. A., Op. Cit., PP. 146 – 147.

(8) محمد الجراري، الاستيطان الروماني في ليبيا، المرجع نفسه، ص 28.

وتخضع عليه السلطات الرومانية الحلة الحمراء وتسلمه عصي العاج، وربما كان هؤلاء الحكام قد اتخذوا لأنفسهم القاباً مختلفة⁽¹⁾، ويرى بعض الباحثين أن القرى الليبية كانت تضم من بين عناصرها السياسية ما يسمى باللجنة العليا والجمعية العمومية التي تتكون من جميع رجال القرية⁽²⁾.

أما القبائل الليبية فقد حافظت على انظمتها القديمة، ويرجح أن الرومان وضعوا إلى جانب رؤسائها حاكماً عسكرياً أو مدنياً كما بينت ذلك النقوش التي عُثر عليها في الإقليم⁽³⁾.

ويبدو أن السلام النسبي قد عمّ المدن الثلاث حتى عهد الأسيرة السفيرية، ويرى بعض الباحثين أن مدينتي أويا ولبددة⁽⁴⁾ شهدتا أعظم رخاء اقتصادي وكرس البروقنصل مكيبياووقسريتوس «SCIPIO OEFRITOS» في 163 م قسوس للإمبراطورين أنطونيس وماركوس أوريليوس القائد ل. فيروس، داخل مدينة طرابلس⁽⁵⁾ ومع ذلك فإننا نرى أن هذا التكريس ليس دليلاً كافياً على ازدهار المدينة أو المنطقة بصفة عامة.

(1) Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 147

(2) اشتملت شمال أفريقيا على عدد كبير من القرى والتي اختلفت في تكوينها ونظامها، انظر Rostovtzeff M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op., Cit., P. 319.

(3) محمد الجراي «الاستيطان الروماني في ليبيا»، المراجع نفسه، ص 29

(4) تعددت المشاريع العمرانية في مدينة لبددة ومنها المدرج الروماني «السرك» الذي تم إنشاؤه في 161 - 162 م ولعل هذه المشاريع تدل على رخاء المدينة الاقتصادي، انظر

Hupbery, J., Frank, S. And Vickers, M., Op. Cit., Pp. 4ff.

Graham, A., Op. Cit., P. 121; Ettore, R., Op. Cit., P. 13. (5)

الفصل الرابع

من تنظيمات سفروس إلى إصلاحات دقلديانوس

أولاً: الأسرذ السفيرة.

ثانياً: اضطراب الأحوال السياسية بعد العهد السفيري.

ثالثاً: إصلاحات دقلديانوس.

رابعاً: دور القبائل الليبية في إنهاء الحكم الروماني.

أولاً: الأسرة السفيرية:

تميّز القرن الثاني الميلادي بانتشار السلام في شمال إفريقيا بصفة عامة والمدن الثلاث على وجه الخصوص، إذ لم تُسجل هجمات حربية من قبل القبائل الليبية على المدن الثلاث التي ازدهرت ونمت في تلك الفترة⁽¹⁾. وفي نهاية القرن الثاني شهدت الإمبراطورية الرومانية صراعاً دامياً على تولي الحكم⁽²⁾، تمكّن خلاله سبتيموس سيفيروس من انتزاع حكم الإمبراطورية⁽³⁾ بدعم من قواته التي كان يتولى قيادتها في بانسونيا عام 193م، واستمر في الحكم حتى عام 211م⁽⁴⁾.

(1) Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 338.

(2) حول الأحداث التي شهدتها الإمبراطورية الرومانية والطريقة التي تم بها إختيار الأباطرة بعد مقتل كمودس في 192م، والمزيد عن هذه الأحداث، انظر

Parker, H. M. D., A History Of The Roman World From A. D. 138 To 337, Second Edition Revised, London, 1958, Pp. 55 - 61.

ول ديورانت، قصة الحضارة، الحضارة الرومانية، ترجمة محمد بدران، الجزء الثالث من المجلد الثالث، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، ص 321 - 332.

(3) لم يتمكن سيفيروس من حكم الإمبراطورية إلا بعد أن خاض غمار الحرب الأهلية ضد كل من جايوس بيسينيوس نيجر وكلسوديوس البيقوس، كما تم القضاء على جوليانوس المخضار من طرف الحرس الإمبراطوري، انظر،

Nilsson, P. M., Op. Cit., Pp. 68 - 71

(4) Strong, D. E., "Septimus Severus At Leptis Magna And Cyrene", The Society For Libyan Studies, Fourth Annual Report, 1972 - 73, P. 27.

ولد سبتيموس سيفيروس بمدينة ليدة الكبرى عام 146م⁽¹⁾، وتلقى بها مراحله دراسية الأولى وانتقل بعدها إلى روما، حيث تقلد عدة مناصب عسكرية ومدنية⁽²⁾، قبل وصوله للحكم، وترجع معظم المراجع انتماءه لأصل ليبي⁽³⁾، وقد استندت في هذا الرأي إلى اهتمامه بالمدن الثلاث وتحصينها ومنحها الحقوق الرومانية⁽⁴⁾، وأرى أن هذا ليس دليلاً كافياً على أصله الليبي لأن الحقوق والامتيازات التي حصلت عليها ليدة الكبرى نالتها مدن أخرى في الإمبراطورية، كما أن أعمال التحصين التي قامت بها الأسرة السيفيرية، كان الغرض منها حماية المدن الساحلية التي يوجد فيها الرومان وفي ذات الوقت ضرب الليبيين في المزارع المحصنة بإخوانهم أبناء القبائل الصحراوية.

ولما تولى سبتيموس سيفيروس⁽⁵⁾ مقاليد حكم الإمبراطورية قام بعدة أعمال عظيمة أهمها تنظيم الولايات⁽⁶⁾ وحمايتها، وتوجيه الحملات العسكرية إلى كل من بارثيا في عام 199م، وبريطانيا واسكوتلندا⁽⁷⁾، وزيارة بعض مناطق الإمبراطورية⁽⁸⁾. وقد أعقبت الحملات العسكرية التي قادها الرومان نحو جنوب ليبيا فترة من

(1) Dio Cassius, Lxxvi 17, 4; Platner, M., The Life And Reign Of The Emperor Lucius Septimus Severus, First Green Wood Reprinting 1970, Printed In The United States Of America, P. 24.

(2) Ettore R. Op. Cit., P. 13; Soumes, J., Op. Cit., P. 42.

(3) Parker, H. M. D., Op. Cit., P. 58; Meiggs., Roman Ostia, Second Edition, Oxford, At The Clarendonpress, 1937, P. 530.

(4) Ettore, R., Op. Cit., P. 13.

(5) تميز سيفيروس بالكثير من الصفات مثل نفاذ البصيرة والصرامة في الأحكام وكان متمكناً في الآداب الرومانية وكان يتكلم اللغة الفنيقية، تزوج لثمرة الثانية من فتاة سورية تدعى جوليا دومنا «Julia Domna» التي أنجبت له كاراكلا وجيتا، انظر

Cary, M. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 651; Nilsson, M. P., Op. Cit., Pp. 68 - 71; Warmington, Curt. Op. Cit., P. 239.

(6) C. A. Hist., Vol. Xii. The Imperial Crisis And Recovery, Ed. Cook. S. A., Adcock F. M., Charles Worth, M. P. And Baynes. N. H. Cambridge At The University Press, 1956, P. 70.

(7) Cary, M. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 492.

(8) من المناطق التي زارها سيفيروس، سوريا وفلسطين وأفريقيا، انظر Parker, H. M. D., Op. Cit., Pp. 71 - 72.

الهدوء⁽¹⁾ والرخاء استمرت إلى أواخر القرن الثاني خصوصاً في المدن الثلاث⁽²⁾ التي لم تشهد في تلك الفترة غارات القبائل الليبية، ولكن مع نهاية القرن الثاني تغيرت الظروف الأمنية، حيث واجه الرومان عدة مشاكل⁽³⁾، دفعت الإمبراطور سبتيموس سيفيروس إلى الدعوة بتوفير الأمن الكامل للمدن الثلاث، بالقضاء على القبائل التي تعشق الحرب⁽⁴⁾: «TRIPOLIM UNDE ORUNINDUS BRAT, CON-TUSIS BELLICOSIS SIMIS GENTIBUS SECULLSSIMAM VEDDIDIT».

ويرجح أن تلك القبائل الجنوبية التي هاجمت المدن الثلاث كانت تشمل الجرامنت والنسامونيس⁽⁵⁾، ولعل ما يؤكد ذلك أن سيفيروس أوقف انتصاراته باليد في بناء القلاع والحصون الحربية، على الطرق الرئيسية المتجهة نحو الجنوب⁽⁶⁾، وتشير المصادر الأدبية⁽⁷⁾ إلى أن الإمبراطور سيفيروس وجه حملة حربية ضد تلك القبائل، وتمكن من هزيمتها، أثناء زيارته لمدينة لبدة الكبرى مسقط رأسه فيما بين 203 - 204م، حيث شيد أهل لبدة الكبرى قوس نصر على شرفه⁽⁸⁾، وقد صور ذلك القوس مراسم الاستقبال التي أقيمت له في تلك الزيارة.

(1) لم تذكر المصادر والمراجع أي حروب في منطقة المدن الثلاث خلال تلك الفترة ويعكس بقية مناطق أفريقيا التي نشرت فيها القبائل المسمراوية الاضطراب وربما انتقلت غاراتها إلى إسبانيا، انظر

C. A. Hist., Vol. Xh, P. 20.

Rostovtzeff, M., Soc Econ Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 338. (2)

Juhn, Ch. A., Op. Cit., P. 132; Law, R. C. C., Op. Cit., P. 193. (3)

The Scriptorum Historiae Augustae, Severus, Xviii, 3 L. C. L. (4)

(5) محمد الجبراري «موقف القبائل الليبية من العود الروماني» مجلة الثقافة العربية، العدد السابع، السنة التاسعة، يوليو 1982م، ص 71

Irt, Nov, 907 - 908 - 913 - 916, Goodchild, R. G., "Mapping Roman Libyan" The (6) Geographical Journal, N. L., Vol., Cxvii, Part 2 June 1952, Pp. 142 - 152.

The Scriptorum Historiae Augustae, Severus, Xviii, 3; Aurelius Victor, Caesar, Xx, 19; (7)

Cary, M. And Scullard, H. H., Op. Cit., PP. 492, 503

(8) أقيم قوس النصر لسبتيموس سيفيروس على أكبر الطرق التي تربط المدينة بالمهلاء وتكون القوس من أربع واجهات صُورت عليها معارك تدل على استمرار حملات الإمبراطور في الشرق، كذلك مجموعات من الفرسان وتقديم القرابين، وموكب الاستقبال السدي أقيم على شرف الإمبراطور ويعنى اقتصرحات، كما يصور الحياة الغنية والزراعية، انظر

Grant, M., History of Civilisation the World of Rome, Weidnefeld and Nicolson 20 New Bond Street, London W1, 1960, PP. 250 - 251, 271; Toyabce, J. The Art of The Romans, 1965, PP. 73ff. Bartoccini, R., Afr Ital., Vol. 4, 1931; PP. 32ff; Irt, No. 400.

منح سببتيوس سيفيروس الحقوق الرومانية «IUS ITALICUM» لمدينة لبدة الكبرى⁽¹⁾، ويرجع الباحثون أن المدينة - تستغل أراضيها بحرية ومعفاة من الضرائب⁽²⁾، ويرى فريق آخر من الباحثين أن الحقوق الإيطالية «الرومانية» لمدينة لبدة الكبرى قد منحها لها الإمبراطور كاركلا⁽³⁾ ابن سيفيروس ولكن على الأرجح أن تلك الحقوق قد حصلت عليها منذ عهد سيفيروس ولعل إضافة اسم سببتيوس إلى اسم مدينتهم وتسمية أنفسهم باسم السببتيين وتشبيدهم قوس النصر لسببتيوس سيفيروس⁽⁴⁾، دليل على حصولهم على بعض الامتيازات منه وليس من الإمبراطور كاركلا، الذي ربما أكد على حقوق لبدة الرومانية خلال حكمه

وكانت السياسة الرومانية خلال القرنين الأول والثاني تعتمد في نظمها الدفاعية على التحكم في الطرق التجارية المتجهة جنوباً والسيطرة على شؤون القبائل الليبية عن طريق إرسال الحملات العسكرية التأديبية التي كانت تقوم بها الجيوش الرومانية المرابطة في المدن الساحلية⁽⁵⁾، وقد تخلى سببتيوس سيفيروس عن تلك السياسة التقليدية برمتها ووضع أسساً ثابتة لنظم دفاعية جديدة لحل مشاكل التخوم استكملها خلفاؤه من بعده⁽⁶⁾، خصوصاً كاركلا والإكسندر سيفيروس اللذين كانت نشاطاتهما منصبة على الاهتمام بالطرق والمزارع المحصنة.

وقد تمتعت المدن الثلاث بفترة من السلام خلال العهد السفيري⁽⁷⁾ اهتم أثناءها سيفيروس بإقامة المنشآت العامة في معظم مناطقها بصفة عامة ومدينة لبدة على وجه الخصوص ومن أهمها الميناء والسوق⁽⁸⁾، وإن كان المستفيد الأول من تلك

(1) Ettore, R., Op. Cit., P. 13, Soames, J., Op. Cit., P. 22.

(2) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 44; Dep. Antig. Lep. Mag., Op. Cit., P. 16.

(3) تذكر بعض المراجع بأن الحقوق الرومانية قد مُنحت لمدينة لبدة الكبرى وبعض المدن، الأخرى في أفريقيا مثل قرطاجة وأوتيكا من طرف الإمبراطور كاركلا، انظر

Digest, L. 15. 8. II; C. A. Hist., Vol. XI, P. 456; Vol. XII, P. 25.

(4) Int., No. 400; Haynes, E. L., Op. Cit., P. 44.

(5) Cary, M. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 438

(6) Spatzinus, XVIII, 3; Goodchield, R. G. And Wardperkins, J. B., Lim. Trip. Lig. Rec. Discov., Op. Cit., Pp. 81 - 95.

(7) Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 338

(8) اهتمت الأسرة السفيرية بإقامة الكثير من المشاريع العمرانية التي قصد من وراءها خدمة مصالح الرومان في المدن الثلاث وتركزت تلك الأعمال بصورة خاصة في مدينة لبدة الكبرى التي تطورت في تلك الفترة حيث تم توسيع ميناء المدينة وأنشئت بالقرب منه حمامات وبأراضيها كما يرجع توسيع

الأعمال هم الرومان أنفسهم والطبقة المترومنة من الليبيين أما بقية السكان الأصليين فلم يستفيدوا منها شيئاً.

وتشير بعض المراجع إلى أن أهل لبدة الكبرى قد بالغوا في تقديرهم للإمبراطور سيفيروس حين تعهدوا بتقديم كمية من زيت الزيتون لروما بدور مقابل وبصورة مستمرة والتي تحولت مع مرور الزمن إلى ضريبة مفروضة حتى أعفاهم الإمبراطور قسطنطين منها⁽¹⁾

وبعد رجوع سيفيروس إلى روما في 204م تم إعلان كل من كاركلا وجيتا قنصلين في عام 205م⁽²⁾، وقد استمر سيفيروس⁽³⁾ في الحكم حتى عام 211م وكانت آخر أعماله محاربة الأسكتلنديين في عدد من المعارك⁽⁴⁾، عاد بعدها إلى بريطانيا حيث قضى فحبه في يورك 4 فبراير 211م⁽⁵⁾، وقد أوصى ولديه قبل وفاته بأن يجزلا العطاء لجنودهما ولا يهتما بشيء بعد ذلك⁽⁶⁾

وقد خلف سيفيروس في حكم الإمبراطورية الرومانية ابنه كاركلا⁽⁷⁾ الذي كان

السوق أو إعادة بنائه في تلك الفترة يضاف إلى تلك الشوارع والساحات انظر

Bartoccini, R., Op. Cit., pp. 32ff; Stan. Res. Inst., Op. Cit., P. 23. Meiggs, R., Op. Cit., P. 77

Haynes, E. L., Op. Cit. P. 44; Julien, Ch. A. Cit., P. 159. (1)

C. A. Hist., Vol. Xii, P. 21; Graham, H., Op. Cit. P. 204. (2)

للعرب عن سيفيروس ومواده وتعليمه وأسرتة وزواجه في لبدة وسوريا والأعمال التي قام بها، انظر (3)

Aulus Spartianus, Severus, l. 18; Dio Cassius, Lxxvi. 17, The Scriptores Historiae Augustae, Severus, Xvii. 3, Aurelius Victor, Caesar 20 - 19; Birley, A., Siptimus Seveus, The African Emperor London, 1971, Pp. 80 - 89; Menen, A., Cities In The Sand, Printed In Great Britain, By Jorrolld And Sons Ltd, Norwich, Pp. 137 - 149.

Platnauer, M., Op. Cit., Pp. 136 - 137 (4)

Dio Cassius, Lxxvi. 15, Herodianus Historiae, lli. 15. (5)

Julien, Ch. A., Op. Cit. P. 195; Menen, A. Op. Cit., P. 147 (6)

كان كاركلا الابن الأكبر للإمبراطور سسيميوس سيفيروس وكان يسمى باسيانيوس، أما لقب كاركلا فهو (7)

نسبة للجلباب الذي يرتديه وتسمى بماركوس أوريليوس أنطونيوس كاركلا عندما أصبح إمبراطوراً، وتذكر بعض المصادر أنه حاول قتل أبيه وكان كاركلا يتسم بالطيبة في صباه ولكنه انقلب إلى شخص عسفي في كبره، وأمر في 212 بقتل أخيه جيتا وأتباعه وأسكت تدمير الجيش بدفع الأموال لهم واهتم بشؤون الحرب وترك أمور الحكم في يد أمه، وقُتل على يد جنوده في كاري أثناء محاربته للبارثيين، حول ما سبق انظر

Dio Cassius, Lxxvi. 13, Lxxix; Herodian lli. 139; C. A. Hist., Vol. Xii, Pp. 20 - 21.

أبرز أعماله منح حقوق المواطنة الرومانية⁽¹⁾ لكافة سكان الإمبراطورية الإحرار، ولحل قراره هذا لم يضيف شيئاً جديداً⁽²⁾، وإن كانت له فائدة فهي مقصورة على الأغنياء ولم يستفد منه السواد الأعظم من الليبيين الفقراء⁽³⁾.

وعندما سمعت الأمور قام كاركلا في 216م بالتخفيف من الضرائب⁽⁴⁾ الفادحة التي تعاني منها الشعوب الخاضعة للرومان.

واستمر كاركلا في حكم الإمبراطورية الرومانية حتى وفاته في 8 أبريل 217م⁽⁵⁾ وخلفه في الحكم بسيانوس «الجبالس» الذي استمر حكمه حتى وفاته في 222م على يد الحرس الذين اختاروا الأكسندر سيفيروس لحكم الإمبراطورية⁽⁶⁾.

قام الأكسندر⁽⁷⁾ سيفيروس بعدة أعمال أسهمت في خدمة الاقتصاد الروماني،

(1) تذكر بعض المراجع أن كاركلا أصدر هذا القرار بعد أن زاد صربية التركات إلى عشرة في المائة، انظر ول ديورانت، المرجع نفسه، ص 326

(2) Julien, Ch. A., Op Cit., P. 161, (2)

(3) محمد الجراري «الاستيطان الروماني في ليبيا» المرجع نفسه، ص 36

(4) Julien, Ch. A., Op. Cit , P. 161, (4)

(5) حول كاركلا ووقاته وأعماله وشخصيته، انظر:—

Platnauer, M. Op. cit., Pp 48 – 53, 103, 124; Strong, D. E. Op Cit , P. 34.

(6) رويوت جوليا ميلا أخت جوليا دومنا زوجة سيفيروس إشاعة مفادها أن فاروريوس ابناً لكاركلا من ابنتها جوليا سواميانوس، وأوتت ميلا إلى قادة الجيش بأنها ستمنحهم الكثير من المال إذا اختاروا (فاروريوس) سيانوس، كما استطاعت ضم جيش ماركينوس عن طريق الذهب وانتهت المعركة بهزيمة ماركينوس ودخل بسيانوس روما في 219م حيث حكم الإمبراطورية إلى عام 222م بعدها قتله الحرس، انظر:

Nijsson, M. P. Op Cit , P. 73, Menen, A., Op. Cit., P. 155;

ول ديورانت، المرجع نفسه، ص 327 – 328, 330.

(7) كان الأكسندر يسمى الكسيانوس «Alexianus» حيث تبناه ابن عمه وأوصى به قيصراً وخليفة له، ويعتبر الأكسندر ابن جوليا ماميا ابنة جوليا ميلا أخت جوليا دومنا زوجة سيفيروس وقد اتصف الأكسندر بالأخلاق الحسنة والمعاملة الحكيمة وكانت خطته ترمي إلى إعادة مكانه مجلس الشيوخ وإضعاف سيطرة الجيش، وقد قام بالكثير من الأعمال والحروب كانت أحرقها حربه ضد الفرس في 230م، وأثناء استعداداته لحرب الألمان قتله جيوده، وبادوا بمكسميان إمبراطوراً في 235م، حول ما سبق فذكره انظر

Herodian, Historiae, VI. 5. 8; Historiae Augustan, Severus Alexander, 20;

ول ديورانت، المرجع نفسه، ص 330 – 334

واعترف بهيئات العمال والتجار⁽¹⁾، وخفف الضرائب⁽²⁾، واستكمل النظم الدفاعية في منطقة المدن الثلاث، ورسخ قدماء المحاربين في المناطق الزراعية من أجل حماية المدن الرومانية⁽³⁾ على الساحل من هجمات القبائل الليبية المعادية للرومان.

وبمقتل الأكسندروس في 235م على يد الجيش الذي اختار س. يوليوس ماكسيمينوس «C. IULIUS MAXIMINUS» انتهى عهد الأسرة السفيرية وغرقت الإمبراطورية الرومانية في فوضى واضطراب لمدة خمسين عاماً نتيجة الانقلابات العسكرية⁽⁴⁾.

ثانياً: اضطراب الأحوال السياسية . العهد السفيري:

بعد مقتل الأكسندر سفيرس في 235م والذي يمثل آخر أباطرة الأسرة السفيرية، ساد الإمبراطورية الرومانية عهد من الفوضى والاضطراب، قام خلاله الجيش باغتيالات لمعظم الأباطرة وتعيين آخرين⁽⁵⁾، كان أولهم ماكسيمينوس تراكس «235 - 238م» وفي عهده قامت اضطرابات في أفريقية بين الفلاحين بسبب الضرائب الفادحة التي فرضها الرومان عليهم⁽⁶⁾، وفي عام 238م شن الإمبراطور جورديان الثاني عدة حروب على طول الحدود في مناطق أفريقية في محاولة لإخضاع المواطنين الذين رفضوا تقديم ضرائب إضافية⁽⁷⁾.

ويؤكد الباحثون⁽⁸⁾ أن الضرائب زادت وأصبح يتم تحصيلها عيناً وقد يتبعها

(1) Historiae Augustae, Severus Alexander 33

(2) ول ديورانت، المرجع نفسه ص 333.

(3) Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 159.

(4) Cary, M., And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 499

(5) تختلف المراجع في تحديد عدد الأباطرة الذين تربعوا على عرش الإمبراطورية من مقتل الأكسندر سفيرس وحتى قبض دقلديانوس على مقاليد الحكم، وتذكر بعض المراجع أن عددهم كان سبعة وثلاثين، وتذكر غيرها أن عددهم عشرون إمبراطوراً، وجميعهم قُتلوا على يد الجيش عدا أحدهم مات من الطاعون، وإمبراطوراً آخر أسره الفرس، حول ما سبق ذكره، انظر

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 54; Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 195;

ول ديورانت، المرجع نفسه، ص 256 - 259، 336 - 340

(6) Nilsson, M., P., Op. Cit., Pp. 76 - 77; Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 195.

(7) Geddeda, R. A., Op. Cit., P. 20.

(8) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 54

أحياناً وضع اليد على الممتلكات وكان الديكوريون يجمع ضرائب المدن ويشرف على أراضيها، ويبدو أن المدن الثلاث قد قاست من سوء الأحوال التي عمت الإمبراطورية حيث تم تعيين مندوب جمهوري «بروكوراتور» في لبدة وأويا عام 238م للإشراف على شؤون البلدية في مناطق الولايات التي تواجه أزمة في دفع ضرائبها⁽¹⁾، ويظهر أن الفوضى التي حصلت خلال هذه الفترة كان لها دور هام في إضعاف الحياة الاقتصادية في المدن الثلاث إذا استمرت الأحوال متدهورة فيها خلال عهد جورديان⁽²⁾، ولعل مما زاد في سوء الحالة سحب الفرقة الاغسطية الثالثة عام 238م في عهد جورديان الثالث التي كانت تتولى حراسة الحدود فأدى ذلك إلى تعدد هجمات المواطنين على المدن الساحلية⁽³⁾.

ومع استمرار تغيير الأباطرة⁽⁴⁾ بقيت الثروات والصروب على حالها ضد الرومان حتى استطاع دقلديانوس السيطرة على الحكم فأوقف انهيار الإمبراطورية إلى حين.⁽⁵⁾

ثالثاً: إصلاحات دقلديانوس:

تولى دقلديانوس⁽⁶⁾ الحكم من 284 - 305م حيث تمكن من السيطرة على شؤون الإمبراطورية في وقت كانت تعصف بها الفوضى والاضطرابات ولذلك وضع إصلاحات جديدة اقتضت قيام حكومة الأربعة⁽⁷⁾ «THE TETRARCHY» وكان

- (1) محمد الجارري «الاستيطان الروماني في ليبيا» المرجع نفسه، ص 34
- (2) Hamond, N. G. L. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 22
- (3) محمد الجارري «موقف القبائل الليبية من الغزو الروماني» المرجع نفسه، ص 71
- (4) يبدو أن مدينة لبدة قد نالت رعاية الإمبراطور جالينيوس «253 - 268» حيث أضافوا اسم سالوميسا زوجة الإمبراطور إلى اسمهم فأصبحوا يسمون سالونيني «Salonini» حول ما سبق ذكره، انظر: Haynes, E. L., Op. Cit., P. 54.
- (5) للمزيد عن الأباطرة الرومان الذين تولوا في تلك الفترة والثورات التي قامت في أفريقيا ضد الحكم الروماني، انظر:
- Julien, Ch. A., Op. Cit., Pp. 161, 165, 197 - 198;
- ول ديورانت، المرجع نفسه، ص 256 - 258، 336 - 340
- (6) كان دقلديانوس يسمى ديوكليز وقد استطاع بما كان يملكه من مواهب شخصية فذة أن يصبح قنصلاً وحاكماً في بعض الولايات وقائداً للجيش، انظر: Nilsson, M. P. Op. Cit., Pp. 87 - 96.
- (7) وتبعاً لنظام حكومة الأربعة أصبحت مصر والولايات الشرقية من نصيب دقلديانوس والبلقان وولايات

يهدف من وراء ذلك إلى إضعاف قوة حكام الولايات وفي ذات الوقت التحسين من إدارتها، لذلك قسّمها إلى عدد أكبر بحيث يزداد عددها وتقل أهميتها، كما فصل بين الإدارة المدنية والعسكرية بحيث أصبح القادة العسكريون يتم اختيارهم من بين الجنود والفرسان⁽¹⁾.

ولعل دقلديانوس قصد من هذا الإجراء رفع الكفاءة العسكرية للجيش الروماني خصوصاً وإن أوضاع الإمبراطورية كانت مضطربة في تلك الفترة مما تطلّب قيادة عسكرية ذات كفاءة عالية، أما الإدارة المدنية فكانت تعاني الكثير من المشاكل هي الأخرى الأمر الذي تطلّب ضرورة وجود عناصر ذات دراية في تلك الشؤون.

وطبقاً لإصلاحات دقلديانوس أصبحت أفريقيا وإيطاليا تحت حكم ماكسيميان الذي اتخذ من مدينة ميلان مقراً لحكمه⁽²⁾.

ونتيجة لتقسيمات دقلديانوس الإدارية في أفريقيا⁽³⁾، نسّلت منطقة المدن الثلاث مرتبة الإقليم⁽⁴⁾، وأصبحت عاصمته لبدة الكبرى⁽⁵⁾، ورغم أن ذكر الإقليم بهذا الاسم الجديد لم يظهر حتى عهد ماكسينتيوس⁽⁶⁾ 306 - 311 م، وقد أشار

الدانوب لجالييريوس والولايات الغربية من نصيب قسطنطين أما إيطاليا وإفريقيا فكانت تحت حكم ماكسيميان، كما قُسمت تلك المناطق الكبيرة إلى عدد أكبر من الولايات. انظر

Cary, M. And Scullard, H. H., Op. Cit., Pp. 512, 514, 524ff;

ول ديورانت، المرجع نفسه، ج 3، ص 360 - 362.

Jones, H. M. "Frontier Defence In Byzantine Libya." Libya In History, Historical (1) Conference, 1968, P. 289;

محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص 20.

Leon, H., Op. Cit., Pp 280ff; Haynes, E. L., Op. Cit., P. 55. (2)

(3) في التقسيمات التي وضعها دقلديانوس قُسمت أفريقيا إلى عدد من الأقاليم منها إقليم طرابلس وإقليم بيزاكيّا «Bizacena»، نوميديا، أفريقيا البروقنصلية، موريطانيا القيصرية وموريطانيا السفلية، حول ذلك انظر:

Ettore, R., Op. Cit., P. 14; Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 199.

Graham, A., Op. Cit., P. 133; Jones, H. M., Op. Cit., P. 289 (4)

Hamond, N. G. L. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 22. (5)

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 55; Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 199; (6)

أحد النقوش إلى اسم إقليم طرابلس⁽¹⁾، ويحدد أوريوس «OROSIUS» امتداد حدوده من مزابيح الأخوين فيلايني شرقاً ولاكوس ساليبوروم «شط الجريد» غرباً وبلاد الجرامنت جنوباً⁽²⁾، وكان حاكم الإقليم مسؤولاً عن الإدارة العسكرية والمدينة ثم 1 - مسؤولية الدفاع من اختصاص قائد أفريقيا الأعلى⁽³⁾.

ومع ذلك فإن الإصلاحات التي قام بها دقلديانوس لم يكتب لها النجاح بملاحظة النتائج التي ترتبت على تلك الإصلاحات⁽⁴⁾، أما بالنسبة للمدن الثلاث فإن أوضاعها تدهورت أكثر من ذي قبل خصوصاً مع انتشار الحركة الدوناتية⁽⁵⁾ في البلاد، التي كانت في ظاهرها حركة معارضة دينية ولكنها في ذات الوقت كانت تعبيراً عن الظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي، حيث إن الإصلاحات التي قام بها الإمبراطور دقلديانوس أضافت عبئاً جديداً على دافعي الضرائب مما دفعهم إلى ترك الأرض وتكوين جماعات من الدوناتييين سُمو أحياناً الكركومسيليون «CIRCUMCELLIONES» أو الدوارين، وقاموا بسلب المزارع الكاثوليكية واغنياء الوثنيين⁽⁶⁾.

ولعل ما يؤكد ذلك وجود الكثير من المشاهد الحربية التي قام المواطنون

(1) كان أول نقش عُثر عليه يشير إلى إقليم طرابلس هو الذي تم العثور عليه في تيبربي «Tibubet».

Cil , VIII, 22763; Chastagnol, A., "Les Gouverneurs De Bizacene Et De Trinitane", *Antiquités Africaines*, Vol. 1, 1967, Pp. 119 - 122.

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 55, Ettore, R., Op. Cit., P. 14. (2)

Jones, H. M., Op., Cit., P., 289, Dep. Antig. Lep. Mag. Op. Cit., P. 18. (3)

(4) ظهرت عدة عيوب لإصلاحات دقلديانوس حيث أن التقسيمات التي وضعها قضت على استقلال الولايات وادت إلى زيادة الضرائب وأصبحت البلاد بالحروب على الحدود وصعفت الموارد التجارية والصناعية وارتفعت الأسعار مما دفع دقلديانوس إلى اتخاذ عدة إجراءات لوضع حد لسوء الحالة في البلاد، انظر:

Nilsson, M. P., Op. Cit., Pp. 87 - 96; Haynes, E. L., Op., Cit., P. 57;

ول ديورانت، المرجع نفسه، ص 362 - 368.

(5) الدوناتية مذهب مسيحي يخالف المذهب الكاثوليكي وسميت بهذا الاسم نسبة إلى زعيمها دوناتوس، انظر

Hamond, N. G. L. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 22;

عبدالقادر جفلول المرجع نفسه، ص 23 ول ديورانت، المرجع نفسه، ص 391.

Warmington, B. H., *Nor. Afr. Prov. Dioc. Van. Con.*, Op. Cit., Pp. 66ff. (6)

بنحتها ومنها أحد المناظر يصور معركة حربية، وقد أكتشف هذا المنظر في منطقة التخوم بقرزة⁽¹⁾.

ولعل خطورة الحركة الدوناتية وما سبقها من اضطراب في أوضاع البلاد هي التي دفعت الأباطرة الرومان إلى القيام بالحملة العسكرية ضد القبائل الليبية⁽²⁾، أهمها حملة ماكسيميان ضد قبائل الحلف الخماسي⁽³⁾ عام 298م حيث تمكن من هزيمتها⁽⁴⁾.

ويؤكد كوربيوس⁽⁵⁾ أن قبيلة لواته قد حاربت ماكسيميان الذي فشل في الانتصار عليها وبالتنظر لهذه النصوص التي يوردها الشاعر كوربيوس والذي يدعمه الباحثون بأن تحركات بشرية حدثت في القرن الثالث، وادت إلى قطع التجارة وهددت إمدادات روما من القمح مما دفع ماكسيميان إلى محاربتهم ولعل مما يؤكد قيام تلك الهجرة ما حدث من تجديد لحصون المدن الساحلية في القرن الثالث⁽⁶⁾، ويتخذ الباحثون من انقطاع التجارة الرومانية في تلك الفترة إلى قرآن⁽⁷⁾ دليلاً على

(1) تعتبر قرزة إحدى المناطق التي انتشرت فيها مزارع الحدود في أواخر العهد الروماني وهي تقع إلى الجنوب من أويا ونشأت فيها حضارة اعتمدت على العناصر المحلية، انظر

Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 324.

(2) قامت القبائل الليبية بالكثير من المعارك الحربية ضد الرومان في مناطق مختلفة من أفريقيا، من ذلك حاربت قبيلة البواري القائد الروماني ج. جاجيليوس مارشيانس وتمكنت من هزيمته وقتله في 260م وقدم القائد كليمينتيوس القرابين للآلهة التي مكنته من عقد اتفاقية مع قبيلة ألباكويس في 277م كما قامت الكثير من الثورات ضد الرومان في عام 289م، وهذا ما دفع ماكسيميان إلى الحرب في أفريقيا حول ما سبق انظر

محمد الجراي، موقف القبائل الليبية من الغزو الروماني، المرجع نفسه، ص 71 - 72.

Julien, Ch. A, Op. Cit., P. 198.

(3) يرجع الباحثون أن هذا التحالف استمر أكثر من عشرين عاماً وأنه قائم ضد الرومان منذ عهد الإمبراطور جالينيوس واستمر حتى عهد ماكسيميان وأهم المؤثر المشتركين في هذا التحالف فاركسين زعيم قبيلة الفراكسي، للمزيد انظر

Mommsen, T., Op., Cit., Pp 32ff.

محمد الجراي، موقف القبائل الليبية من الغزو الروماني، المرجع نفسه، ص 72.

Jones, The Later Roman Empire, Vol. I, 1964, P. 39.

(4)

Corippus, I. 480 - 483, V. 178 - 180; VII, 530 - 533.

(5)

Goodchild, R. G. And Wardperkins, J. B., "The Roman And Byzantine Defences Of (6)

Lepcis magna", P. B. S. R., Vol. 21, 1953, P. 70.

Daniels, C. M., Gar Sout. Lib., Op. Cit., P. 23.

(7)

استقرار تلك القبائل في منطقة الوديان بين منطقة لبدة الكبرى والجنوب.

ورغم تأكيد الباحثين بأن اضمحلال لبدة راجع إلى ضخامة الإنشاءات العمرانية بها التي أرهقت خزائنها⁽¹⁾، إلا أن البعض الآخر من الباحثين يؤكد أن سبب الاضمحلال راجع إلى استقرار لواتة في الوسط وسيطرتها على الطرق التجارية المتجهة نحو الجنوب وقيامها بهجمات على المدن الساحلية مما دفعها إلى طلب العون من السلطة الرومانية التي ما كان يسرها انقطاع بعض السلع الهامة من إفريقيا، وبالرجوع إلى ما كتبه كوريبوس يرجح أن ماكسيميان قد حارب تلك القبائل⁽²⁾، في موقعة غير حاسمة في 298 م. إما لقوة القبائل الليبية أو لتراجعها إلى الصحراء لإعادة تنظيم صفوفها، وربما اكتفاء الإمبراطور ماكسيميان بهذا نظراً لانشغاله بأمور⁽³⁾ الإمبراطورية ومشاكلها.

ويبدو أن الأمور لم تستقر بصفة دائمة بعد حملة ماكسيميان⁽⁴⁾ حتى تنازل دقلديانوس عن الحكم في 305 للإمبراطور قسطنطين الذي واصل إصلاحات⁽⁵⁾، دقلديانوس، ومع ذلك انتشرت الفوضى في المدن الثلاث بعد أن اجتمعت عليه عدة عوامل أدت إلى زيادة ضعفه وانهياره في أواخر الحكم الروماني.

رابعاً: دور القبائل الليبية في إنها الحكم الروماني:

لم تلق الإصلاحات التي قام بها دقلديانوس النجاح الكامل إذ تلتها فوضى واضطرابات في معظم أنحاء الإمبراطورية وقد شملت تلك الفترة السيرة المدن الثلاث التي تعرضت في النصف الثاني من القرن الرابع لغزوات مدمرة قامت بها قبائل الأوسترياني التي انتهزت ضعف الحكم الروماني وعدم اهتمامه بمصالح السكان للقيام بتلك الغارات على المراكز العمرانية والزراعية حول المدن الثلاث.

(1) Wardparkins, J. B., "severan Art And Architecture At Lepcis", J.R.S., Vol 38, 1956, (1) P. 60.

(2) يذكر بعض الباحثين أن الرومان بقيادة ماكسيميان حاربوا قبائل هيلاجواس الليبية في مناطق المدن الثلاث وأن الحملة قد فشلت في 298 ولا نعرف هل المقصود بها قبائل لواتة أم قبائل أخرى، للمزيد انظر:

مصطفى عبدالعليم، المرجع نفسه، ص 100.

(1) محمد الجراري موقف القبائل الليبية من الغزو الروماني، المرجع نفسه، ص. 72 - 73

(4) Of Rood, L. R., Op., Cit., P. 207; Blunsum, T., Op. Cit., P. 86.

(5) Nilsson, M. P., Op. Cit., Pp. 93ff; Dep. Antiq. Lep. Mag., Op. Cit., P. 18.

وكانت تلك القبائل تعيش خلف الحدود وقد امتلكت أعداداً كبيرة من الإبل واستطاعت السيطرة على عدد من الواحات ومناطق المياه ومسالك القوافل التجارية⁽¹⁾.

بدأت غارات الأوسترياني في 363م⁽²⁾ بسبب مقتل أحد رؤسائهم يدعى ستاتشو «STACHAO» على يد السلطات الرومانية في المدن الثلاث⁽³⁾، أما عن أصل تلك القبائل فهو غير معروف على وجه التحديد⁽⁴⁾، ويعتقد بعض الباحثين أنهم وفدوا من الصحراء الشرقية أو من القبائل المقيمة في صحراء سرت⁽⁵⁾، ويرى البعض الآخر أن الأوسترياني هم قبائل لواتة⁽⁶⁾، ونعتقد أنهم من القبائل المقيمة في سرت نظراً لتكرار غاراتهم على المنطقة عدة مرات متتالية كما يخبرنا المؤرخ أميانوس⁽⁷⁾، ويؤكد هذا المؤرخ وكذلك فيلوستورجيوس «PHILOSTORGIUS» بأنهم مجاورون للقبائل المقيمة في المنطقة⁽⁸⁾، وقد استهدف الأوسترياني في هجومهم الأول تدمير المناطق الخصبة المحيطة بمدينة لبدة الكبرى التي عسكروا بالقرب منها لمدة ثلاثة أيام حيث قتلوا أعداداً كبيرة من أهل الريف وأحرقوا الأشياء التي لم يستطيعوا حملها.

وخشية من عودة الأوسترياني طلب أهل لبدة الكبرى المساعدة من رومانوس قائد إفريقيا العام الذي وصل بقواته وعسكر في منطقة المدن الثلاث ورفض محاربة الأوسترياني إلا إذا قدم له أهل لبدة الكبرى أربعة آلاف جمل مع كمية كبيرة من المؤن وكانت تلك المطالب غير متوقعة للمواطنين الذين أعلنوا أنهم لا يستطيعون أن يقدموا ما طلبه رومانوس من تجهيزات هائلة بعد الخسائر التي لحقت بهم، ولذلك خدعهم رومانوس الذي أمضى في معسكره أربعة أيام ابتعد

Geddeda, R. A., Op. Cit., P. 20. (1)

Kenrick, Ph. M. "Excav. Sab " Lib. Stud., Vol. 13, P. 55. (2)

Mattingly, D. J. "The Laguatan A Libyan Tribal Confederation In The Late Roman Empire", Libyan Studies, Vol 14, 1983, P. 97 (3)

Graham, A., Op. Cit., P. 198. (4)

Geddeda, R. A., Op. Cit., P. 21, Haynes, E. L., Op. Cit., P. 57. (5)

Mattingly, D. J., "Lag ut Lib. Trib. Con Lat. Rom. Emp." Op. Cit , P. 69 (6)

Ammianus Marcellinus, I - Xxx , L. C. L., London, Mcmxxii, (7)

Ibid, I: Philostorgius, Eccles hist , XI 8. (8)

بعدها بدون القيام بأي محاولة فعلية⁽¹⁾ لحماية المواطنين وتركهم يواجهون مصيرهم المحفوف بالمخاطر.

وعندما أدركوا عدم جدوى الاعتماد على مساعدة رومانوس، أرسل أهل لبدة الكبرى مبعوثين إلى الإمبراطور فالينثيان يحملون تماثيل نصر ذهبية بمناسبة توليه الحكم وإخباره عن الخراب الذي أصاب المدن الثلاث، ولما سمع رومانوس بالأمرا عاق مهمة المبعوثين عن طريق أحد أصدقائه وشركائه العاملين في البلاط، وبينما كان أهل لبدة ينتظرون دعم الإمبراطور، هاجمت قبائل الأوسترياني المنطقة للمرة الثانية، ولما لديهم - بالنفس على مهاجمة منطقة لبدة وأويا ناشرين الخراب والدمار، وبعدها ابتعدوا محملين بكميات كبيرة من الغنائم⁽²⁾.

وربما لم تتوقف هجماتهم هذه المرة على أويا ولبدة الكبرى، حيث يرجح أن غاراتهم امتدت إلى مدينة صبراتة إذ أن الدلائل الأثرية تشير إلى أن عدداً من مباني المدينة قد دُمرت في تلك الفترة⁽³⁾.

وعندما سمع الإمبراطور فالينثيان بما حدث في المدن الثلاث كلف بالاديوس الذي كان يحمل مرتبات الجنود المستحقة في أفريقيا أن يبحث الموضوع ويعد تقريراً بالخصوص⁽⁴⁾.

وبينما كان أهل لبدة الكبرى ينتظرون دعم الإمبراطور هاجمهم الأوسترياني للمرة الثالثة بضمراوة ونهبوا وقتلوا وقطعوا الأشجار والكروم⁽⁵⁾ وحاصروا المدينة لمدة ثمانية أيام بعدها تراجعوا مبتعدين يحملون غنائمهم⁽⁶⁾ حيث أن المدينة لم

(1) Ammianus, Marcellinus, I - 5, Xviii, 6; Philostorgius, XI. 8.

(2) Ammianus Marcellinus, 7 - 10; Supplements To Libya Antiqua, II. La Villa Della, "Gara Delle Nendi" Presso Taqura, Published By The Directorate - Jemeraiof Antiquities Museums And Archives Tripoli, P, 26.

(3) Graham, A., Op. Cit., P. 198; Ward, ph., Sub., Op. Cit., P. 23.

(4) Ammianus Marcellinus, 12; Haynes, E. L., Op. Cit., P. 58.

(5) إن الوصف الذي يقدمه إميانوس، ويتبعه فيه غيره من الكتاب المحدثين يحمل روحاً تعصبية ضد القبائل الليبية، فلا يعقل أن يقوم الثوار بقطع الأشجار، إلا أن تحصل بعض الحوادث مصداقة ولعل ما يؤكد ذلك تأكيد الكتاب العرب المسلمين على وجود أعداد هائلة من الأشجار في المدن الثلاث خصوصاً الزيتون.

(6) Ammianus Marcellinus, 13 - 15.

تسقط في أيديهم لحصانة أسوارها⁽¹⁾.

واطلع بلاديوس بعد وصوله إلى أفريقيا على ما حدث من دمار ولكنه وقع في شرك أعدده له رومانوس حتى لا ينقل الحقيقة إلى الإمبراطور، حيث أن رومانوس أمر بإرجاع قسم من مرتبات الجنود كهدية⁽²⁾ منهم لبلاديوس وبعد قبوله لها حذره من مغبة إسناد مسؤولية ما حدث إليه مهدداً إياه بسأته سيخبر الإمبراطور بأسر الهدية «الرشوة»⁽³⁾، ويرجح أن الأوسترياني استعملوا الجمال⁽⁴⁾، في غاراتهم مما أكسبهم السرعة في الهجوم والانسحاب⁽⁵⁾، وربما يعود طلب رومانوس لأربعة آلاف جمل⁽⁶⁾، لإدراكه بأنه لا سبيل لحربهم إلا إذا كان يملك عدداً كافياً من الجمال.

ويرى بعض الباحثين أن الليميتاني أصحاب المزارع المحصنة لم يتصدوا للمغربين أو يحاولوا التخفيف من حدة هجماتهم حتى لا يلقوا بكامل قوتهم على المدن، بل يعتقدون أن الليميتاني سهلوا مهمة المهاجمين في عبور خطوط الدفاع فالتقوا بكامل ثقلهم على المدن وريفها⁽⁷⁾.

ولعل من العوامل التي سهلت على الأوسترياني القيام بغاراتهم بهذا النجاح أن حاكم المدن الثلاث قد أصبح موظفاً مدنياً بدون قوات عسكرية تحت تصرفه⁽⁸⁾ لمواجهة الأخطار التي تهدد المنطقة.

(1) Geddeda, R. A., Op. Cit., P. 22

(2) هذا الأسلوب الذي سلكه رومانوس يبين حقدار الانحلال والظلم الذي انتشر في البلاد من طرف الرومان إذ لم يتوقف الأمر عند رشوة بلاديوس بل تعداه إلى أعيان البدة ليقعوا ضحية لرومانوس حيث أنهم أنكروا الوفد الثاني الذي أرسلوه إلى الإمبراطور وأخذوا إفادته كاذبة من جوفينتيوس على أنه كذب على الإمبراطور حيث تم إعدامه مع حاكم الولاية روديكوس الذي كان صريحاً أكثر من المطلوب، حول ذلك انظر:

Ammanus Marcellinus, 17 - 30; Haynes, E. L., Op., Cit., P. 59.

(3) Ammanus Marcellinus, 17 - 30; Nilsson, M. P., Op. Cit., P. 124.

(4) كانت تلك الغارات المرة الأولى التي تؤكد فيها استخدام الجمل تقريباً، ومع ذلك يرى بعض الباحثين مثل كانسا أن هذه ليست المرة الأولى التي استخدم فيها الجيش الروماني الجمال لمسد الغارات والقيام بالحروب، انظر

Gagnat, R., L. Armée Romaine D'Afrique, 1913, P. 331.

(5) Geddeda, R. A., Op. Cit., P. 20.

(6) Ammanus Marcellinus, 5.

(7) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 58; Abdelalim, M. K., Op. Cit., P. 159.

(8) Haynes, E. L., Op. Cit. P. 58.

وبخلاصة القول إن غزوات الأوسترياني قد أثرت بسدرجة كبيرة في اقتصاد المدن الثلاث وكانت من العوامل المساعدة على تدهورها وعلى إضعاف الحكم الروماني بها.

ويتضح من خلال الصراعات التي خاضتها القبائل الليبية ضد الاحتلال الروماني أنها لم تترك الفرصة أمام الرومان للاستمتاع باحتلال البلاد وامتصاص خيراتها كما يشاعون بل كانت من وقت إلى آخر تشن الهجمات على الرومان المحتلين لأسباب مختلفة⁽¹⁾

إضافة لغزوات الأوسترياني تعرضت المدن الثلاث للزلازل حيث إن مدينة صبراتة تعرضت في السنوات ما بين 306 - 310م لعدة هزات أرضية، وزلزال أكبر عنفاً في 21 يوليو 356م⁽²⁾ وكذلك زلزال آخر في 365م⁽³⁾.

وبعد تلك الفترة استمرت أوضاع المدن في التدهور خصوصاً بسبب انقطاع الموارد التجارية⁽⁴⁾. كما يرجح بعض الباحثين أن من العوامل التي أسهمت في تدهور أوضاع لبدة الكبرى كثرة المشاريع التي كانت بها مما سبب إرهاق ميزانية المدينة⁽⁵⁾. أما مدينة صبراتة فقد احتفظت ببعض المقومات الاقتصادية إلى حد ما حيث أن تجارة القوافل استمرت تأتي إليها ولم يدب الانحلال والضعف فيها حتى القرن الخامس⁽⁶⁾.

ومن الأحداث الخطيرة التي تعرضت لها المدن الثلاث، الغزو الفندالي في 455م حيث تمكنوا من السيطرة على المنطقة والقضاء على ما تبقى فيها من أوجه

(1) منذ السنوات الأولى للاحتلال الروماني المباشر للمدن الثلاث قامت بين المحتلين الرومان والقبائل الليبية العديد من الحملات والمعارك لعدة أسباب بعضها يتعلق بفرض الإقامة على القبائل ومنعها من حرية الهجوة الموسمية أو بسبب فداحة الضرائب أو لرغبة الرومان في السيطرة على الطرق التجارية أو نتيجة للاغتيالات التي قام بها الرومان ضد المواطنين أو رعاة القبائل «حيث سبق أن وضحا تلك الحروب وأسبابها»

(2) Divita, A , Lascavo A Nord Del Mausoleo Punico - Illeustico A Di Sabaratha, Libya (2) Antiqua, Vol. XI - Xa, 1974 - 1975, Pp. 8ff

(3) Ward, Ph , Op. Cit., P. 23; Kenrick, Ph M , Excav Sab , Prit., 1986, P. 10,

(4) محمد الجبري «موقف القبائل الليبية من العرو الروماني» المرجع نفسه ص 74.

(5) Wardparkins, J. B. Sev. Art. Arc. Lep., Op. cit , P. 60,

(6) Hamond, N. C. L., And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 942

النشاط الاقتصادي⁽¹⁾، سواء كان تجارياً أو زراعياً.

ولقد قامت القبائل الليبية بمحاربة الوندال خصوصاً قبيلة لواتة التي استطاعت بزعماء كاباون «CABAON» أن تقتصر عليهم بالقرب من تونس عام 522م⁽²⁾.

ورغم استعادة البلاد من قبل البيزنطيين فيما بين 533 م و 534 م ولكنها لم تسنعد نشاطها⁽³⁾ السابق حتى الفتح العربي.

(1) Law, R. C. C., Op. Cit., P. 199; Graham, A., Op. Cit., P. 133.

(2) Geddedu, R. A., Op. Cit., P. 23.

(3) Procopius, Wars, III, 25, IV, 21 - 22, Pringle, D., "The Defence Of Byzantine Africa From Justinian To The Arab Conquest", British Archeological Reports Supplementary Series, Oxford, 1981, Pp. 9 - 16, 23ff.

الباب الثاني **الجانب الاقتصادي**

الفصل الأول

احوال المدن الاقتصادية قبل الغزو الروماني

أولاً: النجارة.
ثانياً: الزراعة والصناعة.

أولاً: التجارة

من خلال المصادر التاريخية القديمة عن التجارة في ليبيا عموماً يمكن أن نصل إلى نتيجة عامة، وهي أن الليبيين كان لهم نشاط تجاري قبل الاستقرار الفينيقي الذي نحن بصدد الحديث عنه، إذ أورد هيرودوت أن الليبيين على علاقة تجارية مع القرطاجيين حيث يقول:

«يوجد مكان في ليبيا يعيش فيه قوم خلف أعمدة هرقل يأتي إليه القرطاجيون ويفرغون بضائعهم بنظام ثم يرجعون إلى سفنهم ويوقدون نارا وعندما يراها الأهالي يأتون ويضعون ذهباً ثمناً للبضائع ويسحبون بعيداً، ويهبط القرطاجيون من سفنهم وينظرون إلى الذهب فإذا ظهر لهم أنه ثمناً عادلاً لبضائعهم أخذوه ومضوا، وإذا لم يكن كذلك عادوا إلى سفنهم ينتظرون حتى يعود الأهالي للبضاعة ويزيدون الذهب حتى يرضى التجار وفي هذه الطريقة لا يخدع أحدهما الآخر»⁽¹⁾

ومع أننا لا نتفق مع هيرودوت في الطريقة التي تتم بها المبادلة لأنها تحتوي على الكثير من المبالغة إلا أن ما ذكره هيرودوت يدل على وجود علاقات تجارية بين الليبيين والقرطاجيين ربما تكون سابقة لاستقرار الفينيقي في المدن الثلاث إذ كانت تصل إلى البلاد من أواسط أفريقيا الكثير من الخيرات أهمها العاج⁽²⁾ وخشب

Herodotus, iv 196

(1)

(2) كان من بين الضرائب التي قدمها الليبيون من قبيلة التخنو للملكة حثيسوت كمية كبيرة من العاج الغني.

Breasted Ancient Records, I, P. 321

الابنوس والذهب⁽¹⁾ إضافة للمنتجات المحلية مثل الأحجار الكريمة⁽²⁾ وريش النعام⁽³⁾، أما تجارة العبيد فقد أكد عدد من الباحثين⁽⁴⁾ على وجودها وسع ذلك لا نجد دليلاً قاطعاً يوضح ذلك إلا ما ذكره هيرودوت من أن الجرامنت كانوا يملكون عربات يطاردون بها الإثيوبيين سكان الكهوف⁽⁵⁾ ولكن تلك المطاردة ربما لم يكن الغرض منها الإمساك بأولئك الإثيوبيين بهدف المتاجرة بهم، إذ ربما كان الغرض من مطاردتهم هو إبعادهم عن مناطق الجرامنت أو الإمساك بهم لاستخدامهم في المزارع أو كخدم في المنازل.

ولعل ما يدعم نشاط الليبيين التجاري ما ذكره هوميروس في الأوديسيا من أن رجلاً في مصر صادف تاجراً فينيقياً وذهبا معاً إلى ليبيا⁽⁶⁾ وكذلك ما أخبرنا به هيرودوت عن مغامرة الشبان النسامونيس الخمسة الذين عبروا الصحراء الكبرى ووصلوا إلى نهر النيجر⁽⁷⁾ وليس من المعقول أن تكون تلك الرحلة بدون هدف اقتصادي وفي اعتقادي أن الغرض منها الاطلاع على مصادر التجارة في إفريقيا ويرى بعض الباحثين⁽⁸⁾ أن قبيلة النسامونيس قد شاركت الجرامنت في تجارة قوافل الصحراء.

كما كانت قبيلة الماكاي التي تقيم على ساحل البحر⁽⁹⁾ في منطقة المدن الثلاث تسيطر على الطرق التجارية القادمة من داخل الصحراء وربما كان لأهمية موقعها وسيطرتها على الطرق التجارية دوراً أساسياً جعلها تتحالف مع القرطاجيين لطرده داريوس الاسبرطي عام 514 ق.م.⁽¹⁰⁾

- (1) Stan. Res. Inst., Op. cit., P. 21. Haynes, E. L., Op. Cit., P. 25
- (2) Theophrastus, Frag., II 3
- (3) Aurigemma, S., "L. Elafant Di Leptis Magna E il Commercio Dell'Avono E Delle Libycae Ferae Negli Emporia Tripolitania," Africa Italiana, Vol VII, 1940, Pp. 67 - 86.
- (4) Law, R. C. C., Op. Cit., P. 199, Haywood, R. M., Op. Cit., P. 13.
- (5) Herodotus, IV 183.
- (6) Homer, Odyssey, XIV, 225ff.
- (7) Herodotus, II 32.
- (8) Bovill, W. E., Op. Cit., P. 22; Bates, O., Op. Cit., P. 105.
- (9) Herodotus, IV 175.
- (10) Herodotus, V 42.

وعندما استقر الفينيقيون على شواطئ ليبيا الغربية أنشأوا ثلاث مدن هامة أسهمت في دعم القبادل التجاري مع معظم مناطق البحر المتوسط⁽¹⁾، حيث ارتبطت بكريت وصقلية ورودرس والسواحل الجنوبية لبلاد النغال⁽²⁾ «فرقسا الحسالية» وأواسط أفريقيا⁽³⁾ وغيرها من مناطق العالم الأخرى.

وكانت المدن الثلاث قد قامت في بدايتها كمراكز تجارية⁽⁴⁾ تتجمع فيها سلع القوافل⁽⁵⁾ القادمة من أواسط أفريقيا وبلاد الجرامنت إذ شكلت جزمة مركزاً هاماً لتجمع السلع التجارية المجلوبة من أفريقيا⁽⁶⁾ وكانت جزمة ترتبط مع المدن الثلاث «لبدة وأويا وصبراتة» بعدد من الطرق التجارية لعل أقدمها ما ذكره هيرودوت⁽⁷⁾ في معرض حديثه عن الجرامنت حيث قال:

«ومن هنا تبدأ أقصر طريق إلى بلاد أكلة اللوتس وهم على بعد مسيرة ثلاثين يوماً، وعليه اعتمدت التجارة من وإلى المدن الثلاث على أربعة طرق رئيسية الأولى تمتد إلى صبراتة عن طريق كيدامس والثاني من أويا إلى جزمة، والثالث من لبدة إلى جزمة⁽⁸⁾ والرابع من قوريني إلى المدن الثلاث⁽⁹⁾».

كما كانت الطرق تقترع من جزمة وكيدامس إلى عدة مناطق في أواسط أفريقيا⁽¹⁰⁾ ورغم أن الكتاب القدامى لم يتعرضوا بالحديث لحركة الغيور خلال

Ettore, R., Op. Cit., P. 16.

(1)

(2) محمد المهدي، المرجع نفسه، ص (306)

Haynes, E.L., Op. Cit., P. 25

(3)

Stan. Res. Inst., Op. Cit., P. 20; Dep. Antiq. Lep. Mag., Op. Cit., P. 7.

(4)

(5) يرجح بعض الباحثين أن غنى لبدة الكبرى ناشيء من تجارة القوافل الصحراوية وأن بناء المدن على الساحل كان راجعاً لوجود مثل هذه التجارة انظر

Law, R. C. C., Op. Cit., P. 187.

Schiffers, H., "Libyen Ein Tor Und Ein Dur Chgangsland Nach Afrika," Geographic- (6) al Conference, Faculty Of Arts Universty Of Benaghazi, 1975, Pp. 1ff;

إدوارد راي، المغرب العربي، ترجمة مصطفى محمد جوده، دار مكتبة الفكر طرابلس، ص (26):
حسين مؤنس مهران ودورها في انتشار الإسلام في أفريقيا، مجلة كلية الآداب، الجامعة الليبية،
العدد الثالث، 1969م، ص 87

Herodotus, iv. 183.

(7)

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 17; Bulugma, H., Op. Cit., P. 113.

(8)

(9) محمد المهدي، المرجع نفسه، ص 306.

Warmington, B. H., Cart., Op. Cit., P. 63.

(10)

الصحراء وهذا لا يعني بالضرورة أن النشاط التجاري عبر الصحراء لم يكن نشطاً ولكن ربما السبب راجع إلى الكتمان الشديد من قبل الفينيقيين على علاقاتهم التجارية مع القبائل الداخلية⁽¹⁾ ويُعتقد أن الفينيقيين قد وضعوا التسهيلات اللازمة التي كان من شأنها اجتذاب التجارة من الداخل⁽²⁾ ويرجح أن الفينيقيين كانوا يساهمون بأنفسهم في رحلات القوافل التجارية فقد ذكرت المصادر القديمة أن أحد التجار الفينيقيين واسمه ماجو قد عبر الصحراء ثلاث مرات مرافقاً لقوافل الجرامنت⁽³⁾ ومع ذلك استمرت القبائل الليبية هي الوسيط التجاري الرئيسي خصوصاً الجرامنت الذين وفّروا الأمن والاستقرار اللازمين للنشاط التجاري بين الشمال والجنوب خلال العصر الفينيقي⁽⁴⁾. إذ أن القرطاجيين لم يحاولوا السيطرة على طرق القوافل عبر الصحراء التي تربط المدن الثلاث بأساط أفريقيا والجرامنت⁽⁵⁾.

وقد ازدهرت تجارة الصحراء بدرجة كبيرة في العصر الفينيقي⁽⁶⁾، وكانت أهم سلعها الأحجار الكريمة⁽⁷⁾ وأهمها نوع يسمى الحجر القرطاجي⁽⁸⁾ الذي سُمي بذلك لأن القرطاجيين هم الذين كانوا ينقلونه إلى الأسواق العالمية إضافة للعاج والذهب وخشب الأبتوس⁽⁹⁾ الذي يؤكد هيرودوت على وجوده في جنوب إثيوبيا⁽¹⁰⁾ وریش النعام وبيضه الذي كان مطلوباً في العالم القديم وكانت المدن الثلاث غنية به⁽¹¹⁾.

(1) إبراهيم رزقانة، المرجع نفسه، ص 73.

(2) Menghi, A., Op. Cit., P. 53.

(3) Bovill, E. W., Op. Cit., P. 21.

(4) محمد الجراري (الاستيطان الروماني في ليبيا) المرجع نفسه، ص 20

(5) Abdelalim M. K., Op. Cit., P. 154

(6) Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 338.

(7) Theophrastus, lii, 18;

يقول وارمتجت أن الأحجار الكريمة كانت تشمل العقيق الأبيض الأحمر انظر

Warmlington, B. H., "Sem. Mig. Lib. Nor. Afr.," Op. Cit., P. 167.

(8) Strabo, Geog., xvii, 3, 11; xvii 3, 19.

(9) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 25; Stan. Res. Inst., Op. Cit., P. 21.

(10) Herodotus, lii, 14.

(11) ذكر هيرودوت أن الماكاي كانت دروعهم الحربية من جلود النعام مما يدل على وجود النعام في البلاد

بأعداد وفيرة ويرجح الباحثون أن النعام وبيضه قد ساهم في التجارة في العهد الفينيقي انظر

Herodotus, iv, 175; Haynes, E. L., Op. Cit., P. 25.

ويرى بعض الباحثين أن القصدير⁽¹⁾ كان من بين السلع التجارية في العصر الفينيقي كما تؤكد المراجع على مساهمة الرقيق⁽²⁾ في التجارة، أما الملح فقد أشار هيرودوت إلى وجوده بكثرة في المناطق الصحراوية⁽³⁾ و - أن دوره كان هاماً في سلع التجارة. وإضافة إلى الصادرات السابقة من أواسط أفريقيا ومناطق المدن الثلاث وجدت سلع تجارية أخرى مثل الجلود المدبوغة والخيول والتمور⁽⁴⁾ والحبوب التي اختلف الباحثون فيما إذا كانت صبراتة مصدرة للقمح أم أنها سوق لبيع القمح الذي يتم إنتاجه في المناطق المجاورة في أفريقيا ويقصدها التجار لشراء تلك الحبوب منها⁽⁵⁾.

أما عن الواردات التي تأتي إلى المدن الثلاث عن طريق القرطاجيين فهي متعددة اشتملت على المصنوعات الحديدية والبرونزية وبعض أدوات الزينة والاقمشة والخمور⁽⁶⁾ وربما كان الزجاج أحد الواردات فقد عُثر في ضواحي كيفالاي «مصراتة» على بقايا زجاج يرجع للقرنين الرابع والثالث⁽⁷⁾ ق.م كما تم استيراد الفخار من جنوب إيطاليا واليونان والجفون من قرطاجة حيث أكتشفت بقايا من تلك الصناعات في مدينة صبراتة⁽⁸⁾.

وكانت وسائل النقل خلال العهدين الفينيقي والنوميدي هي: الثيران والحمير والخيول⁽⁹⁾ أما الجمل فلم يكن معروفاً في تلك الفترة⁽¹⁰⁾ وبالتالي لم يُستخدم في النقل داخل مناطق المدن الثلاث ومن أهم العوامل التي ساعدت على الازدهار التجاري في العهدين الفينيقي والنوميدي.

(1) أن توريد هذا المعدن من أفريقيا ليس غريباً فقد كان القرطاجيون حريصين على الحصول على المعادن التي كانوا يجلبون البعض منها من أسبانيا حول ذلك انظر

Cary, M., *Geoc. Bac Groun. Gr. Rom. Hist., Op. Cit., P. 212.*

Law, R. C. C., *Op. Cit., Pp. 188 - 189, 200; Haynes, E. L., Op. Cit., P. 25* (2)

Herodotus, iv. 181 - 185. (3)

Stan, *Res. Inst., Op. Cit., P. 23, Bulugma, H., Op. Cit., P. 113.* (4)

Merighe, A., *Op. Cit., P. 17.* (5)

Warmington, B. H., *Cart., Op. Cit., P. 63.* (6)

Arthur, P., "Hell. Rom. Sit. Mar. Gez. Mis", *Op. Cit., P. 134.* (7)

Kenrick, Ph. M., *Excav. Sub. 1948 - 1951, Brit. 1986, P. 209.* (8)

Herodotus, iv. 183; Bates, O., *Op. Cit., Pp. 28., 103.* (9)

(10) انظر الفصل الثالث من الحياة الاقتصادية ص 170 - 172

أولاً: العلاقة الطيبة بين الليبيين والفينيقيين إذ لا نعتقد بوجود عدااء بين الطرفين حيث إن الفينيقيين لم يظهروا بمظهر السادة الفاتحين وكانوا يدفعون أجور الأرض التي يشغلونها إضافة لحاجتهم للأيدي العاملة الليبية.⁽¹⁾

ثانياً: قصر المسافة بين أواسط أفريقيا والمدن الثلاث نتيجة تداخل البحر⁽²⁾.

ثالثاً: وجود الواحات التي تعتبر محطات هامة على طرق القوافل لتزويدها بالمياه ولعل ما يؤكد ذلك أن أحد التجار الفينيقيين لم يأخذ معه ماء عند عبوره للصحراء⁽³⁾ ومع تلك المميزات التي توفرت لتجارة القوافل كانت توجد عدة صعوبات تعترضها في العصر الفينيقي منها على سبيل المثال عدم وجود الموانئ الطبيعية الجيدة على طول الساحل⁽⁴⁾.

وإضافة إلى الموانئ الثلاث الرئيسية وهي لبدة الكبرى⁽⁵⁾ وصبراتة وأويا يُحتمل وجود مرافئ ومراكز أخرى فينيقية على الساحل الغربي أسهمت في تقدم النشاط التجاري منها رأس جفارة «قصر خيبر» الذي يرجح أنه ميناء حيث يوجد لساناً بحرياً في المنطقة⁽⁶⁾ وحصن يوفرانقا «سرت» وكاراكس «CHARAX» التي تعتبر مركزاً تجارياً استخدمه القرطاجيون كمركز تهريب بين قوريني والمدن الثلاث حيث كانوا يأخذون الخمر إلى هناك في عملية مبادلة بأحمال من السلفيوم وعصارتها مع مهربين أحضروها سراً من قوريني⁽⁷⁾ إذ أن المستعمرين الإغريق احتكروا تصديره⁽⁸⁾.

(1) Meright, A., Op. Cit., P. 52.

(2) Warminton, B. H., "Sem. Mig. Lib. Nor. Afr.", Op. Cit., P. 167; Strabo, Geog. XVII. 3. 20.

(3) Warmington, B. H., Cart. Op. Cit., P. 63; Athenaios, II. 44.

(4) Sallust, Bel. Jug., LXXVIII; Propertius, II. IX. 30; III. XXIV. 15; II. XIX. 5 - 10.

(5) عُثر في سوق لبدة الكبرى الذي كان يخدم المدينة ومينائها على عمود ربما يدل على سوقها القديم في العهد الفينيقي، حول ذلك انظر

Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 333.

(6) Bakir, T. "Archaeological News: Under Water Explration Of The Cambridge Uni- (6) versity." Lib. Antiq., Vol. II. IV, 1966 - 67. P. 246.

(7) Strabo, Geog., XVII. 3. 20; Ettore, R., Op. Cit., P. 9.

(8) Warmington, B. H., Cart., Op. Cit., P. 62.

كما يُحتمل أن تكون كيفالاي⁽¹⁾ «مصراتة» من بين الموانئ الفينيقيّة التي لعبت دوراً هاماً في التجارة إستناداً إلى الفخار الذي أُكتشف في المنطقة⁽²⁾ وكذلك إستناداً للعملة النوميديّة التي عُثر عليها قرب كيفالاي⁽³⁾.

أما عن وسيلة التبادل التجاري فيرجّح أنها كانت في بداية الأمر تعتمد على نظام المقايضة وفقاً لرواية هيرودوت عن المتاجرة بين الليبيين عموماً والقرطاجيين⁽⁴⁾.

وبعد السيطرة القرطاجية ربما اعتمدت المدن الثلاث على العملة القرطاجية بحكم تبعيتها للنفوذ القرطاجي وقد دلت الاكتشافات الحديثة في لبدة الكبرى وصبراتة أن أنواع العملات من أواخر القرن الرابع إلى الثالث تشبه وحدات قرطاجة⁽⁵⁾ وقد عُثر في مدينة صبراتة على (306) قطعة من العملة البونيقية من القرن الرابع كذلك عملات أخرى تنتمي إلى القرنين الثالث والثاني⁽⁶⁾.

ثم اعتمدت المدن الثلاث على عملة نوميديا نتيجة انتقال تبعيتها إليها وقد تم العثور على عملة نوميديّة تحمل رأس ماسينيسا أو أحد أسلافه وذلك في منطقة كيفالاي (مصراتة) مؤرخة بنهاية القرن الثالث أو بداية الثاني⁽⁷⁾.

وبعد سقوط قرطاجة في (146 ق.م) ظهرت عملات خاصة بالمدين الثلاث⁽⁸⁾ كل مدينة لها عملتها المستقلة ثم تشابهت عملات المدن وكانت بعضها تحمل علامات اقتصادية أو حربية⁽⁹⁾.

ولكن قرطاجة شلّت فاعليات المدن تجارياً عندما فرضت حظراً على المتاجرة

(1) Strabo, Geog. XVII, 3, 19.

(2) Brogan, O., "Roun. About Mis.", Op. Cit., P. 51.

(3) Annual Report, 1974 - 1975, "The Society For Libyan Studies", Fife Annual Report, 1973 - 74, P. 1.

(4) Herodotus, IV, 196.

(5) Jenkins, G. K., "Som. Anc. Coin. Lib. Trip.", Op. Cit., P. 32.

(6) Kenrick, Ph. M., Excav. Sub., Prit., 1986, Op. Cit., Pp. 137, 247.

(7) Brogan, O., "Roun. About Mis.", Op. Cit., P. 51.

(8) Jenkins, G. K., "som. Anc. Coin. Lib. Trip.", Op. Cit., P. 33.

(9) محمود النمس ومحمود ابوجامد، دليل متحف الآثار بالسراي الحمراء بطرابلس، ص 213.

مع موانئ المدن الثلاث مقتصرة التجارة الخارجية مع ميناء قرطاجة⁽¹⁾ فقط، وأدى ذلك إلى تدهور أحوال المدن الاقتصادية وتوقف نموها وازدهارها⁽²⁾.

ويرجع أحد الباحثين أن القرطاجيين حموا احتكار تجارتهم مع المدن الثلاث بتضخيم الأخطار التي تحيط بالسرتين «الكبرى والصغرى» إذ يلاحظ أن هذه المخاطر لم تعق التجارة الفينيقية والقرطاجية⁽³⁾. ومع ذلك يبدو أن القرطاجيين لم يفلحوا في الحظر الكامل على العلاقات التجارية بين المدن الثلاث والمناطق الأخرى ولعل مما يؤكد ذلك هو العثور على الكثير من عملات المناطق التجارية مثل قوريني وصقلية التي يرجع تاريخها إلى النصف الأخير من القرن الرابع ق.م⁽⁴⁾ وهذا يدل على أن التجارة مع المناطق الأخرى لم تنقطع تماماً رغم الحظر القرطاجي.

وقد استطاعت المدن الثلاث الخروج من عزلتها التجارية قبيل وقوع السيطرة النوميدية عليها واكتمل خروجها من العزلة التجارية في عهد مكييسا بوجه خاص حيث أصبح لها علاقات تجارية مع بلاد الإغريق والرومان وبقية مناطق البحر المتوسط⁽⁵⁾.

وكانت المدن الثلاث تدفع الكثير من الضرائب لقرطاجة والتي يقدرها ليفيوس⁽⁶⁾ «LIVUS» بحوالي ثلث⁽⁷⁾ في اليوم الواحد وكانت هذه الضريبة تدفعها مدينة لبدة الكبرى وهذه الضريبة الدائمة تعتبر مجحفة بحق البلاد حتى لو سلمنا أن لبدة كانت العاصمة والمركز الإداري للمدن الثلاث⁽⁸⁾، فكيف يكون الحال لو أن هذه الضريبة تتحملها لبدة الكبرى بمفردها، وكان على المدينتين الأخريين أن

(1) من أجل تركيز التجارة في مينائها ومنع وجود موانئ منافسة لها قامت قرطاجة بعدة إجراءات في هذا السبيل أولها حددت نشاط الرومان في المنطقة كما جاء في المعاهدة الأولى بين الطرفين ثم في المعاهدة الثانية التي منعت فيها الرومان من المتاجرة مع المدن الثلاث انظر

Polybius, iii. 22; 24; Graham. A., Op. Cit., P. 6.

(2) إبراهيم نصحي، جـ 1، المرجع نفسه، ص 246.

(3) Hamond, N. G. L. And Sculard, H. H., Op. Cit., P. 1032.

(4) Kenrick, Ph. M., Excav. Sub., Brit., 1986, Pp. 247 – 255.

(5) إبراهيم نصحي، جـ 2، المرجع نفسه، ص 341.

(6) Livius, ix, Xxxiv. 62; C. A. Hist., Vol. P. 682.

(7) يساري الثالث حوالي (230) جنيه استرليني وهذا المبلغ يعادل أجر (2500) عامل في اليوم

(8) Dep. Antiq. Lep. Mag., Op. Cit., P. 10.

تدفعاً ضريبة مماثلة مع الأخذ في الحسبان أن قرطاج قد منعت على المدن الثلاث التجارة الخارجية⁽¹⁾.

وقد اختلف الباحثون فيما إذا كانت هناك ضرائب أخرى على المدن الثلاث حيث يرى البعض أن قيمة التالنت الذي تدفعه لبدة الكبرى كان حصيلة الضرائب المتوجبة على المنطقة بكاملها حتى مذابح الأخوين فيلاني و أن المكوس على التجارة تدخل ضمن تلك الضريبة⁽²⁾ بينما يرى البعض الآخر من الباحثين أن هناك ضرائب أخرى على البضائع⁽³⁾ كما كانت المدن ملزمة بتقديم المؤن⁽⁴⁾ والجيش⁽⁵⁾ في حالة دخول الدولة القرطاجية في حرب مع أحد أعدائها.

ويضيف بعض الباحثين⁽⁶⁾ أن الدولة القرطاجية بعد الحرب البونية الأولى ونتيجة لتعدد الموارد الجمركية اضطرت إلى حجز نصف محصول المزارعين كما عمدت إلى زيادة الأداء المفروض على المدن الثلاث.

ونرى أنه ليس غريباً أن تفرض قرطاج تلك الرسوم والضرائب على المنطقة إذا تذكرنا الصراع الطويل الذي كانت تخوضه ضد اليونانيين ثم ضد الرومان كما أن الرومان رغم اتساع إمبراطوريتهم وكثرة مواردهم الاقتصادية فرضوا ضرائب على المدن الثلاث ربما تزيد على الضعف عما فرضه القرطاجيون كما سنرى فيما بعد.

ويرجح وجود جهاز إداري يتولى الإشراف على كل أنواع الضرائب وجمعها إستناداً إلى نقوش مدينة لبدة التي تشير إلى صنف من القضاة يسمى «محزم MUHZIM أي الجابي أو المحصل» كان من مهامه الرئيسية تحصيل الغرامات وجمع الضرائب⁽⁷⁾.

(1) Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 81.

(2) Merighi, A., Op. Cit., P. 59

(3) Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 86.

محمود الخمس ومحمود أبو حامد، دليل متحف الآثار بالسراي العسراء بفرابلس ص 14

(4) Haynes, E. L., Op. cit., P. 29.

(5) Graham, A., Op. Cit., P. 6, Scullard, H. H., Op. Cit., P. 135.

(6) Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 86.

(7) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 29

واستمرت المدن الثلاث في دفع الضرائب ذاتها عندما انتقلت إلى النفوذ النوميدي⁽¹⁾.

ثانياً: الزراعة والصناعة

الزراعة:

تميزت المنطقة التي تأسست فيها المدن الثلاث بقربة خصبة، فقد أشاد هيرودوت⁽²⁾ بخصوبة وادي كينيس وبغزارة أمطاره واعتبره من المناطق الهامة لإنتاج القمح وإن أرضه تنتج ثلاثمائة ضعف، ورغم أن كلام هيرودوت يحمل بعض المبالغة وخاصة في كمية الإنتاج ولكنه يؤكد على وجود زراعة محلية ربما قبل قدوم الفينيقيين أنفسهم بوقت كاف.

ويشير بعض الباحثين⁽³⁾ إلى أن الزراعة ترسخت على الأرجح في منطقة السهل الساحلي وجبل ترهونة ومناطق الوديان بدون ري منذ فترة مبكرة وكانت بعض القبائل الليبية مثل قبيلة المكاي⁽⁴⁾ تملك أرضاً زراعية يمكنها أن تنتج محاصيل وافرة أما قبيلة النسامونيس⁽⁵⁾ فتتفق تنقلاتها مع بعض المواسم الزراعية.

وعلى العموم يمكن إجمال المزروعات التي كان يزرعها الليبيون في الكروم والنخيل والزيتون والحبوب⁽⁶⁾ بخاصة القمح الذي أكد هيرودوت⁽⁷⁾ على أهميته وكما عرفنا تميزت منطقة المدن الثلاث بقربة خصبة⁽⁸⁾ ومعدل سقوط أمطار جيد في بعض المناطق مثل وادي كينيس⁽⁹⁾ ساعد الفينيقيين على زراعة مناطق شاسعة في المدن الثلاث⁽¹⁰⁾ ولم يتوقف استغلال الفينيقيين للمناطق الساحلية بل ربما تعداه

(1) محمود التمس ومحمود أبو حامد، دليل متحف الآثار بالسراي الحمراء بطرابلس، ص 17.

(2) Herodotus, IV, 198.

(3) Barker, G. W. W. And Jones, B. D. G., "The Unesco Libyan Valleys Survey 1980", (3) Libyan Studies, Twelfth Annual Report, 1980 - 1981, P. 9.

(4) Diodorus Siculus, III, 49.

(5) Herodotus, IV 172.

(6) Lucan, Bel. Civ., IX, 430 - 435, 522 - 533.

(7) Herodotus, IV 198.

(8) Strabo, Geog. XVII, 3, 9; Herodotus, IV, 183.

(9) Edern.

(10) Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., Pp. 314, 335.

إلى المناطق الداخلية إذ أن العثور على مجموعة من المسكوكات القرطاجية⁽¹⁾ في المجرى الرئيسي لوادي سوف الجين قد يدل على استغلال المنطقة في الزراعة منذ العهد الفينيقي⁽²⁾. وتؤكد الدراسات العلمية على قيام الزراعة في منطقة الوديان خصوصاً القمح والشعير ويرجع ذلك وجود بعض السدود الصغيرة في مجاري الوديان والتي بُنيت للسيطرة على المياه والقربة⁽³⁾.

وقد اهتم الفينيقيون بتطوير أساليب الزراعة بقدر كبير تكملة للنشاط التجاري⁽⁴⁾ حيث أدخلوا تحسينات على النظم الزراعية القديمة⁽⁵⁾ واتخذوا إجراءات منظمة للسيطرة على المياه بإنشاء السدود والمصاريج والخزانات⁽⁶⁾ وذكرت المصادر القديمة وجود سد فينيقي على وادي كينيس⁽⁷⁾.

ويرجع بعض الباحثين⁽⁸⁾ أن الطبقة القرطاجية الغنية كانت تملك أراضي فسيحة والرأي السائد أن الدولة القرطاجية لم تستغل أملاكها بنفسها بل تركتها لفئة النبلاء⁽⁹⁾ الذين استخدموا في زراعتها العبيد⁽¹⁰⁾، ويرى بعض الباحثين⁽¹¹⁾ أن الفينيقيين استخدموا السكان المحليين كمستأجرين أو رقيق مسخرين بعد أن نزحوا منهم أراضيهم ولكن هذا الرأي غير مؤكد لأننا لا نعرف (حتى الآن) أي موقف عدائي بين الليبيين والفينيقيين إذ لو نزح الفينيقيون أراضي القبائل لثارت هذه القبائل ضدهم كما حصل في العصر الروماني⁽¹²⁾ أو اليوناني عندما تحاربت

(1) عُثر في أحد مناطق الإقليم على (32) قطعة برونزية في أحد المواقع الأثرية بالمجرى الرئيسي من وادي سوف الجين وذلك في فبراير 1964م.

(2) Divita, A., "Ed Altre Recenti Scavi E Scoperti In Tripolitania," Supplements To (2) Libya Antiqua, II. Published By: The Directorate - Genral Of Antiquities Museum And Archives, Tripoli, P. 80.

Barker, G. W. W And Jones, G. D. B., "Unes. Lib. Val. Sur. 1979 - 1981" Op. Cit., (3) PP. 8, 12.

Bulugma, H., Op. Cit., P. 112. (4)

Stan. Res. Inst., Op. Cit., P. 21 (5)

Dep. Antiq., Lep. Mag., Op. Cit., P. 10. (6)

(7) محمود النعس ومحمود أبوحامد، دليل متحف الآثار بالسررايا الحمراء بطرابلس، ص 14

Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 83 (8)

Edem. (9)

Rostovizeff, M., Soc. Econ. Hist., Rom. Emp., Op. Cit., P. 315. (10)

Edem, Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 83. (11)

(12) انظر الجانب السياسي.

القبائل الليبية مع الممثلين الإغريق في قوريني واستعانة الليبيين بجيرانهم المصريين لمواجهة الإغريق الذين رحفوا على أراضي القبائل الليبية⁽¹⁾.

ثم أصبحت أراضي المدن الثلاث⁽²⁾ في العهد النوميدي ملكاً خاصاً لماسينسيا الذي استغلها لحسابه الخاص⁽³⁾.

وأدخل الفينيقيون⁽⁴⁾ زراعة عدد من الأشجار المثمرة إلى المدن الثلاث من أهمها الزيتون⁽⁵⁾ الذي ساهم في رخاء المدن وأزدهارها الاقتصادي عن طريق الكميات الكبيرة من زيت الزيتون⁽⁶⁾ ومن الفواكه التي أدخلها الفينيقيون التين والرمان واللوز والخوخ والليمون والبرقوق⁽⁷⁾ وقد نجس تلك الفواكه السابقة لأنها ملائمة لمناخ المدن الثلاث⁽⁸⁾. وإضافة إلى الفواكه كانت تزرع الحبوب خاصة القمح الذي أشجار إليه هيرودوت⁽⁹⁾ والشعير⁽¹⁰⁾ الذي ما زال يلعب دوراً هاماً إلى

(1) Herodotus, Iv. 159.

(2) ولعل مما يدل على غنى المدن الثلاث في العهد النوميدي وامتداد النشاط الاقتصادي خارج نطاق المدن الثلاث، اكتشاف كميات كبيرة من النقود النوميديّة تحمل رأس ماسينسيا أو أحد خلفائه في أحد المواقع بالقرب من مدينة كهفلاي (مصراتة) انظر

Brugan, O. "Roun. About Mis." Op. Cit., P. 51

Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 98. (3)

(4) لا نستغرب أن يدخل الفينيقيون الكثير من الأشجار ويساهموا في نجاح زراعتها إذا علمنا أن ماجون القرطاجي يعتبر أهم من كتب في مجال الزراعة في عصره حيث جعلها علماً قائماً على قواعد أثبتتها تجربته حتى أنه لقب «أبو العلوم الزراعية»، لأن كتابه عن الزراعة أهم وأفضل من سواءه حيث بحث العلوم الزراعية بصفة عامة فقد تحدث عن زراعة الزيتون والفضل المناطق لزراعته والوقت المناسب له والطريقة المتبعة في غرسه، كما وضع كتاب ماجون طرق زراعة اللوز والجوز والخوخ والكستناء وتسميد الأرض باستعمال بقاءا العنب بعد عصره مع خلطه بالزبل، وهي من طرق التسميد التي تُستخدم حتى الوقت الحاضر، انظر

جورج مصروعه، هينجل، الطبعة الثامنة الجزء الثاني، 1960م من 333 — 342.

Forbes, R. J., "Food In Classical Antiquity", Studies In Ancient Technology, Second Edition Vol. Iii, Leiden, 1965 P. 105 (3)

Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. cit., P. 335. (6)

Dep. Antiq., Lep. Mag., Op. Cit., P. 10. (7)

(8) إبراهيم زرقانة، المرجع نفسه، ص 72

Herodotus, Iv. 183. (9)

Juhem, Ch. A., Op. Cit., P., 149. (10)

الوقت الحاضر، أما الخضروات والبقول فقد انتشرت في مناطق المدن الثلاث على الأرجح لأن هذه المزروعات كانت منتشرة في المناطق التي تحيط بقرطاجة، وقد تحدث عنها ماجون القرطاجي⁽¹⁾ وربما أدخل القرطاجيون الخضروات والبقول كما فعلوا عندما أدخلوا أشجار الفواكه وإضافة إلى ذلك استمرت المنتجات التي كانت تنتج من قبل الفينيقيين

الرعي:

وهناك بعض الأعمال الأخرى التي زاولها السكان وارتبط البعض منها بالزراعة وأصبح مكملاً لها في الكثير من الأحيان وأهمها الرعي الذي يعتبر من الأعمال الهامة التي اشتغل بها الليبيون قبل قدوم الفينيقيين فقد ذكر هيرودوت⁽²⁾ بأن ليبيا تتميز بتربية الأغنام التي وصفها هوميروس⁽³⁾ بأنها تلد ثلاث مرات في العام وقال أرسطو⁽⁴⁾ بأنها تلد مرتين في العام.

وأكد هيرودوت⁽⁵⁾ أن النسامونيس كانوا يتركون قطعانهم في مكان سكنهم ويذهبون لجمع محصول التمور من منطقة أوجلة وقال عنهم ديودورس الصقلي بأنهم يربون أسراب العاشية وقطعان الأغنام⁽⁶⁾.

ويمكن إجمال الحيوانات التي كانت تربي في منطقة المدن الثلاث في الأغنام والماعز والأبقار والخيول⁽⁷⁾.

وقد استمرت حرفة الرعي على ما هي عليه خلال العصرين الفينيقي والنوميدي⁽⁸⁾ إذ لا نعتقد أن الفينيقيين قد أهملوا تربية الحيوانات المختلفة

(1) أحمد صقر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، دار النشر بوسلطة تونس، الجزء الأول، ص 160.

(2) Herodotus, iv, 251.

(3) Homer, Odysea, iv, 85ff.

(4) إبراهيم نصحي إنشاء قسري وشقيقاتها منشورات الجامعة الليبية/ كلية الآداب الطبعة الأولى

1970 ص 24

(5) عبد الرحمن بدوي، المرجع نفسه ص 134.

(6) Herodotus, iv, 172

(7) Diodours Of Sicils, iii, 49.

(8) Barker; G. W. And Jones, G. D. B., "Unes. Lib. Vai. Sur. 1979 - 1981," Op. Cit., P.

8.

(9) دينيس بولم، المرجع نفسه، ص 47

خصوصاً الخيول التي كانوا يعتمدون عليها في الحرب⁽¹⁾ وكذلك تربية البغال والثيران التي تحدث عنها ماجون⁽²⁾ باستفاضة حيث كانت تستخدم في النقل من أواسط أفريقيا إلى المدن الثلاث ومنها إلى قرطاجة.

ويعتقد بعض الباحثين⁽³⁾ أن حرفة الرعي قد تناقصت خلال العصر الفينيقي بسبب الاهتمام بالتجارة والزراعة ولكننا لا نرجع هذا الرأي لعدة اعتبارات أهمها أن التجارة البحرية مع الدول الخارجية كانت متنوعة على المدن الثلاث، وكذلك تجارة القوافل كانت في يد الجرامنت كما أن القبائل الليبية التي كانت تعتمد على الرعي خارج نطاق المدن الثلاث استمرت في حرفة الرعي ولم تمتن حرفة الزراعة التي كان القرطاجيون يستخدمون فيها العبيد أو المواطنين المجاورين للمدن الساحلية وإذ ذلك نرى أن التجارة والزراعة لم تؤثر على حرفة الرعي.

الصناعة.

لا نملك معلومات محددة عن الصناعة لدى القبائل الليبية المقيمة في المنطقة وكل ما لدينا بعض الإشارات من المؤرخين القدامى، فقد ذكر هيرودوت أن أفراد قبيلة الماكاي الليبية كانوا يحملون أثناء الحرب دروعاً مصنوعة من جلود النعام⁽⁴⁾، وأورد ديودورس الصقلي، أن الليبيين كانوا يصنعون الأقربة من الجلود⁽⁵⁾، وهذا يحد ذاته يوحي بأن الصناعات المعتمدة على الجلود المحلية كانت منتشرة بين قبائل المنطقة قبل استقرار الفينيقيين.

أما الصناعة في العصرين الفينيقي والنوميدي فنحن لا نعرف عنها إلا لقليل من خلال الاكتشافات التي تمت في مناطق متعددة من المدن الثلاث والتي دلت على وجود عدد من الصناعات خلال العصر الفينيقي وأهمها الكشف عن الأواني الفخارية⁽⁶⁾ والقصور والجرار الضخمة⁽⁷⁾ وتعتبر الأمفورات من الصناعات

Merighe, A., Op. Cit., P. 60.

(1)

(2) جورج مصروعة، المرجع نفسه، ص 339 - 340.

Bulugma, H., Op., Cit., P. 112.

(3)

Herodotus, IV, 175.

(4)

Diodorus Siculus, III, 49.

(5)

Brogan, O., "Round About Mis.", Op. Cit., P. 51.

(6)

(7) محمود النمس ومحمود أبوحامد، دليل متحف الآثار بالسراي الحمراء بطرابلس ص 14.

الهامة في المدن الثلاث وقد عثر على عدد منها في مدينة صبراته ويرجع تاريخ صنعها إلى القرن الثالث ق.م⁽¹⁾.

وكان تخليط «تمليح» السمك من أهم صناعات المدن الثلاث وتعتبر مدينة لبدة الكبرى المركز الرئيسي لهذه الصناعة بالإضافة إلى ماكوماكا «سبخة ناورغاء» التي يرجع بأنها أحد مراكز صناعة السمك كذلك أوزوخيس «لا يُعرف موقعها» والتي اشتهرت إضافة إلى صناعة السمك بصناعة الأرجوان⁽²⁾.

ومن الصناعات الأخرى الزيتون والتفاح المجففة والجلود والحصر⁽³⁾، أما الصناعة التي ربما تحتل المرتبة الثانية بعد صناعة السمك فهي صناعة النبيذ⁽⁴⁾ الذي كان السكان يهرونه إلى قوريني مقابل كميات من نبات السلفيوم وذلك عبر المركز التجاري كراكس⁽⁵⁾.

من خلال العرض المختصر للأوضاع الاقتصادية للمدن الثلاث خلال الفترة التي سبقت الغزو الروماني يمكن أن نلخص إلى النتائج التالية :

أولاً : أن القبائل الليبية كان لها علاقات تجارية قبل الاحتلال الفينيقي.

ثانياً : كان للأهمية التجارية للمدن الثلاث دور كبير في ازدهارها.

ثالثاً : احتكرت قرطاجة تجارة المدن الثلاث الخارجية مما أسر على استمرار تقدمها.

رابعاً : أثقل القرطاجيون والنوميديون كاهل المدن الثلاث بالضرائب القادحة

خامساً : اشتغل الليبيون بالزراعة على نطاق محدود قبل الغزو الفينيقي

سادساً : طوّر الفينيقيون أساليب الزراعة القديمة .

سابعاً : أدخل الفينيقيون الكثير من الأشجار والمزروعات إلى مناطق المدن الثلاث.

ثامناً : استمرار النشاط الرعوي عما كان عليه قبل العصر الفينيقي.

تاسعاً : شكّلت الصناعة مورداً هاماً للمدن الثلاث خلال العصر الفينيقي.

(1) Kenrick, Ph. M., Excav. Sab., Part . 1986. Op. Cit., Pp. 45 - 46.

(2) Merighe., A., Op. Cit. Pp 37 - 39

(3) Bates, O. Op. Cit., P 102.

(4) مما يدل على أهمية صناعة النبيذ في المنطقة توضيح ماجو للطريقة المستخدمة في صناعتها انظر جورج مصروعة، المرجع نفسه، ص 335 - 336

(5) Strabo, Geog. XVII. 3. 20.

الفصل الثاني الزراعة والثروة الحيوانية

أولاً: الزراعة
ثانياً: الرعي
ثالثاً: الصيد

أولاً : الزراعة:

تعتبر الزراعة من العناصر الهامة في اقتصاد المدن الثلاث منذ أقدم الأزمنة⁽¹⁾ ويؤكد هذه الأهمية مقدار الضريبة التي تحملتها لبدة الكبرى سنوياً والتي فرضها يوليوس قيصر وقد قدرت بثلاثة ملايين رطل من الزيت⁽²⁾، كذلك تقديم أهل لبدة هدية من الزيت لسيتيميوس سفيروس⁽³⁾ وصُورت الكثير من العمليات الزراعية على الفسيفساء المكتشفة في دار بوك عميرة⁽⁴⁾، وكذلك في عدد من النحسوت البارزة في منطقة قرزة⁽⁵⁾ التي وضحت أنواع المزروعات والطرق المستخدمة في الزراعة⁽⁶⁾ وهناك الكثير من الأدلة الأثرية التي تؤكد على أهمية

(1) انظر الفصل السابق من 118 - 123.

(2) Plutarch, Caesar, 55; C. A. Hist, Vol. X, P. 411.

(3) Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 335

(4) تقع فيلاء داربوك عميرة بالقرب من البحر في منطقة زليطن إلى الشرق من لبدة الكبرى وقد صُورت العديد من أوجه الحياة الزراعية على الفسيفساء التي عُثر عليها داخل المبنى الذي يُعتقد أنه يرجع إلى العهد الفيلالي وتوجد الفسيفساء الآن بمتحف مدينة طرابلس حول هذا الموضوع انظر.

Aurigemma, S., "I Mosaici Di Zliten," Africa Italiana, Vol. 2, 1926, Pp. 93ff.

(5) تعتبر قرزة إحدى المستعمرات الزراعية الهامة التي تأسست في فترة متأخرة من العهد الروماني وهي تقع في منطقة الوديان الجنوبية على الطريق بين كيدامس «غدامس» وجولايا «بونجيم» حول قرزة انظر:

Brogan, O. And Smith, D. J., Ghir. Lib. Set. Rom. Per., Op. Cit., PP. 45 - 311.

Ibid, PP. 45ff. (6)

الزراعة من أهمها مستودعات الزيوت⁽¹⁾ وآثار معاصر الزيتون التي اكتشفت في معظم مناطق المدن الثلاث⁽²⁾.

ومع ذلك لا تنضج أهمية المنطقة زراعياً إلا بالنظر إلى ما تنتجه مناطق أفريقيا بصفة عامة وفي هذا الشأن يذكر المؤرخ ليفيوس⁽³⁾ أن قرطاجة وماسينيسا حاكم قوميديا أرسلتا إلى روما (500,000) مودي⁽⁴⁾ من القمح و (250,000 مودي) من الشعير وذلك في عام 191 ق.م وقد أكد عدد من الباحثين⁽⁵⁾ أن ثلثي احتياجات روما من القمح 1 - تأتي من أفريقيا اعتباراً من عهد الإمبراطور نيرون.

وقد ذكر بليني⁽⁶⁾ أنواعاً متعددة من المحاصيل الزراعية في أفريقيا أهمها أشجار اللوتس التي تنمو في مناطق المدن الثلاث، كذلك أشجار النخيل والزيتون والحبوب التي تنمو في عدة مناطق من أفريقيا.

وليس أدل على أهمية المنطقة اقتصادياً بالنسبة للرومان بصفة خاصة من أن المجاعة قد هددت روما في عام 86م عندما ثار كلوديوس مارك⁽⁷⁾ ضد نيرون⁽⁸⁾.

كما أن هذه الأهمية أجبرت سبتيميوس سيفروس على إرسال قواته إلى أفريقيا حتى لا يتسنى لخصمه نيجر السيطرة على مصادر القمح والتي يستطيع بها إرغام سكان روما على تحويل ولائهم عن سيفريوس⁽⁹⁾.

ولعل ما يؤكد هذه الأهمية الزراعية أن الرومان لم يضيعوا وقتاً طويلاً في

Willimott, S.G., "soils Of The Jefara," Field Studies In Libya, Editors Willimott, (1) S.G. And Clarke, J.I., Research Papers No.4 (1960) Dep. Of Geog Durham Colleges In The University Of Durham, P.26.

Rebuffat, R., "Dix An. Recher, Pre-Dis. Trip." Op.Cit., P. 88. (2)

Livy, Xxxvii, 2; 50. (3)

(4) المودي «Modius» يساوي واحد جالون

(5) محمد الجراري سوقف القبائل الليبية من الفزو الروماني، المرجع نفسه، ص 72.

Pliny, Nat. Hist., xii, 32, 104, Xii, 33.3, XV, 1.3; Xviii, 21. (6)

(7) كان كلوديوس مارك حاكم أفريقيا في تلك الفترة «انظر الجانب السياسي الفصل الثاني».

Warmington, B. H., Nor. Afr. Prov. Dioc. Vand. Con., Op. Cit., P. 58. (8)

Graham, A., Op. Cit., P. 204. (9)

وضع أيديهم على الأراضي الزراعية في مناطق المدن الثلاث بعد سيطرتهم عليها بصورة مباشرة، فقد اعتبر الرومان أراضيها الزراعية مناطق تمتلكها الدولة الرومانية بحق الفتح قياساً بما حصل في سائر أفريقيا⁽¹⁾.

واعتباراً من عصر أغسطس بدأت تتضح معالم السيطرة الرومانية على الأراضي الزراعية إذ انتشرت الضيعات الكبيرة التي سيطر عليها أغنياء الرومان⁽²⁾ فقد ذكر بليني⁽³⁾ أن نصف مساحة أفريقيا يمتلكها ستة أفراد، وقد أراد بليني بهذا القول أن يوضح الأملاك الشاسعة التي يمتلكها الرومان، ومما يؤكد انتشار هذا النوع من الضيعات الكبيرة أن بعض المراجع⁽⁴⁾ يتحدث عن إحدى المزارع الرومانية الكبيرة في مناطق المدن الثلاث والتي يزيد عدد العاملين فيها عن أربع مائة عبد كما بينت إحدى الصور سيده في إحدى الضيعات تعطى الأوامر للعاملين والتي عُثر عليها في فسيفساء دار بوك عميرة⁽⁵⁾.

وإذ ذلك ١ - الأراضي الزراعية في المدن الثلاث على النحو التالي -

أولاً: أراضي يمتلكها الإباطرة⁽⁶⁾ حيث أن أغسطس امتلك مساحات شاسعة من الأراضي حول مدينة صبراتة⁽⁷⁾ وربما استمرت هذه الأراضي في عهد الإباطرة

(1) دل ديورانت، المرجع نفسه، ص 26.

(2) Leon, H., Op. Cit., Pp. 350ff.

(3) Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 321.

(4) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 52.

(5) Aurigema, S., "Mos. Zitt.", Op. Cit., Pp. 93ff.

(6) كانت أراضي الإمبراطور تُزجر إلى الراغبين من الأفراد والشركات التجارية التي استقلت المزارعين الصغار لفلاحتها وكان هؤلاء لا يدفعون الضرائب إلى الجهة المكلفة بذلك وإنما يدفعونها إلى الملتزمين الذين يساعدون الإمبراطور في تحصيل هذه الضرائب ومن هؤلاء الموظفين موظف الأملاك الإمبراطورية الذي كان يجبر المزارعين على الطاعة بالسوط أو السجن يضاف إليه موظف الجهة ومهامه الإشراف على المزيديات وضبط قوانين إدارة الجبايات كما يوجد موظف آخر أكبر ينوب عن الإمبراطور في أعمال الأملاك وله قوة مسلحة من أجل قمع شربات المزارعين الخاضعين للاستغلال، حول هذا الموضوع انظر:

Julian, Ch. A., Op. Cit., P. 161.

(7) كانت الأراضي التي سيطر عليها الإباطرة قد أنتزعت من أيدي القبائل الليبية أو أخذت من أعضاء مجلس الشيوخ الروماني خاصة في عهد الإمبراطور نيرون، ومع ذلك استمرت الكثير من الأراضي تحت سيطرتهم.

السفيريين فيما يسمى بأراضي طرابلس الخاصة⁽¹⁾.

ثانياً: الأراضي التي وُزعت على الرومان العدنيين والجنود خصوصاً العناصر المحلية الذين أنهوا خدمتهم في الجيوش الرومانية⁽²⁾.

ثالثاً: الأراضي الزراعية التي سيطرت عليها الطبقة الرومانية الأرستقراطية⁽³⁾ والطبقة المحلية المترومنة من سكان المدن⁽⁴⁾.

رابعاً: الأراضي القبلية التي تُركت في أيدي أصحابها كانت فقيرة التربة⁽⁵⁾ وقليلة في مردودها الإنتاجي ومع ذلك استمر الرومان في ضمها بصفة مستمرة وطردها منها⁽⁶⁾.

وكان العمل في الضيعات الكبيرة⁽⁷⁾ سواء التي يمتلكها الإمبراطور أو الطبقة الأرستقراطية يقوم به العبيد⁽⁸⁾ وفي أحيان أخرى يقوم بالعمل مستأجرون كانوا يمتلكون هذه الأرض⁽⁹⁾ قبل أن يستولي عليها الرومان وكان هؤلاء المستأجرون يدفعون جزءاً من المحصول لأصحاب الإقطاعيات كما كان قطاع كبير من المواطنين يعملون كفلاحين مأجورين في المزارع الشاسعة⁽¹⁰⁾.

وخير ما يصور الأعمال الزراعية اليومية في مناطق المدن الثلاث الصور التي على فسيفساء دار بوك عميرة حيث توضح بعضاً من تلك الأعمال منها درس

Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 339. (1)

Goodchild, R. G., Lib. Stud. Ed. Renolds, Op. Cit., Pp. 3 - 11. (2)

Hamond, N. G. L. And Sculiard, H. H., Op. Cit., P. 22. (3)

Ogner, D., Op. Cit., P. 42; Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 161. (4)

(5) محمد الجراي «الاستيطان الروماني في ليبيا» المرجع نفسه ص 27.

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 51. (6)

(7) كان أصحاب الضيعات الكبيرة لا يقيمون فيها في الغالب وإنما يتركونها تحت رعاية وكلاء يشرفون

على العمل بها وكانت تحتوي على قلاع يمضي فيها أصحابها أوقات الراحة ومن هذا الطراز داربوك

عميرة وقرقارش وبتاجوراء حول هذا انظر:

Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 313;

محمود النمس «حفائر مصحلة الآثار بتاجوراء» مجلة ليبيا القديمة المجلد الثالث والرابع 1966 -

1967 م ص 38 - 40

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 51. (8)

Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 323. (9)

Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 158. (10)

المحصول باستخدام الخيول والثيران وتقليب «إعدادها للدرس» المحاصيل التي لم تصل إليها أرجل الحيوانات باستخدام المدارة من طرف العاملين وقد جلست صاحبة الأرض تحت إحدى الأشجار تعطي الأوامر وتراقب العمل، في جانب آخر من الفسيفساء تتضح تسوية الأرض لغرس الكروم⁽¹⁾ وكان حرث الأرض يتم بواسطة محراث خشبي⁽²⁾ بعد سقوط الأمطار مباشرة وبعد يذر الحبوب وحرث الأرض تُترك «يرجح أن المزروعات تُترك بدون عناية من حيث إزالة الأعشاب الضارة» حتى موسم الحصاد⁽³⁾ الذي يتم بواسطة استخدام المتجل كما يتضح من رسوم قرزة وقد أضافت تلك الرسوم عنصراً جديداً إلى رسوم دار بوك عميرة وهو دخول الجمل كأحد حيوانات الحراثة في المنطقة وبيّنت عملية نقل المحاصيل الزراعية إلى أماكن درسها⁽⁴⁾.

ولزيادة خصوبة التربة يرجح أن السكان استخدموا الدورة الزراعية⁽⁵⁾ بحيث يحرقون الأرض عاماً ويتركونها بوراً عاماً آخر⁽⁶⁾، وكانت هناك العديد من الصعوبات التي تعترض الزراعة في المدن الثلاث أهمها:

أولاً: عدم توفر المياه⁽⁷⁾ في بعض المناطق بكميات كافية للزراعة.

ثانياً: عدم خصوبة التربة في الكثير من المناطق⁽⁸⁾ ورغم ذلك فقد نجحت

(1) Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 313.

(2) Chatterton, B. A. And Chatterton, L., "Medicago Impossible Role In Roman Libyan Dry Farming And Its Positive Role In Modern Dry Farming," Lib. Stud., Vol. 15, 1984, P. 157.

(3) Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 150.

(4) Brogan, O. And Smith, D. J., Ghir. Lib. Sett. Rom. Per., Op. Cit., Pp. 45ff.

(5) يرى بعض الباحثين أن الزراعة القديمة في ليبيا خلال العصر الروماني قد استخدمت فيها الدورة الزراعية أو ما يطلق عليها الميديكاجو (Medicago) وهي زراعة الأرض بالحبوب وتربية الحيوان. ويُجمعون وفاة الحبوب خصوصاً القمح لهذا السبب لأن هذه الدورة كانت أساسية لخصوبة الأرض وزيادة القدرة الإنتاجية حول هذا الموضوع انظر

Chatterton, B. A. And Chatterton, L. "Ahypothetical Ansewerto The Decline Of The Granary Of Rome," Lib. Stud., Vol. 16, 1985, Pp. 95 – 98.

(6) Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 150.

(7) Holmes, T. R., Op. Cit., P. 13; Bates, O., Op. Cit., P. 3.

(8) Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 149.

زراعة الزيتون⁽¹⁾ بصفة خاصة الذي يبدو أنه أكثر ملاءمة مع الظروف الطبيعية للمنطقة.

وعندما سيطر الرومان على الأرض الزراعية لم يجدوا صعوبة في استغلالها وتطوير أساليب الزراعة فيها والتي كانت قد ترسخت على يد الفينيقيين والنوميديين⁽²⁾.

وقد قام الرومان بعدة خطوات في سبيل الاهتمام بالزراعة وزيادة انتشارها واستغلال الأراضي البور والأراضي المهملة وأهم هذه الخطوات:

أولاً: عمل الرومان على توفير الأمن⁽³⁾ عن طريق الفرق العسكرية والحصون والقلاع⁽⁴⁾ المنتشرة في المناطق الهامة التي تسيطر على المنافذ التجارية في المدن الثلاث.

ثانياً: قام الإمبراطور الرومان بتشجيع الزراعة بما يتناسب مع مصالح دولتهم حيث أن الحكومة الرومانية فرضت زراعة القمح الصلب خلال القرن الأول نظراً لحاجتها إليه لإطعام سكان روما⁽⁵⁾، كما أصدر الإمبراطور تراجان قانوناً زراعياً في هذا الشأن ينص بمنع غرس الكروم ما عدا تعويض الكروم القديمة⁽⁶⁾.

كذلك أصدر الإمبراطور هادريان قانوناً بشأن استغلال الأراضي الزراعية التي أهملها أصحابها أو الأراضي البور وأعطى العاملين بها ضماناً بالملكية وإعفاء من الضرائب على الأشجار المثمرة حتى اكتمال نموها⁽⁷⁾.

ثالثاً: عمل الرومان على تطوير الوسائل التقنية المستخدمة في العصر

Pliny, Nat. Hist., Xv. 3 - 4, Xviii. 51; Camps - Fabrer, H., L'Olivier Et L. Huile Dans (1) L. Afrique Romaine, Alger, 1953, Pp. 11 - 82.

Brehony, J. A. N. "Semi - Nomadism In The Jebel Tarhuna " Field Studies in Libya, (2) P. 62.

Camps - Fabrer, H., Op. Cit., P. 16. (3)

Brogan, O. And Smith, D. J., "Notes From The Tripolitania Pre - Desert 1967, Libya (4)

Antigga, Vol. III - IV, 1966 - 1967, Pp. 141ff.; Rebuffat, R., "Gholia" Libya Antiqua, Vol. IX - X, 1972 - 1973, Pp. 121ff.

Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 149. (5)

Ibid, P. 151. (6)

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 51. (7)

الفينيقي والنوميدي ومن أهمها استخدام السدود على نطاق واسع حيث أنشأ الرومان عدداً كبيراً منها لعل أهمها تلك التي أقيمت على وادي كينيس⁽¹⁾ «وادي كسام» والتي بلغ مجموعها عشرة سدود⁽²⁾ وكانت تختلف في أحجامها وأهميتها وأيضاً الأغراض التي أنشئت من أجلها⁽³⁾، يضاف إلى ذلك سدود أخرى في عدة مناطق من المدن الثلاث⁽⁴⁾ أهمها عند سيدي الجيلاني ووادي المجنيين⁽⁵⁾ ووادي الهيرة⁽⁶⁾ ووادي السرميت «زميت - ZUMMIT - EZ»⁽⁷⁾ ووادي المي⁽⁸⁾ ومن السدود الأخرى سد وادي شياية الخيل⁽⁹⁾ بالقرب من التقائه بوادي المي⁽¹⁰⁾ وقد وضحت بعض الخرائط الرومانية قسماً من تلك السدود⁽¹¹⁾ التي أستخدمت للسيطرة على المياه والاستفادة منها في الزراعة أو الشرب.

وكانت أشكال السدود تختلف تبعاً للوادي المقامة عليه ومقدار اندفاع مياهها ولكنها بصفة عامة تُبنى على عرض الوادي بحيث تربط جانبيه⁽¹²⁾ وكانت بعض هذه السدود مدرجة حتى تقاوم اندفاع قوة المياه⁽¹³⁾، أما إذا كان الوادي عريضاً والمياه

(1) قامت بعثة علمية من جامعة كامبردج في عام 1964م بتعري أكبر السدود المقامة على وادي كينيس الذي يبلغ طوله (3100) قدم وهو من أكبر السدود الرومانية في المدن الثلاث حول هذا الموضوع انظر:

Bellwood, P. S., "Aroman Dam In The Wadicaum, Tripolitania," Libya Antiqua, Vol. III - IV, 1966 - 1967, Pp. 4ff.

Vitafinzi, C., "Post Roman changes In Wadi Lebda," Field Studies In Libay, Dep. (2) Geog. Durham, 1960, P. 46.

Vitafinzi, C., "Roman Dams In Tripolitania," Antiquity, 1961, Pp 18 - 19. (3)

Brehony, J. A. N., Op. Cit., P. 62 (4)

(5) يقع هذان السدان إلى الجنوب من أويا بمسافة (54) كيلو متر

(6) موقع السد إلى الجنوب الغربي من العزيزية بمسافة (16) كيلو متر

(7) هذا الوادي يقطع الطريق من أويا إلى لبدة الكبرى عند منطقة الطازة.

(8) يوجد هذا السد في وادي المي على الجانب الأيسر من طريق القصببات ترهونة على مسافة ليست بعيدة من قصر الداوون.

(9) ربما يكون الغرض الرئيسي من السد عبور الوادي

Hayes, E. L., Op. Cit., Pp. 138, 152 - 153. (10)

Goodchild, R. G., Tabula Imperii Romani Leptismagna, Printed At The University (11) Press, Oxford, 1954, P. 7.

Vitafinzi, C., "Pos. Rom. Chan. Wad. Leb.,," Op. Cit., Pp. 47ff. (12)

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 152; Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 154. (13)

ضحلة⁽¹⁾ فإن السد لا يزيد عن جدران منخفضة من الحجارة⁽²⁾.
وتختلف أغراض السدود بين سد وآخر ولكنها لا تخرج في جملتها عن
الأغراض الآتية:

أولاً: المحافظة على التربة من الانجراف⁽³⁾.
ثانياً: جمع أكبر كمية من المياه للاستفادة منها في الزراعة خصوصاً ري
مزارع الزيتون⁽⁴⁾ والاحتفاظ بالمياه الزائدة لاستخدامها في قمل الجفاف⁽⁵⁾.

ثالثاً: حجز الطمي خلف السدود⁽⁶⁾ الذي يُستفاد منه في غرس الأشجار
المثمرة والخضر حيث إن اندفاع المياه في الوديان لم يكن قوياً ولذلك يترسب
الكثير من الطمي قبل الوصول إلى السدود أما في السدود الصغيرة فربما تتحول
مع مرور الوقت إلى مدرج يتجمع خلفه الطمي وما تجلبه المياه بحيث يكون جزءاً
من قاع الوادي.

رابعاً: حجز المياه خلف السدود يتيح الفرصة لتسرب المياه إلى باطن
الأرض⁽⁷⁾ مما يؤدي إلى زيادة مضمون المياه الجوفية التي يتم الاستفادة منها
بواسطة الآبار.

خامساً: بعض السدود كانت لها وظيفة تحويلية ومن هذا النوع أكبر السدود
المقامة على وادي لبداء إذ يتضح من شكله الملتوي أن مهمته حماية مسقى لبداء⁽⁸⁾
المقام في وسط الوادي⁽⁹⁾.

(1) يوجد هذا النوع من السدود على وادي فرزة.

(2) Ibid, P. 153.

(3) Vitafinzi, C. "Rom. Dam. Trip" Op. Cit., Pp. 18 - 19.

(4) Bellwood, P. S., Op. Cit., P. 44.

(5) Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 154.

(6) Anketell, J. M. And Ghellali, S. M., "Stratigraphic Studies On Quaternary Flood, (6)

Plaine Deposits Of Eastern Gefara Plaine," Lib. Stud., Vol. 14, 1983, Pp. 16 - 37.

(7) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 52.

(8) يتكون مسقى لبداء الكبرى من خزان وأسوار وآبار وبدء أنه كانت تغذيه ينابيع مستديمة بحيث إذا

انقطعت هذه الينابيع يقوم المهندسون بتحويل مجرى المياه العكبة إلى وادي رصيف لحماية خزان

المياه ولتجنب الترسبات في مرفأ لبداء وحماية مبانيها مثل الحمامات والسوق السفيري. حول هذا

الموضوع انظر: Vitafinzi, C., "Pos. Rom. Chan. Wad. Leb., Op. Cit., Pp. 46ff.

(9) Bellwood, P. S., Op. Cit., P. 42.

سادساً: قد يكون لبعض السدود أغراض أخرى مثل سد وادي المجينيين الذي يرجح أن يكون أحد أغراضه حماية أوبا من الفيضانات كما أن بعض السدود أستخدمت كجسور لعبور الوديان إذ يرجح أن السد الكبير في وادي لبدة وسد وادي شياية الخيل كان العبور أحد أغراضهما⁽¹⁾

وتاريخ هذه السدود يتعذر تحديده في غياب النقوش ومع ذلك يرجح أن إنشاءها قد تم في القرون الثلاث الأولى من الاحتلال الروماني ويُعتقد أنها ليست معاصرة لبعضها في البناء ويمكن إرجاع عدد منها إلى عصر هادريان خصوصاً التي أستخدمت لتغيير مجرى وادي لبدة⁽²⁾.

وتعتبر الصهاريج⁽³⁾ من الوسائل الحيوية التي لعبت دوراً هاماً في جمع المياه وتخزينها من أجل استخدامها في المنازل والزراعة إذ أن الرومان حاولوا الاستفادة إلى أقصى درجة من المياه الساقطة⁽⁴⁾ على المرتفعات وكانوا يستخدمون قنوات أو بالوعات لتوصيل المياه إلى هذه الصهاريج⁽⁵⁾، ويوجد عدد من هذه الصهاريج في وسط الأودية⁽⁶⁾ لتخزين المياه وكانت تشكل مع الخزانات الكبيرة مصادر هامة للمياه تُستخدم في فصل الجفاف⁽⁷⁾.

وإضافة إلى وسائل الري السابقة اهتم الرومان بحفر الآبار⁽⁸⁾ وعمل

Haynes, E. L., Op. Cit., Pp 99, 138, 153. (1)

Vita Finzi, C., "Pos. Rom. Chan. Wad. Leb." Op. Cit., P 46. (2)

(3) لعبت الصهاريج دوراً هاماً في توفير المياه في العصر الروماني وهي لم تتعد حفر في الأرض تفصل إليها المياه من المناطق المجاورة واشتهرت باسم الصهاريج أو الآبار الرومانية ولا بد من توفر شرطين لحفر هذه الصهاريج أولهما أن يكون السطح منحدرًا بقدر المستطاع طبيعياً أو صناعياً وثانيهما أن تكون الصخور لينة لسهولة الحفر وأن تكون صماء حتى لا تضيق المياه بالتسرب حول هذا الموضوع انظر

عبد العزيز طريح شرف، المرجع نفسه، ص 239 - 240

Willmott, S. G., "soil. Jef.", Op. Cit., P. 30. (4)

Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 154. (5)

(6) كان يوجد على الضفة اليمنى لوادي لبدة خزانين كبيرين يشتمل الأول منهما على خمسة صهاريج ويشتمل الثاني على ثلاثة صهاريج حول ما سبق ذكره انظر

Haynes, E. L., Op. Cit., P 98.

Bellwood, P. S., Op. Cit., P. 42, Nilsson, M. P., Op. Cit., P. 193. (7)

(8) عبد القادر جعلول المرجع نفسه، ص 16

المصاطب⁽¹⁾ والأخاديد التي تحد من اندفاع الماء وتسمح بتراكم الاتربة التي تكون مساحات صالحة للزراعة⁽²⁾ ومن المحتمل أن تكون هناك تنظيمات أساسية⁽³⁾ للمحافظة على وسائل الري والقنوات⁽⁴⁾ والسواقي وتوزيع المياه على أصحاب الأراضي وتصريف المياه الزائدة ويرجح أن الجهة التي تقوم بهذه المشاريع هي البلديات أو الجمعيات وفي ذات الوقت كانت الكتبة الأغسطية تساهم بمهندسيها في هذه الأعمال⁽⁵⁾

وتسهيلاً للنشاط الزراعي اهتم الرومان بالطرق التي تربط بين مناطق الريف والمدن⁽⁶⁾ وأقاموا عليها نقاط حراسة تأميناً لتصريف المحاصيل الزراعية⁽⁷⁾.

أشارت المصادر التاريخية إلى وجود زراعة الزيتون في أفريقيا منذ القدم⁽⁸⁾ ويرجح أن زراعته أدخلت بواسطة الفينيقيين⁽⁹⁾ وعندما سيطر الرومان على البلاد

(1) يوجد عدد من المصاطب في وادي حسان إلى الجنوب الغربي من لجة الكبرى

(2) Vita Finzi, C. "Pos Rom Chan. Wad. Leb " Op Cit , Pp. 49 - 50.

(3) Brehony, J. A. N., Op Cit , P. 62.

(4) اهتم الرومان بالمحافظة على المياه وقاموا بشق القنوات لتوصيل المياه. حول ذلك انظر

Camps Faber, H., Op. Cit., Pp. 17f.

(5) Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 155.

(6) Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist Rom Emp , Op. Cit., P. 339.

(7) عبد القادر جفلول، المرجع نفسه، ص 17.

(8) يرجع أن أصل زراعة الزيتون قد ظهرت في كريت وصقلية وآسيا الصغرى ومنها تسربت زراعته إلى سوريا وفلسطين ومصر وأوضحت الدراسات وجود الزيتون في أفريقيا منذ العصور الحجرية، كما وضحت لوحة تاسيلي رؤوس رجال عليها أغصان زيتون وقد اختلفت تسميته من منطقة إلى أخرى وفي أفريقيا سمي زيتون وبعد عصره سمي زيت وإن الفينيقيين أدخلوا زراعته وعملوا على تطويره وليس أدل على ذلك من أن كل الدراسات الرومانية مشتقة من كتاب ماجون في الزراعة وقد أشار كل من هيرودوت وسكيلاكس إلى جزيرة كيرنيس (Cyraunus) المغطاة بالكروم والزيتون وأكسد ثيوفراست (Theophrastus) على وجود الزيتون بكثرة في قبريني وبناء على ذلك من المرجح أن تكون مناطق المدن الثلاث الواقعة بين مناطق الريتون السابق ذكرها كانت هي الأخرى إحدى المناطق الكثيفة في زراعة الزيتون حول هذا انظر

Herodotus, Iv 195; Pliny, Nat Hist., Xv; Xvii; Columelle, V - Ix; Perible Descylax, I, P. 87; Theophrastus Ccxxxii - Ccxxxiii, The Letters Of Synesius Of Cyrene, Translated Into English With Introduction And Notes By Augustine Fitzgerald, Oxford University Press, London: Humphrey Milford, 1926, Pp. 226-229, 242 - 247.

(9) انظر الفصل السابق ص 120.

أكثرها من زراعته وتطويره خصوصاً الإقطاعيون الذين استغلوا الخبرة المحلية⁽¹⁾ التي اكتسبها المواطنون في المدن الثلاث أو الخبيرة التي نقلها الرومان عن المهندس القرطاجي ماجون حيث إن الرومان قاموا بترجمة كتابه إلى لغتهم نظراً لأهميته⁽²⁾ كما أشاد كولوميل بـماجون وسعة خبرته في الزراعة⁽³⁾ وقد اعترف أحد المزارعين الرومان بأنه قد استفاد من هذا ب في أساليب الزراعة.

والزيتون كغيره من الأشجار يحتاج إلى مناخ معتدل⁽⁴⁾ وتربة مختلطة⁽⁵⁾ ومن مميزاته أنه أقل كلفة من المزروعات الأخرى ولا يحتاج إلى جهد كبير ولكنه لا يُعطي ثماره إلا بعد فترة زمنية طويلة وقد كانت عملية غرسه وتطويره في العصر الروماني تتم بطريقتين: أولهما التلقيح⁽⁶⁾ وثانيهما الأزدراع⁽⁷⁾.

ويعتبر الزيتون من أهم المحاصيل الزراعية في مناطق المدن الثلاث فقد لعب دوراً كبيراً في اقتصادها⁽⁸⁾ وتمكنت المدن الثلاث بفضلها أن تدفع الضرائب والغرامات التي فرضت عليها سواء من قبل القرطاجيين أو الرومان⁽⁹⁾.

وكان الزيتون عاملاً هاماً في تقدم المدن الثلاث ورخائها الاقتصادي⁽¹⁰⁾ حيث زادت زراعته بدرجة كبيرة اعتباراً من القرن الثاني الميلادي خصوصاً في عهد

(1) Camps - Fabree, H., Op. Cit., Pp. 12 - 13.

(2) جورج مصروعة، المرجع نفسه، ص 333.

(3) Columelle, V - IX

(4) جورج مصروعة، المرجع نفسه، ص 333

(5) Pliny, Nat. Hist. Xv. I 3.

(6) ينمو الزيتون بسرعة ولكنه لا يُعطي الثمار إلا بعد مضي وقت طويل ويحتاج لتربة مختلطة من الرمل والطين ويبدو أن زراعة الزيتون تتناسب مع أحوال المناخ والتربة في المدن الثلاث حيث تتميز بأنها مسامية خصوصاً الطبقة العليا أما الطبقة السفلى فهي غير مسامية بحيث تمنع المياه من التسرب إلى أعماق الأرض المنخفضة

Taylor, A. R., "Regional Variations In Olive Cultivations In Northern Tripolitania, "Field Studies In Libya, P. 99; Willimott, S. G., "Soil. Jcf., Op. Cit., Pp. 26ff.

(7) للمزيد عن طريقة التلقيح وعرس الزيتون في أفريقيا بصفة عامة انظر

Pliny, Nat. Hist. Xvii. 26, 28, 30, 45; Columelle, V - IX.

(8) Camps - Fabrer, H., Op. Cit., Pp. 14ff.

(9) Brogam, O., Cam. Rom. Trip., Op. Cit., Pp. 128 - 129.

(10) Livy, IX, XXXIV. 26; Plutarch, Caesar, 55.

Hamond, N. G. L. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 596.

الإمبراطور هادريان الذي أصدر قانوناً يشجع على زراعة الزيتون وبقية الأشجار المثمرة⁽¹⁾.

ونتيجة لنجاح غرس الزيتون في منطقة المدن الثلاث⁽²⁾ والذي تؤكد الشواهد المادية⁽³⁾ لذلك انتشرت مناطق على مدى واسع خصوصاً في الجهات الشمالية⁽⁴⁾ حول مدينة لبدة الكبرى والمناطق المجاورة لها⁽⁵⁾، ومع زيادة الإقبال على غرس الزيتون تزايدت مناطق واتجه انتشاره جنوباً حيث شكّلت منطقة الجبل جزءاً داخلياً مكماً لللبدة في محصول الزيتون⁽⁶⁾ ولم يتوقف انتشاره على المناطق المسافة بل امتدت زراعته إلى منطقة التخوم من ثقيس «الزنتان» إلى وادي زمزم⁽⁷⁾.

ولم تخل مناطق الجفارة المحيطة بأويا وصبراتة من بساتين شاسعة لأشجار الزيتون⁽⁸⁾ ويرجح أن غرس الزيتون قد امتد إلى الشرق من لبدة الكبرى حتى كيفالاي⁽⁹⁾ «مصراتة» وتعتبر الحبوب من المحاصيل الزراعية التي انتشرت في مناطق المدن الثلاث، وقد أكد ذلك بعض المؤرخين الكلاسيكيين المعاصرين

Warmington, B. H., *Nor Afr. Prov. Dioc. Van., Op. Cit., P., 56.* (1)

Julien, Ch. A., *Op. Cit., Pp. 149 – 151.* (2)

(3) توضح فسيفساء داريوك عميرة والمحوت البارزة في فترة جمع محصول الزيتون واستخدام أشجاره كمكان للراحة ومراقبة العمل انظر

Rostovtzeff, M., *Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., Vol. I, P. 331; Vol. II, P. 692.*

Taylor, A. R., *Op. Cit., P. 99.* (4)

(5) عندما هاجمت قبائل الأوسطرياني لبدة الكبرى ذكر المؤرخ إميانوس أنهم قطعوا أشجار المنطقة انظر.

Ammands Marcellinus, 13 – 15.

(6) شكّلت منطقة ترهونة جزءاً حيوياً في غرس الزيتون ويرجح أن المساكن شبيهة الرطل ساهموا في زراعته بعد استقرارهم بواسطة المشاريع الزراعية الرومانية انظر

Brehony, J. A. N., *Op. Cit., Pp. 62, 68.* Geddeda, R. A., *Op. Cit., P. 7*

Oates, D., "The Tripolitana Settlement Of The Roman Period Around Gafsa – (7) Ed – Daan," *P. B. S. R., Vol. 21, 1953, Pp. 81 – 117.*

Haynes, E. L., *Op. Cit., P. 51* (8)

Arthur, P., "Hell. Rom. Set Mar. Gez. Mis., " *Op. Cit., P. 136.* (9)

للعصر الروماني أمثال لوكان⁽¹⁾ وبليني⁽²⁾ وكان القمح والشعير من أهم الحبوب التي زُرعت في المنطقة⁽³⁾ وقد أكدت هذه الحقيقة الصور التي أكتشفت على الفسيفساء في دار بوك عميرة وكذلك النحوت البارزة في قرزة⁽⁴⁾.

وفي الواقع ليس لدينا معلومات محددة عن أهمية الحبوب ومقدار إنتاجها في المدن الثلاث حيث إن المؤرخين القدامى كانوا يشيرون إلى إنتاج أفريقيا بصفة عامة وبدون تحديد المناطق في أغلب الأحيان وفي هذا السياق يذكر المؤرخون أن أفريقيا أنتجت كميات كبيرة من القمح والشعير⁽⁵⁾ والتي كان لروما نصيب الأسد فيها إذ أنه اعتباراً من عهد أغسطس كانت أفريقيا تزود روما بالحبوب⁽⁶⁾ وإن اختلفت كميتها من سنة إلى أخرى⁽⁷⁾ وتؤكد الكثير من الأحداث⁽⁸⁾ دور أفريقيا في هذا الشأن بما لا يدع مجالاً للشك.

ومن أجل زيادة كميات الحبوب سخّر الرومان جهودهم في حراثة مناطق أفريقيا على حساب فرس الكروم والزيتون، إذ فرضت الحكومة الرومانية خلال

(1) Lucan, *Bel. Civ.*, l. ix.

(2) Pliny, *Nat. Hist.*, xv. 8. 33-34.

(3) Haynes, E. L., *Op. Cit.*, p. 52.

(4) Aurigemma, S., "Mos. Zlit.", *Op. Cit.*, pp. 39ff.

(5) أنتجت أفريقيا كميات ضخمة من القمح والشعير وكان جزء كبير منها يصدر إلى روما على هيئة مساعدات أو على هيئة ضرائب فيما بعد -أي بعد الاحتلال، حول ذلك انظر

Piutarch, *Cuesar*, 55, Livy, xxxvii. 2. 12. 50 ; Pliny, *Nat. Hist.*, xviii. 21; Cary, M.

And. Scullard, H. H., *Op. Cit.*, p. 331.

(6) Holmes, T. R., *Op. Cit.*, p. 13.

(7) تؤكد الكثير من المراجع على مقدار إنتاج أفريقيا الكبير من الحبوب وذهبت بعضها إلى أن أفريقيا قدمت ثلثي حاجة روما من القمح والبعض الآخر يقدر هذه الكمية بنصف مليون طن سنوياً بينما يرى باحثاً آخر أن طعام نصف سكان روما كان يأتي من أفريقيا ولا خلاف أن أفريقيا كانت أحد الموارد الرئيسية في الغذاء بالنسبة لروما حول كميات الحبوب إلى روما انظر

Nihson, M. P., *Op. Cit.*, pp. 193 - 194; Ogrizer, D., *Op. Cit.*, p. 42

(8) أشرنا فيما سبق ذكره إلى بعض الأحداث التي تبين أهمية أفريقيا في مجال الزراعة خصوصاً بالنسبة لتزويد روما بالحبوب والتي أهمها عندما ثار كلوديوس ماكرو ضد ثيرون هددت المجاعة روما، كذلك أرسل سبتيموس جزءاً من قواته لحماية مخازن الحبوب في مصر وأفريقيا وذلك عند مساربته لخصمه نيجر وأخيراً عندما كان كاركلا في حملة عسكرية على الطرق أمر بإغناء الضريبة في أفريقيا نظراً لحاجته للقمح، حول هذه الأحداث انظر

Graham, A., *Op. Cit.*, p. 204; Lewis, N. And Reinhold, M., *Roman Civilization*, Vol. II, The Empire, Second Printing, Columbia University Press New York, 1959, p. 442.

القرن الأول زراعة القمح الصلب من أجل إطعام جموع الشعب الروماني وقد نجحت زراعة القمح في أفريقيا نظراً لصلابته وجودته⁽¹⁾.

واعتنى الرومان بزراعة القمح والشعير في مناطق المدن الثلاث كعنايتهم ببقية مناطق أفريقيا ورغم عدم قدرتهم في السيطرة على القبائل الليبية في الداخل إلا أنهم حاولوا بدل عناية خاصة بالحبوب⁽²⁾ التي كان يصدر جزء كبير منها إلى عاصمتهم روما⁽³⁾.

ومن خلال الأدلة السابقة نصل إلى نتيجة عامة وهي . أن الحبوب كانت المصدر الثاني بعد الزيتون في الإنتاج الزراعي في مناطق المدن الثلاث وأن مناطق حرائة الحبوب⁽⁴⁾ شملت منطقة الجفارة ومزارع الجبل وبطون الوديان في شبه الصحراء.

ونعبر أشجار النخيل⁽⁵⁾ من المحاصيل الزراعية الهامة في المنطقة التي تحدث عنها بليني⁽⁶⁾ حيث قال : «إن المناطق الداخلية من أفريقيا حتى بلاد الجرامنت ومناطق الصحراء الأخرى مكسوة بأشجار النخيل التي تتميز بكبر حجمها وفاكهتها الطيبة الرائحة الحلوة المذاق» .
«INTERIOR AFRICA AD GARAMANTES USQUE ET DESERTA PALMARUM MAGNITUDE ET SUAVITATE CONSTAT»

ويذكر لوكان⁽⁷⁾ أشجار النخيل موضحاً أنها تدين بأصلها إلى نشأة محلية وأن تربة المنطقة وحرارتها مناسبة لهذه الأشجار، كما أن النحوت البارزة في قرزة

(1) Jullien, Ch. A., Op. Cit., PP. 149 - 150.

(2) Balugma, H., Op. Cit., P. 113.

(3) تؤكد بعض المراجع أن قسماً كبيراً من احتياجات روما من القمح كانت تأتي إليها من منطقة المدن الثلاث عن هذا الموضوع انظر

Stan. Res. Inst., Op. Cit., P. 22; Ward, Ph., Op. Cit., P., 19.

(4) Brogan, O., "Cam. Rom. Trip., Op. Cit., P. 130.

(5) يذكر المؤرخ بليني أن أشجار النخيل لها عدة فوائد أخرى غير الأكل مثل صناعة الحبوب والحيال انظر

Pliny, Nat. Hist., Xiii. 3 - 4, Xvi. 24.

(6) Ibid, Xiii. 3. 10.

(7) Lucan, Bel. Civ., IX. 435.

بيّنت أشجار الخليل⁽¹⁾ مما يدل على انتشارها في المنطقة وأنها كانت تشكّل دخلاً زراعياً هاماً.

ومن الأشجار الأخرى التي كان لها دور في غذاء السكان أشجار اللوتس⁽²⁾ التي انتشرت أفضل أنواعها في منطقة النمامونيس⁽³⁾.

ويعتبر العنب من المحاصيل الزراعية الهامة إذ أنه يأتي في المرتبة الثالثة بعد الزيتون والحبوب وقد أكد على وجوده المؤرخ لوكان⁽⁴⁾ كما أن النقوش البارزة على أضرحة قرزة أكدت انتشاره في المنطقة⁽⁵⁾ وكان أباطرة الرومان قد عملوا على تشجيع عرس العنب ومنهم الإمبراطور أغسطس الذي منح امتيازاً لفارسي العنب عام 7 ق.م⁽⁶⁾ ولكن عندما أصبحت الإمبراطورية الرومانية في حاجة ماسة للقمح لجأت إلى الحد من انتشاره إذ حاولت منع غرس الكروم حيث أصدر الإمبراطور دوميتيان قراراً بهذا الشأن⁽⁷⁾.

وكان العنب يُستهلك محلياً⁽⁸⁾ وربما صُدّر قسم منه بعد تصنيعه⁽⁹⁾ وإلى جانب هذه المحاصيل الزراعية الرئيسية كانت توجد محاصيل غيرها أقل أهمية ولكنها كانت تلعب دوراً في غذاء السكان وفي التصدير أحياناً ومنها أشجار البندق⁽¹⁰⁾ واللوز⁽¹¹⁾ وأشجار الفواكه التي أهمها الرمان⁽¹²⁾ والتين⁽¹³⁾ وأشجار الطرّفاء

(1) Huynes, E. L., Op. Cit., Pp. 154 - 155. (1)

(2) لعبت أشجار اللوتس دوراً هاماً في غذاء السكان وأحسن أنواعه تنمو في المدن الثلاث، وهو يختلف في حجمه إذ أن بعضه في حجم الكمثرى والبعض الآخر في حجم حبة الفول وكان له دور كبير في إمداد جيش أفيلاس بالقداء أثناء عبوره للمنطقة وبالإضافة إلى استخدامه في الأكل يُصنع منه الخمر ومن خشبه تُصنع النايات انظر: (2)

Pliny, Nat. Hist. Xiii. 32; Theophrastus, iv. 3

Pliny, Nat. Hist. Xiii. 32 - 104. (3)

Lucan, Bel. Civ., ix. 430. (4)

Haynes, E.L., Op. Cit., P. 155. (5)

Ward, Ph., Op. Cit., P. 22. (6)

Juhen, Ch. A., Op. Cit., P. 149 (7)

Ward, Ph., Op. Cit., P. 22. (8)

Nilsson, M. P., Op. Cit., P. 193. (9)

Welis, J. And Barrow, R. H., Op. Cit., P. 323. (10)

Juhen, Ch. A., Op. Cit., P. 150. (11)

Warmington, B. H. Nor. Afr. Prov. Dioc. Van. Con., Op. Cit., P. 61 (12)

Soames, J., Op. Cit., P. 45. (13)

ونبات الحلفاء⁽¹⁾ والكمأة والكمون والخيار⁽²⁾ والحمص والسلجم والفول والخرشوف والبطيخ واليصل والثوم⁽³⁾ إضافة إلى الكثير من الخضروات⁽⁴⁾ والتي يبينها النحت البارز في قصر الأحمدى بوادي نفذ.⁽⁵⁾

الرعي

يعتبر الرعي من الأعمال الرئيسية لعامة المواطنين⁽⁶⁾ في المنطقة ولكن عندما سيطر الرومان قلّت أهميته وأصبح مكملاً للزراعة⁽⁷⁾ في بعض الأحيان لأن اهتمام الرومان بالحبوب والزيتون تطلب الزحف على أراضي المراعي⁽⁸⁾ التي كان يعتمد عليها قسم كبير من المواطنين في رعي مواشيهم.

وأهم الحيوانات خلال العصر الروماني كانت الأغنام والماعز وقد أظهرت فسيفساء دار بوك عميرة هذين النوعين من الحيوانات⁽⁹⁾ وإنّ أنها كانت تُربي في المدن الثلاث أكثر من غيرها إذ يؤكد الباحثون أنها لعبت دوراً في المراكز التجارية البعيدة مثل جوليا⁽¹⁰⁾ (بونجيم) وأرجح أن تكون الحيوانات قد لعبت دوراً كبيراً في اقتصاد بعض المدن مثل أويبا ولبدة حيث يحدثنا ساكيتوس⁽¹¹⁾ إن بداية الحرب بين المدينتين كانت بسبب إغارة كل منهما على حيوانات المدينة الأخرى.

كما أنّ علماء الآثار استخرجوا الكثير من عظام الماعز والخراف من مدينة لبدّة⁽¹²⁾ أما عن أوجه الفائدة من هذه الحيوانات فهي كثيرة لعل في مقدمتها اللحوم والجلود والصوف⁽¹³⁾ والحليب إذ تؤكد صور الفسيفساء بدار بوك عميرة عملية حلب

(1) Bates, O, Op. Cit., P. 27

(2) C. A. Hist., Vol. X, P. 4.

(3) Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 150

(4) محمد الجوراني، موقف القبائل الليبية من الغزو الروماني، المرجع نفسه، ص 73

(5) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 155

(6) انظر أحوال المدن الاقتصادية قبل الغزو الروماني، الفصل السابق.

(7) خصوصاً في القرون الثلاث الأولى للميلاد.

(8) Bulugma, H., Op. Cit., P. 133.

(9) Brogan, O., "Cam. Rom. Trip.", Op. Cit., P. 126.

(10) Rebufat, R., "Dix An. Recher. Pr. - Des - Trip.", Op. Cit., P. 87.

(11) Tacitus, Hist., IV, 50.

(12) Calot, L., "Studio Dei Resti Osser" Lib. Antiq., Vol. Xi - Xii, 1974 - 1975, Pp 151ff.

(13) يؤكد الباحثون أن الجلود والصوف كانت من بين الصادرات الأفريقية أمطرو

Stan, Res. Inst., Op. Cit., P. 22.

الماعز خارج إحدى الحظائر⁽¹⁾.

وكانت الأبقار والخيول من الحيوانات التي لعبت دوراً هاماً في النشاط الزراعي خصوصاً في حرث الأرض⁽²⁾ ويؤكد هذا ما عُثر عليه من رسومات في منطقة تيجي⁽³⁾ كما أستخدمت الثيران والخيول في درس المحاصيل الزراعية إذ بيّنت فسيفساء دار بوك عميرة مجموعة من الجياد والثيران تدرس المحصول⁽⁴⁾.

ونعتقد أن دور الخيول لم يتوقف على حراثة الأرض فقط بل ربما كانت وسيلة النقل الأكثر فائدة بين مناطق الريف والمدن وأيضاً لعبت دوراً في الحروب خصوصاً قبل استخدام الجمل على نطاق واسع.

أما الأبقار⁽⁵⁾ فعلاوة على وظيفتها الرئيسية السابق ذكرها ربما كانت لحومها وألبانها وجلودها وسماها تشكّل عنصراً مكملاً لمهامها السابقة رغم أنه ينقصنا للدليل على ذلك حتى الآن.

ويعتبر الجمل من الحيوانات التي لعبت دوراً مميزاً في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية خصوصاً في أواخر القرن الثاني الميلادي رغم أن هذا الهجين لم تسجل المصادر التاريخية وجوده في أفريقيا حتى أواخر القرن الأول ق.م حيث ورد ذكره أول مرة عندما غزم يوليوس قيصر اثنين وعشرين جملاً من الملك النوميدي جوبا في معركة تابسوس عام 47 ق.م⁽⁶⁾ ونعتقد أن عدده ظل قليلاً بعد هذه المعركة إذ لم يُسجل في المصادر الأدبية والأثرية حتى أواخر القرن الثالث الميلادي⁽⁷⁾.

(1) Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 313.

(2) Ibid, P. 324.

(3) كانت الثيران والخيول وسيلة الحرث المعروفة في مناطق المدن الثلاث قبل استخدام الجمل حيث عُثر على رسوم في منطقة تيجي شرق الجفارة على بعد 100 ميل من صبراتة تمثل حصانين وثورين يحترقان الأرض، للمزيد عن هذه الرسوم انظر:

Brogan, O., "Cam. Rom. Trip.", Op. Cit., P. 130.

(4) Haynes, E. L., Op. Cit., 52.

(5) يؤكد بعض الباحثين على أهمية تربية الأبقار في خدمة المراكز التجارية البعيدة عن مناطق العمران الكبيرة مثل جولايا (بونجيم) حول ذلك انظر.

Rebuffat, R., "Dix An. Recher. Pr. Des Trip.", Op. Cit., Pp. 87 - 88.

(6) Bellum Africanum, Lxviii.

(7) كانت أول إشارة للجمل في معركة تابسوس، بعدها صممت المصادر التاريخية عن ذكره، حتى الحملات العسكرية التي قادها الرومان ضد القبائل الليبية لم تذكره من ضمن أمتعة الجيش ولكن

ويرجع الباحثون⁽¹⁾ أن الجمل دخل أولاً إلى مصر ثم إلى قوريني ومنها إلى مناطق المدن الثلاث خصوصاً مأكوماديس «سرت» وكيفالاي «توباكيس» / مصراتة حتى عم استخدامهما في القرن الثالث الميلادي بصورة كبيرة ومرد ذلك أن الاهتمام بزراعة القمح في الدواخل جاء على حساب حيوانات المزرعة مما دفع بالمزارع إلى استخدام الجمل للميزات التي يتصف بها من حيث إنه أفضل الحيوانات في النقل وجر المصراة، ورخص الثمن نسبياً وقدرته على تحمل العطش والاكتفاء بفضلات المزرعة والأشواك في الغذاء ويشير بعض الباحثين⁽²⁾ إلى أن الجمل أدخل إلى البلاد في عهد الأسرة السفيرية، ولكنني لا أرجح هذا الرأي⁽³⁾ لاعتبارين: أولهما أن الجمل وجد في أفريقيا في القرن الأول ق.م. وثانيهما: الفترة الزمنية القصيرة بين دخول الجمل (طبقاً للرأي السابق) وانتشاره بين السكان إذ لا بد أن افترضه بين أهل البلاد قد استغرق فترة زمنية ليست بالقصيرة لذلك نميل إلى رأي بروغان⁽⁴⁾ الذي يؤكد فيه أن الجمل أصبح له تأثير منذ نهاية القرن الثاني أو بداية الثالث الميلادي وازداد انتشاراً بفضل كثرة استعماله على طرق القوافل نحو الجنوب وربما أصبح أكثر تداولاً في عهد الأسرة السفيرية⁽⁵⁾.

ويبدو أن الجمل شكّل أهمية كبيرة في الحياة الاقتصادية في المدن الثلاث خصوصاً في الفترة المتأخرة من الحكم الروماني إذ دلت الرسومات في مناطق المدن الثلاث على هذا سواء في سهل الجفارة أو منطقة الجبل أو مزارع وديان شبه الصحراء وكان في جمل هذه الرسومات يُستخدم لحرث الأرض خصوصاً في

اعتباراً من أواخر القرن الثالث بدأت الإشارات إلى الجمل ترد تباعاً حتى الفتح العربي كما ظهر الجمل على الفسيفساء والأضرحة في مناطق مختلفة من المدن الثلاث مثل قرية حول هذا الموضوع انظر:

Amibius Of Sicca, *Adversus Gentesii*. 25 Vit. 16; Ammianus Marcellinus, Xxviii. 6, 5, Procopius., *Bellum Vandallum*, I. 8. 25; Romanelli, P., "La Vita Agricola Tripolitania Attraverso Le Rappresentazione Figurata," *Africatalina*, Vol. Iii. 1930, Pp., 53ff.

Brogan, O., "Cam. Rom. Trip.," *Op. Cit.*, Pp. 127 - 131. (1)

Julien, Ch. A., *Op. Cit.*, P. 152. (2)

(3) للمزيد عن الأبحاث التي تناولت دخول الجمل إلى أفريقيا ومتى تم ذلك انظر:

Mattingly, D. J., "Laguat. Lib. Trib. Con. Lat. Rom. Emp.," *Op. Cit.*, P. 104.

B n, O., "Cam. Rom. Trip.," *Op. cit.*, P. 131. (4)

Gagnat, R., "La Tripolitane Et Le Sahara Au Iiime Siecle", *Mem. Del Acadami Des Inscriptions*, Vol. XLIII, 1933. P. 154. (5)

قرزة كما وضحت آثار مزارع الجفارة والجبل استخدامه لنفس الغرض⁽¹⁾ ومع ذلك لا نعتقد أن الجمل اقتصر استخدامه على الحرثة فقط، حيث إنه يعد وسيلة حرب فعالة في الصحراء⁽²⁾ وسيلة نقل وعبور هامة⁽³⁾.

وإضافة للحيوانات التي سبق ذكرها وجدت حيوانات أخرى أستخدمت في النقل أو الحرث مثل الحمير التي تتناسب مع البيئة المحلية⁽⁴⁾ وكذلك البغال⁽⁵⁾.

كما أن الحفريات في مدينة لبدة الكبرى كشفت عن عظام بعض الحيوانات والطيور مثل الخنازير⁽⁶⁾ والكلاب⁽⁷⁾ والغزلان والحصان والدجاج⁽⁸⁾ وأثبتت النحوت البارزة في قرزة تربية السكان للدواجن⁽⁹⁾.

الصيد.

من المرجح أن الصيد كان له دور مساعد في الحياة الاقتصادية ورغم فقدان الأدلة القاطعة على وفرة الحيوانات البرية⁽¹⁰⁾ كان هناك بعض الإشارات من قبل المؤرخين فقد ذكر بليني وجود الحيوانات المتوحشة والفيلة في اتجاه قبيلة الجراممت⁽¹¹⁾ والمعروف أن منطقة المدن الثلاث وخصوصاً الجبل هي المواجهة

Brogan, O., "Cam. Rom. Trip.", Op. Cit., P. 130.

(1)

(2) ولعل ما يؤكد استخدام الجمل في الحرب طلب رومانوس من أهل لبدة أربعة آلاف جمل لمصاربة الأوسطرياني حول ذلك انظر

Amianus Marcellinus, Xxviii. 6. 5.

B n, O., " , Rom. Trip.", Op. Cit., P. 129.

(3)

Weils, J. And Barow, R. H., Op. Cit., P. 323.

(4)

(5) شارل أندريه جوليان، المرجع نفسه ص 59.

Caloi, L., "Stud. Res. Oss.", Op. Cit., Pp 151ff.

(6)

Caloi, L., "Resti Di Cani Da Una Scavo A Leptes Magna" Lib. Antiq. Vol. VI - VII, 1969 - 1970, Pp 282ff

(7)

Caloi, L., "Stud. Res. Oss.", Op. Cit., Pp. 151. ff.

(8)

Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 331.

(9)

(10) يورد أوريك بيتس عدد كبيراً من الحيوانات البرية في ليبيا ومنها الحمار البري والتمور التي يستبعد أن تكون متوفرة في ليبيا، أما الذئاب والضباع والأرانب وأنعام فهي حيوانات يمكن أن تتناسب مع البيئة المحلية انظر

Bates, O., Op. Cit., P. 29

Phny. Nat. Hist., V 5. 26.; VIII. 11. 32.

(11)

لبلاد الجرامنت ولعل مايؤكد وجود القيلة الدور الهام الذي لعبه هذا الحيوان في تجارة المدن الثلاث⁽¹⁾ كما صورت النحوت البارزة في قرزة معركة مع الحيوانات البرية⁽²⁾ وايضاً رسمت الكثير من حيوانات الصيد على حمامات لبدة الكبرى مثل الفهد والأسد والنسر.⁽³⁾

ويؤكد عدد من الباحثين أن منطقة الريف كانت تساعد على معيشة الحيوانات البرية⁽⁴⁾ التي كانت إحدى صادرات المدن الثلاث⁽⁵⁾ ويؤكد رستوفتزف أن أصحاب الضياع في المنطقة كانوا يمارسون صيد الأرنب البرية والاييل والغرائق⁽⁶⁾.

أما صيد الأسماك فربما كان أحد العناصر المساعدة في بناء اقتصاد المدن الثلاث ولعل العثور على بقايا⁽⁷⁾ الأسماك في مدينة صبراتة⁽⁸⁾ يؤكد هذه الحقيقة وقد صُوِّرت عملية صيد الأسماك بالقرب من أحد الموانئ على إحدى فسيفساء لبدة⁽⁹⁾ وهناك إصرار من بعض الباحثين⁽¹⁰⁾ على أن صيد السمك يمثل أحد المصادر الرئيسية في اقتصاد المدن الثلاث⁽¹¹⁾!

ومن خلال دراستنا لأوجه النشاط الزراعي والثروة الحيوانية في المنطقة نتضح لنا الحقائق التالية:

أولاً: إن الازدهار الاقتصادي الذي انتشر في العصر الروماني في المنطقة

(1) Daniels, Ch., *Gar. Sout. Lib., Op. Cit., P. 43*

(2) Rostovtzeff, M., *Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 324.*

(3) Haynes, E. L., *Op. Cit., P. 96.*

(4) Blunsum, T., *Op. Cit., P. 98.*

(5) Ognizer, D., *Op. Cit., P. 42.*

(6) Rostovtzeff, M., *Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 334.*

(7) من بين المكتشفات الأثرية التي عُثِرَ عليها في مدينة صبراتة شوكة وعدداً من خراشف الأسماك وفوقمة ومحارة وبعض الفواقم الأخرى.

(8) Pucci, G., "La Ceramica," *Lib. Antiq., Vol. Xi - Xii. 1974 - 1975, P. 104.*

(9) Rostovtzeff, M., *Soc. Econ. Hist. Hell Wor., Op. Cit., Vol. I, P. 52; Vol. III, P. 1615.*

(10) يؤكد قول أن غنى لبدة الكبرى قد بُني على أساس مقادير ضخمة من سمك السمكة وهو من صنف السردين ويقارن بينها وبين أسمردام.

(11) Brogan, O., "Cam. Rom. Trip., Op. Cit., P. 128.

لم يكن يعني شيئاً لعامة المواطنين وكان مردوده الإيجابي على الرومان والطبقة المحلية الأرستقراطية⁽¹⁾ الدائرة في فلك الرومان.

ثانياً: إن أصحاب الاقطاعيات الكبيرة لم ينهضوا بالعمل بأنفسهم بل قام به الفلاحون من صغار المالكين أو المستأجرين أو المساجورين الذين لم يجنوا من محاسن السلام الروماني إلا نظاماً أكثر إحكاماً وقسوة⁽²⁾ وهذا واضح من فسيقساء داربوك صغيرة.

ثالثاً: اضطربت الأوضاع اعتباراً من منتصف القرن الثالث الميلادي مما أدى إلى انتشار الرعي وتدهور الزراعة.

Blunsom, T., Op. Cit. P. 45.

(1)

Julien, Ch. A., Op. Cit., Pp. 148, 165.

(2)

الفصل الثالث

التجارة والصناعة

1 - المجازة:

- الأهمية الاقتصادية للملاحة.
 - سيطرة القبائل الليبية على تجارة القوافل.
 - الموانئ والأسواق.
 - العملة.
 - الطرق التجارية.
 - السلع التجارية
 - وسائل النقل.
 - الضرائب.
- #### 2 - الصناعة:

1 - التجارة :

الأهمية التجارية للمدن الثلاث:

تميّزت منطقة المدن الثلاث بموقع جغرافي هام⁽¹⁾ ساعد على ازدهارها التجاري، إذ كوّنت سواحلها موانئ تجارية دعمت التبادل التجاري بين مناطق البحر المتوسط وأواسط أفريقيا⁽²⁾ ومن العوامل الهامة التي ساهمت في نشاطها التجاري قربها من أوروبا ووجود السوق الرومانية الواسعة التي امتصت جزءاً كبيراً من منتجاتها⁽³⁾.

ولا نعلم على وجه الدقة متى بدأت العلاقات التجارية بين المدن الثلاث وروما التي يبدو أنها على صلة تجارية مع المدن الليبية بدليل أن قرطاجة انزعجت من هذا الأمر فنصت في معاهدتها الأولى مع روما عام 509 ق.م على عدم السماح للرومان بالتعامل التجاري مع المدن الفينيقية⁽⁴⁾، ومع ذلك شرع رجال الأعمال من الرومان في الاستقرار فيها خصوصاً في مدينة لبدة الكبرى⁽⁵⁾.

(1) انظر المقدمة الجغرافية.

Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 335.

Cary, M., Op. Cit., P. 220.

Polybius, III 22; Ettore, R. Op. Cit. P. 8.

Graham, A., Op. Cit., P. 13; Haynes, E. L., Op. Cit., P. 33.

ومن المرجح أن النشاط التجاري الروماني قد زاد في المدن الثلاث بعد المعاهدة التي عقدها لبدء مع الرومان في أثناء حرب يوجرتسا⁽¹⁾، إذ أن الحكومة الرومانية ربما شجعت رجال الأعمال من الرومان على الاستفادة من الفرص التجارية المتاحة هناك⁽²⁾ وعندما احتل الرومان البلاد بصورة فعلية لم يضيعوا وقتاً طويلاً في الاهتمام بالتجارة وتنشيطها خصوصاً مع الجنوب⁽³⁾، إلا أن التجارة ارتبطت دائماً باستقرار الحياة السياسية، فطالما هناك من يحميها وينظمها ويحرص على استمرارها، تزدهر وتتقدم وهذا ما كان سائداً في العصور السابقة⁽⁴⁾ لبدء الاحتلال الروماني للمدن الثلاث، إلا أن هذا الوضع تبدل بعد الاحتلال الروماني مما أدى إلى ضعف التجارة إلى حد ما نتيجة للحروب الأهلية بين قادة الرومان⁽⁵⁾ ونتيجة للحروب التي قادها الرومان ضد القبائل الليبية والتي كان من أهمها حملة باليوس⁽⁶⁾ وحرب تكفريناس⁽⁷⁾ وحملة فاليريوس فستوس⁽⁸⁾ التي كان من أهم نتائجها إعادة أمور التجارة إلى طبيعتها السابقة وإحلال السلام بين الجرامنت والرومان⁽⁹⁾ حيث إن الرومان تمكنوا بعدها من إرسال حملتين إلى الجنوب وبمساعدة الجرامنت في إحداهما⁽¹⁰⁾ ويرجع أن تطهير المسالك التجارية واستكشاف المنطقة والبحث عن مصادر التجارة في أواسط أفريقيا كان الغرض الرئيسي منهما⁽¹¹⁾

Sollust, Bel Jug. Lxxvii

(1)

(2) محمد الجراري، الاستيطان الروماني في ليبيا المرجع نفسه، ص 22

Bovill, W. E., Op. Cit. P. 33.

(3)

(4) كانت التجارة نشطة في العصور الفينيقية والرومانية نتيجة للتعاون المشترك بين القبائل الليبية خصوصاً الجرامنت والفينيقيون والرومانيون في حماية التجارة وتنظيمها انظر

Rostovtzev M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 338.

Lucan, I - IX; Caesar, Bel. Civ., I, 78 - 99, Plutarch, Pomp. 78 - 80; Strabo, Geog. Xvii, 3, 12

(5)

Virgil, VI 791 - 794; Plin., Nat. Hist., V., 5.

(6)

Tacitus, Ann. II, 52, III, XX - XXI, XXXI, LXXIII, LXXIV; IV, XXII, XXVI, Hist. IV 50

(7)

Ibid, Hist. IV, 49 - 50; Plin., Nat. Hist., V, 5, 38.

(8)

(9) حول الأسباب التي جعلت الرومان والجرامنت يقبلون على السلام والتعاون المشترك انظر الفصل الثالث من الباب السياسي من ص 51 إلى ص 87 من هذا الكتاب.

Potlery, I VII 4.

(10)

Dancels, C M., Ger. Sout. Lib., Op. Cit., P. 23.

(11)

ويؤكد بعض الباحثين ان نشاطاً تجارياً كبيراً قد سجل منذ اواخر القرن الاول⁽¹⁾ معتمدين في هذا الرأي على كثرة البضائع المستوردة التي اكتشفت في مقابر الجرامنت⁽²⁾.

ولقد نمت هذه الأنشطة التجارية خصوصاً في عهد الاسرة السفيرية التي شجعت استخدام الجمل على طرق القوافل إلى بلاد الجرامنت⁽³⁾، ونشرت الأمن في مناطق التخوم وأمنت الطرق التجارية المتجهة جنوباً⁽⁴⁾.

سيطرة ا . ثل الليبية على تجارة القوافل .

وكان الجرامنت وسطاء التجارة بين اواسط افريقيا والمدن الساحلية منذ القدم واستمروا كذلك خلال العصر الروماني فقد ذكر استرابو⁽⁵⁾ ان العدد القليل من الجرامنت الذين يزورون المدن الثلاث كانوا حذرين عند الحديث عن بلادهم ويتبين من حديثه ان الجرامنت هم وسطاء التجارة بين الشمال والجنوب، وهذا ناتج عن سيطرتهم على الواحات ونقاط الراحة في الجانب الشمالي من وسط الصحراء⁽⁶⁾، ويبدو ان الرومان تركوا أمر التجارة الصحراوية في أيدي الجرامنت⁽⁷⁾ ونعتقد ان هذا أمر طبيعي ناتج عن فشل الحملات الرومانية ضد الجرامنت⁽⁸⁾، وهذا ما دفع الرومان إلى مهادنتهم والتحالف معهم وإقامة علاقات الصداقة والتعاون بينهما، وليس أدل على ذلك من حملة يوليوس ماتيرونوس⁽⁹⁾ وبعد هذه الفترة يرجّس بعض الباحثين ان فريقاً من تجار المدن الثلاث أقاموا في جربة وشاركوا في النشاط التجاري وكان هدفهم الأول الحصول على الأحجار الكريمة⁽¹⁰⁾ وقد اعتمد البعض في هذا الرأي على أحد الاضرحة الذي تم الكشف عنه في جربة وقد عُثر

(1) Haywood, R. M., Op. Cit., P. 394; Kenrick, Ph. M., Excav. Sub. 1948 - 1951, Prit., 1986, P 315

(2) Brogan, O , "Cam. Rom. Trip .," Op. Cit ., P. 128

(3) Idem

(4) Goodchild, R. O., Lib. Stud., Ed Reynolds, Op. Cit., Pp. 46 - 57.

(5) Strabo, Geog. li. 5.

(6) Daniels, C. M., Gar. Sout. Lib., Op. Cit., P. 43.

(7) Cary, M., Op. Cit ., P. 219.

(8) انظر الباب الاول (الفصل الثاني)

(9) Ptolemy, I. Viii. 4.

(10) Daniels, C. M., Gar. Sout. Lib., Op. Cit., P. 24.

بداخله على بعض القناديل والالوانى الزجاجية وجرة تحتوي على رماد يرجع للقرون الميلادية الاولى⁽¹⁾، ولكن هذا الضريح لم يعد الوحيد من نوعه الذي عُثر عليه في جربة فقد اُكتشفت خمسة اضرحة اخرى مجاورة لمنطقة جربة، ولذلك يرجح ان الموزاليم أو الضريح الذي بجربة يخص أحد رؤساء الجرامنت وليس دليلاً على وجود تجار رومان في جربة⁽²⁾ ومن ناحية أخرى يرى مجموعة من الباحثين⁽³⁾ أن النسامونيس قد شاركوا الجرامنت في تجارة القوافل خلال العصر الروماني، حيث اُكتشفت نقوش بونيقية في مبنى المشكاوات شرق المنطقة السكنية المحيطة بحصن حوليا «بونجيم» والذي يمثل أحد المواقع التجارية في العصر الروماني كما أن منطقة بونجيم كانت محطة تقليدية لتجار القوافل الليبيين⁽⁴⁾ ويشير أحد المراجع إلى أن بعض نظم الرخص قد وُجدت من قبل الرومان وأن روما حاولت أن تقود القبائل إلى حياة تجارية أكثر رسوخاً⁽⁵⁾ ولا نعرف الأساس الذي أقام عليه هذا الباحث رايه إذ أن التجارة في يد القبائل الليبية كانت موجودة قبل العصر الروماني ومن الضروري أن يكون لهذه القبائل أنظمة تسوس بها هذا الأمر.

الموانئ والأسواق

وكانت تجارة القوافل تعتمد على المدن الساحلية التي قامت باستقبال البضائع الإفريقية وتصديرها إلى مناطق البحر المتوسط والعكس وأهم الموانئ التي قامت بهذه المهمة لبدة الكبرى وأويا وصبراتة كما أكدت ذلك الخرائط الرومانية⁽⁶⁾ ويعتبر ميناء لبدة الكبرى من المرافق الاقتصادية الهامة⁽⁷⁾ إذ أنه من الموانئ النشطة⁽⁸⁾ سواء في التصدير أو الاستيراد، وكان في بدايته مجرد مصب

(1) Ibid. Pp. 194, 195; Haynes, E. L., Op. Cit., P. 53

(2) El - Rashdy, "Garmantion Burialcustoms, The Irrrelation To Those Of Other Peoples Of Northafrica," Libya Antiqua, Unesco, 1986, Printed In France, Pp. 87 - 88.

(3) Bovill W. E., Op. Cit., P22, Bates, O., Op. Cit., P. 105.

(4) Rebuffat, R., "Graffiti En Libyque De Bu Njem," Libya Antiqua, Vol. Xi - Xii, (1974 - 1975, Pp. 166ff.

(5) Cary, M. And Sullard, H. H., Op. Cit., P. 647.

(6) Goodchild, R. G., Tab. Imp. Rom. Leb. Mag., Op. Cit., P. 7.

(7) Rostovtzeff, M., Soc. Econ Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 332.

(8) Fiandra, E., "Itruderi Del Tembio Flavio Di Leptis Magna Vicende Dal Iv Al Ix Secolo Di C. R." Lib. Antiq., Vol. Xi - Xii, 1974 - 1975, Pp. 147ff

لوادي لبدة الكبرى تحميه الصخور التي حُولت إلى أرصفة وقد تم توسيع الميناء وتحسينه في العهد السفيري حتى أصبح مساوياً لميناء تراجان في روما كما تم ربطه بأحسن شوارع المدينة الموصول إلى السوق⁽¹⁾، ويشتمل الميناء على مستويين، الأسفل وترسو عنده السفن والمستوى الأعلى ويشتمل على المخازن والمباني الأخرى، وتتقع منارة الميناء في أقصى الرصيف الشمالي⁽²⁾، ومع أن الميناء كان أكبر من إمكانيات المدينة، وصيانتها والمحافظة عليه شكّل عبئاً كبيراً عليها إلا أنه قام بدور فعال في تقدم المدينة الاقتصادية⁽³⁾.

ومن الموانئ الطبيعية الجيدة ميناء صبراتة⁽⁴⁾ الذي يتوسط مراكز النشاط التجارية⁽⁵⁾ في المدينة، وقد كشفت إحدى البعثات العلمية⁽⁶⁾ معالم خرسانة متآكلة استخدمت لجعل الحاجز الصخري كاسراً للأمواج، كما تم الكشف عن آثار رصيف من الحجارة ومعالم ابنية وأعمدة يرجح أن تكون من بقايا أحد مستودعات البضائع⁽⁷⁾.

ويعتبر ميناء أويا ثالث الموانئ الرئيسية الذي أشارت إليه المصادر الرومانية⁽⁸⁾ ورغم أننا لا نعرف عنه غير ذلك ولم يكشف الأثريون عن موقعه، ومع ذلك أرجح أن أهميته لا تقل عن سابقيه في لبدة وصبراتة، حيث إن مدينة أويا كانت أحد منافذ التجارة إلى مناطق البحر المتوسط.

إضافة إلى الموانئ الرئيسية سابقة الذكر، يرجح وجود عدة موانئ صغيرة أخرى إذ صورت الخرائط الرومانية عدداً من المناطق المحمية استخدمت كمراقية للمراكب⁽⁹⁾، ومن المواقع الهامة على الساحل مدينة كيفالاي⁽¹⁰⁾ التي يرجح أنها كانت

(1) Rostovtzeff, M. Soc Econ Hist Rom Emp, Op. Cit., P. 339

(2) Haynes, E. L., Op. Cit., Pp. 82 - 83.

(3) Rostovtzeff, M., Soc Econ. Hist Rom. Emp., Op. Cit., P. 339.

(4) Kenrick, Ph. M., "Excav. Sab. 1948 - 1951," Op. Cit., P. 312.

(5) Hamond, N. G. L. And Scullard, H. H., Op. Cit., p. 942.

(6) قامت بعثة للفوس من جامعة كامبردج بأبحاث علمية عن ميناء صبراتة

(7) Bakir, T., Arc. New, "Underwat Explor. Camb. Univer.," Op. Cit., P. 246

(8) Goodchild, R. G., Tab. Imp. Rom Lep. Mag., Op. Cit., P. 7

(9) Idem

(10) أشار المؤرخ الروماني استرابو إلى كيفالاي (مصراته) التي تعتبر الحد الغربي لخليج سرت ووسطها بالاهمية ويأنها منطقة بالأشجار حول كيفالاي أنظر:

ميناء ذا أهمية تجارية لخدمة المنطقة الواقعة خلفها، وقد تم العثور على الكثير من الفخار في عدة مواقع على البحر في منطقتي مرسى الجزيرة⁽¹⁾ وقصر احمد⁽²⁾ ويرجح أن الموقع الأول كان أحد الموانئ على الساحل⁽³⁾ الذي ربما كان يخدم مدينة كيفالاي والمناطق المجاورة لها.

ومن المرافئ الأخرى التي من المتوقع أنها قد أدت بعض النشاط الاقتصادي في العصر الروماني مأكوماكا⁽⁴⁾ «تاورغاء» واسميس⁽⁵⁾ «بويرات الحسون» وماكوماديس⁽⁶⁾ «حصن يوفرائنتا - سرت» واسكينيا⁽⁷⁾ «كاراكس - مدينة سلطان الحالية» ومذابح الأخوين فيلاني⁽⁸⁾ «الراس العالي» ومن المرجح أن تلك المرافئ قد قامت بدورها الاقتصادي وإن اختلفت أهميتها من مرفأ إلى آخر.

وما عدا الموانئ والمرافئ السابق ذكرها ليس لدينا معلومات واقية عن بقية المرافق الاقتصادية المكتملة لنشاط تلك الموانئ إلا إشارات قليلة جداً كشفت عنها الحفريات الأثرية إذ كشفت مثلاً في صبراتة عن آثار السوق الذي يرجح أن بنائه أُنْشِئَ في العهد الأنطونيني الذي يمثل فترة ازدهار اقتصادي لمدينة صبراتة كما تم الكشف عن بعض الحوانيت التابعة للسوق⁽⁹⁾.

أما بالنسبة لمدينة لبدة فإن النقوش قد أظهرت أن سوق المدينة أنشئ فيما

Strabo, Geog. XVII, 18, 19; Beechey, H. W. And Beechey, F. W., Expedition To Explore The Northern Coast Of Africa From Tripoli East Ward, 1828, Pp. 102ff

(1) يبعد مرسى الجزيرة عن كيفالاي بحوالي 7 1/2 كيلو متر.

(2) Brogan, O. "Roun About Mis", Op. Cit., P. 55

(3) Arthur, P., "Hell. Rom. Set. Mar. Gaz. Mis", Op. Cit., P. 135

(4) يشير استرابو بأنه بعد كيفالاي توجد بحيرة طويلة ثلاثمائة عرسع وعرضها سبعين وتسب في الخليج حيث يوجد المرسى وأرجح بأن هذه البحيرة هي مأكوماكا «تاورغاء الحالية» انظر

Strabo., Geog. XVII, 3, 20; Ettore, R., Op. Cit., P. 9

(5) Strabo, Geog. XVII, 3, 20,

(6) Idem; Ettore, R., Op. Cit., P. 9.

(7) يرى بعض الباحثين أن مدينة سلطان التي تبعد حوالي خمسة وخمسين كيلو متر إلى الشرق من سرت كان موقعها لثلاث مدن متتالية كراكس الفنيقية واسكينيا الرومانية وسُرت الإسلامية حول هذا الرأي انظر

Goodchild, R. G., "Med Suit", Op. Cit., Pp. 99 - 100

(8) Arthur, P., "Hell. Rom. Set. Mar. Gaz. Mis", Op. Cit., P. 135

(9) Kenrick, Ph. M., Excav. Sub, 1948 - 1951, Op. Cit., Pp. 53 - 54.

بين 9 - 8 ق.م وقام بإنشائه أحد أثرياء المدينة يدعى حنوبيل رفوس⁽¹⁾ «ANNOBAL RUFUS» ويُحتمل أن السوق قد تم تعديله وتوسيعه فيما بين عامي 11 - 12 م⁽²⁾. ويضيف بعض الباحثين أن سبتيميوس أنشأ سوقاً جديداً لمدينة لبيدة⁽³⁾. بينما البعض الآخر من الباحثين يذكرون أنه قد أضاف قسماً كبيراً لسوق لبيدة الكبرى⁽⁴⁾ وهو الأقرب إلى الصواب.

وقد منح أهل لبيدة القصاب الشرف للمساهمين في هذه المشاريع⁽⁵⁾ داخل المدينة وكانت السوق تشتمل على المتاجر والمحلات الصغيرة وقد عُثر فيها على نقوش تحمل أسماء المحاسبين وكشفاً بالمكاييل والمقاييس⁽⁶⁾.

وكانت أسواق المدن الثلاث لبيدة⁽⁷⁾ وأويا وصبراتة تخدم مساحة واسعة من مناطق وسط أفريقيا⁽⁸⁾ والمناطق الأخرى المجاورة.

العملة:

أما عن عملة المدن الثلاث خلال العصر الروماني فلم تسعفنا المصادر والمراجع إلا بالقليل عنها ومعظمها يرجع للنقود التي عُثر عليها في المنطقة ومنها عرفنا أن المدن الثلاث اعتمدت على عملة قرطاجة وتوميديا⁽⁹⁾ في بادئ الأمر إذ إن أول ظهور لعملة المدن الثلاث قد تم بعد سقوط قرطاجة حوالي أواخر القرن الثاني ق.م⁽¹⁰⁾ وكانت تلك العملات من البرونز وتتميز بكبر حجمها ويبدو أنها أول

Irt., No. 319, Barton, I M, Op. Cit P. 52 (1)

Haynes, E. L., Op Cit, P 90 (2)

Irt., No. 324 (3)

Rostovtzeff, M, Soc Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 339 (4)

Stan Res Inst, Op. Cit., P. 22. (5)

Irt., Nos. 318, 321. (6)

Haynes, E. L., Op Cit., Pp. 91 - 92. (7)

(8) حول سوق لبيدة والأعمال التي قام بها أثرياء المدينة والقصاب الشرف التي مُنحت لهم انظر

Elmayer, A. F., "The Re - Interpretation Of Latino - Punic Inscription From Roman Tripolitania," Lib. Stud., Vol. 14, 1983, P. 93; Degraff, N., "Il Mercato Romano Di Leptis Magna," Quaderni Di Archeologia Della Libya, Vol. 2, 1951, Pp. 27ff.

Schiffers, H., Op. Cit, PP 1 FF

(9) حول العملة في العصر القرطاجي والتوميدي انظر (أحوال المدن الثلاث الاقتصادية قبل الغزو الروماني)

Jenkins, G. K., "Som Anc. Coin. Lib Trip.,," Op. Cit., P. 33. (10)

العملات التي سُكَّت في المدن الثلاث وكانت تحمل على الوجه رأس ملتحية وعلى الظهر مقدمة معبد يحيط بها النص الكتابي⁽¹⁾ «SBRTN».

وكانت تلك العملة البرونزية قريبة الشبه من نظام النقد الروماني وتحمل صور الآلهة والباطرة الرومان كما في عملة لبدة الكبرى التي حملت رأس الإمبراطور أغسطس والتي تُدرج بعام 6/7 ق.م الذي يمكن أن يعتبر التاريخ الذي حصلت فيه المدينة على حريتها كما كان لبدة عملة في عهد تيبيريوس بعكس صبراته التي لم يُكشف عن عملة لها في عهده⁽²⁾ ومع ذلك كان لها عملة خاصة في عهد أغسطس تحمل رأس الإمبراطور وصور الآلهة ومن بينها إله التجارة⁽³⁾ «مركوري».

وبخلاصة القول إن المدن الثلاث كانت لها عملة محلية على الأرجح وكان انتشار هذه العملة محدوداً⁽⁴⁾ ولعل ما يؤكد عملة المدن اكتشاف (850) قطعة صغيرة من البرونز مع كميات أخرى من العملة عُثِر عليها بالقرب من مدينة صبراتة⁽⁵⁾ مما يرجح وجود دار لسك العملة فيها⁽⁶⁾، كما أكتشفت كميات أخرى من العملة في عدة مناطق من المدن الثلاث أهمها عملة برونزية عُثِر عليها في حمام أمفريت بتاجوراء ترجع إلى فترات رومانية مختلفة منها عهد الإمبراطور أنطونيوس بيوس في الفترة الواقعة بين عام 138 - 161 م⁽⁷⁾، وفي أويّا صُدرت حوالي 283 قطعة من المسكوكات الرومانية تمتد من حكم هادريان إلى سفيروس ولا نعرف مصدرها⁽⁸⁾، إضافة إلى ذلك عُثِر على كمية من النقود البرونزية مؤرخة بعهد الإمبراطور هادريان في مدينة لبدة الكبرى⁽⁹⁾.

(1) Ibid, P. 34

(2) Ibid Pp. 33 - 34

(3) محمود النمس ومحمود أبو حامد، دليل متحف الآثار بالسرّايا الحمراء بطرابلس، ص 215

(4) Jenkins, G. K., "Som. Anc. Coin Lib. Trip.," Op., Cit., P. 35.

(5) كما عُثِر في صبراتة نفسها على عملة تعود إلى عهد هادريان انظر

Kenrick, Ph. M., "excav. Sab. 1948 - 1951, Prit. 1986, Pp. 27, 257ff.

(6) Divita, A., Alt. Rec. Scav. Scop. Trip., Op. Cit., P. 66.

(7) هذه العملة المكتشفة سُكّت خارج المدن الثلاث إذ أن علامات السديار التي صُنعت فيها موجودة

عليها، للمزيد انظر:

محمود النمس وحفلتر مصلحة الآثار بتاجوراء، المرجع نفسه، ص 31

(8) Divita, A., "Alt. Rec. Scav. Scop. Trip.," Op. Cit., P. 80

(9) Baker, T., "Arc. New, 1965 - 1967 Trip. "Und. Wat. Explor. Cam. Univer" Op. Cit., P. 243

ومن خلال ما سبق ذكره يمكن أن نستخلص الآتي.

أولاً: أن المدن الثلاث سكّت عملتها منذ أواخر القرن الثاني ق.م.

ثانياً: أرجح أن العملة الرومانية كانت تُستخدم في التعامل داخل المدن الثلاث إلى جانب العملة المحلية وهذا واضح من كميات النقود التي تم العثور عليها.

ثالثاً: الكشف عن مقادير كبيرة من النقود تنتمي إلى عهد هادريان يوحى بازدهار الحياة الاقتصادية في عهده.

المطرق التجارية

نظراً لوقوع الصحراء بين موانئ وأسواق المدن الثلاث وبقية شواطئ البحر المتوسط من ناحية ومناطق السفانا الإفريقية من ناحية ثانية، حاول الإنسان التغلب على هذه المشكلة باستخدام القوافل في اختراق المناطق الصحراوية، وكانت القوافل تمر عبر شبكة من الواحات والحصون تنطلق من بلاد الجرامنت في اتجاه الشمال⁽¹⁾ والعكس، ولعل ما يؤكد أهمية التجارة وطرقها وجود صور الآلهة «هيرميس - مركوري» على عملات صبراتة⁽²⁾.

ولقد جذبت سواحل المدن الثلاث النصيب الأكبر من تجارة القوافل نظراً للميزات التي تنفرد بها عن بقية سواحل أفريقيا الأخرى من ناحية أن البحر المتوسط يتداخل في اتجاه الجنوب مما يقصر المسافة بين أواسط أفريقيا والبحر المتوسط⁽³⁾، ومن ناحية ثانية كثرة الواحات وفُرت العياه بين منطقة وأخرى وعلى مسافات مناسبة⁽⁴⁾ ومن ناحية ثالثة وجود أنواع مختلفة من الحيوانات⁽⁵⁾ أسهمت في حل مشكلة الغذاء لأصحاب القوافل بالإضافة إلى امتداد المناطق الصخرية الصالحة لسفر الدواب والعربات⁽⁶⁾ من الساحل إلى جزمة ومنها إلى تسيلي

(1) كريستوف روجر، المرجع نفسه، ص 96

(2) Jenkins, G. K., "Som. Anc. Coin. Lib.," Op. Cit., P. 35.

(3) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 17; Cary, M., Op. Cit., P. 219.

(4) محمد سليمان أيوب، جزمة من تاريخ الحضارة الليبية القديمة، ص 201.

(5) Pliny, Nat. Hist., V. 4. 26; Herodotus, IV. 192.

(6) محمد سليمان أيوب، جزمة من تاريخ الحضارة الليبية القديمة، ص 202.

والحجار وثبستني⁽¹⁾، وأفندي ودارفور⁽²⁾، أكسب الطرق أهمية خاصة كذلك خلو طرق المنطقة من البحيرات والمجاري المائية الضارة كما أنها خالية من الأشجار الكثيفة التي تصلح مكاناً جيدة للصيود وقطاع الطرق والحيوانات المفترسة وتعيق السير⁽³⁾ وأخيراً إن الطرق بين بلاد الجرامنت وأواسط أفريقيا من جهة والمدن الثلاث من جهة ثانية ذات موقع متوسط في منتصف الصحراء الكبرى كما أن الجهات الواقعة إلى الشرق والغرب منها تخلص من المياه والعمران إلى حد ما وتسودها الكثبان الرملية ومساحات الحصى الوعرة التي يصعب على القوافل اجتيازها⁽⁴⁾.

كانت تلك بعض المميزات الطبيعية التي ساعدت على ربط المدن الثلاث بأواسط أفريقيا تجارياً بمجموعة من الطرق التي تسير عليها القوافل أهمها:

1 - طرق تربط المدن الثلاث بحزمة.

1 - طريق ينطلق من صبراتة إلى كيدامس «مروراً بصحراء أوباري ثم أدري» ومنها إلى حرمة⁽⁵⁾ ويعتبر هذا الطريق من أهم طرق التجارة بالنسبة لمدينة صبراتة على وجه الخصوص، وكان عاملاً هاماً في ازدهار المدينة اقتصادياً⁽⁶⁾، وتعتبر كيدامس نقطة اتصال مع عدد من المناطق الداخلية⁽⁷⁾، ونظراً لأهميتها أنشأ الرومان بها حصناً عسكرياً كان أحد أغراضه حماية التجارة⁽⁸⁾ وطرقها.

ويشير بعض الباحثين أن صبراتة كانت ترتبط مع كيدامس بثلاث طرق⁽⁹⁾،

(1) Law, R. C. C., Op. Cit., P. 192

(2) جمال الدين الدناصورى، المرجع نفسه، ص 12

(3) محمد سليمان أيوب، مختصر تاريخ لوزان، ص 71.

(4) جمال الدين الدناصورى، المرجع نفسه، ص 12

(5) Plinii, Nat. Hist., V. 5.

(6) يشير إبراهيم رزقانة في كتابه جغرافية الوطن العربي، ص 79 أن كيدامس كان لها وكالة تجارية في مدينة صبراتة، ولكننا لم نجد ذلك في المصادر والمراجع التي بين أيدينا وكل ما نؤكد عليه أن واحة كيدامس كانت مركزاً تجارياً هاماً للجرامنت وأن الرومان يعد حملة بالبوس أعلنوا أنها خليفة لروما واستمرت أهميتها التجارية حتى بعد أن ضعفت تجارة المدن الثلاث حول ما سبق ذكره انظر

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 36; Blunsum, T., Op. Cit., PP. 88 - 89.

(7) Bates, O., Op. Cit., P. 15

(8) Rebuffat, R., "Dix An. Re Cher. Pr. Des. Trip", Op. Cit., PP. 90 - 91

(9) يؤكد فيليب كينريك بأن غنى مدينة صبراتة يرجع إلى تجارة السلع الترفيحية عبر الصحراء ويضيف

ومع ذلك وجود هذه الطرق الثلاث لم يتأكد بعد، فالطريق الوحيد الذي يمكن تأكيده هو الطريق الذي سلكه بالبوس وسبقت الإشارة إليه، ولعل الباحث اعتبر إشارة بليني⁽¹⁾ «يوجد طريق بري يمكن التعرف عليه بملاحظة النجوم وسط صحراء قاحلة مليئة بالحيات... في اتجاه قبيلة الجرامنت». أحد الطرق المتجهة من صبراتة إلى كيدامس ولكن هذا الطريق لم تدعمه الأدلة حتى الآن ومع ذلك لا يُستبعد أن يكون أحد الطرق التجارية المتجهة من المدن الثلاث إلى الداخل ولكن ليس بالضرورة من صبراتة إلى كيدامس.

2 - طريق ينطلق من أويا إلى غريان ومنها إلى مزدة ثم قرزة بعدها يستمر عبر بعض الواحات إلى جرمة⁽²⁾، ويرجح أن هذا الطريق قد أقام عليه الرومان بعض الحصون الصغيرة لحراسته فيما بين الساحل ومنطقة التخم حيث اكتشف أحد الباحثين⁽³⁾ عدداً من الحصون الصغيرة إلى الغرب منه مباشرة. وإضافة إلى هذا الطريق يرجح أن أويا استفادت من طريق لبدّة وصبراتة⁽⁴⁾ لوقوعها بين المدينتين. (انظر الخريطة شكل 2)

3 - من لبدّة ينطلق طريق عبر قرزة ووادي زيزامت إلى سبها ومنها إلى وادي الآجال وجرمة⁽⁵⁾ وربما يكون هذا الطريق هو الذي رجع معه بالبوس بعد حملته ضد الجرامنت عام 19 ق.م⁽⁶⁾ خصوصاً وأن بطليموس⁽⁷⁾ قد أكد سفر كثير من الناس في عهده على الطرق بين لبدّة الكبرى وجرمة ويمكن أن تستنتج من كلامه أن الطريق الذي أشار إليه بليني⁽⁸⁾ في حملة فاليريوس فسستوس كان ينطلق من لبدّة إلى بلاد الجرامنت وقد يكون ذات الطريق الذي أشار إليه هيرودوت⁽⁹⁾

بان المدينة كانت ترتبط بثلاث طرق طبيعية للتجارة مع الداخل عبر كيدامس انظر

Kenrick, M. Ph., Excav. Sab. 1948, 1951, Prit. 1986, P. 312.

Plin., Nat. Hist., V. 5. 26.

(1)

Goodchild, R. G., "The Roman Roads Of Libya And Their Milestones", Lib. In Hist., Beirut, Dar el. Mashreq, 1968, P. 159.

(2)

Divita, A., "Alt. Rec. Scav. Scop. Trip.", Op. Cit., P. 87.

(3)

Kenrick, M. Ph., Excav. Sab 1948 - 1951, Prit. 1986, P. 312.

(4)

(5) محمد سيمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية القديمة، ص 200.

Pliny, Nat. Hist., V. 5.

(6)

Pottery, I 10.

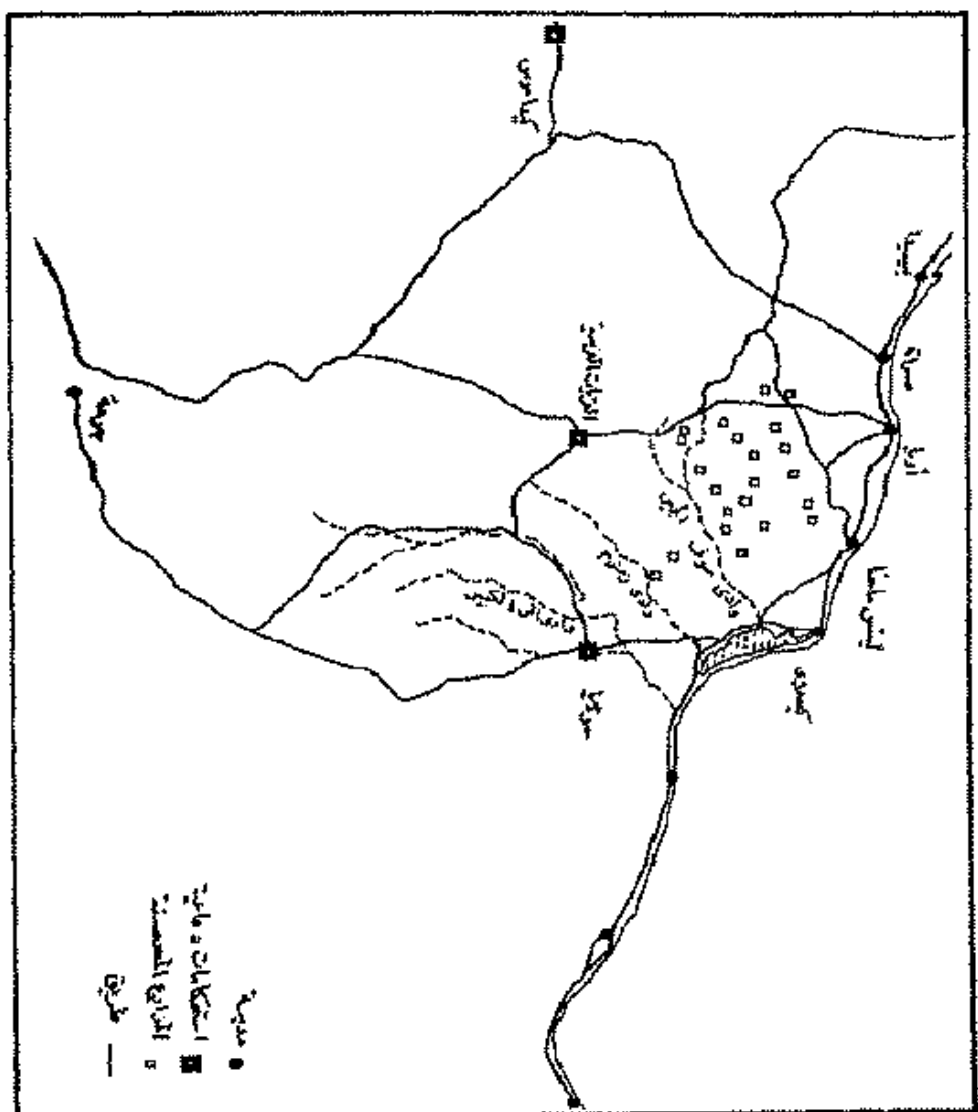
(7)

Pliny, Nat. Hist., V. 5.

(8)

Herodotus, Iv, 183.

(9)



شكل (2) الطرق التجارية في العهد الروماني.

نقلاً عن: الأطلس الوطني في الجغرافية الحديثة المغربية، الطبعة الثانية، 1977.

عندما حدد أقصر طريق يربط الجرامنت بأكلة اللوتس والذي يستغرق قطعه مسيرة ثلاثين يوماً.

4 - يوجد طريق رابع ازدادت أهميته في فترة متأخرة يسير من ماكومادس «سرت» إلى ودان وهون وسوكنة إلى سبها وأخيراً إلى جرمة⁽¹⁾ ومن المرجح أن هذا الطريق يمر بحصن جولايا الذي يعتبر ملتقى لكثير من الطرق التجارية.⁽²⁾

ب - طرق تربط جرمة بأواسط أفريقيا⁽³⁾:

يؤكد بليني⁽⁴⁾ في معرض حديثه عن الأحجار الكريمة وجود عدة طرق تنطلق من كيدامس إلى المناطق والحصون الجنوبية حول تاسيلي والحجار. ويرى بعض الباحثين⁽⁵⁾ أن الجرامنت شيّدوا بعض الحصون على هذه الطرق منها حصن فلاتيرس ليسيطروا ويجمعوا الطريق الجنوبي الغربي نحو النيجر، كما كانت الطرق تمتد إلى السودان وتشاد وبقية المناطق الجنوبية ومعظم هذه الطرق تنطلق إما من كيدامس أو من جرمة⁽⁶⁾.

ج - الطرق الساحلية:

أولاً طريق الساحل الذي يربط المدن الثلاث وبقية البروقنصلية بمصر عبر قوريني ويعتبر من أهم الطرق في المنطقة الساحلية⁽⁷⁾ اقتصادياً وقد عُثر على بعد تسعة أميال من كيفالاي على بقايا بعض الطرق المرصوفة بالحجارة ربما تنتمي لهذا الطريق.⁽⁸⁾

ثانياً: يرجح الباحثون وجود طريق يمر بمحاذاة البحر مباشرة ويتبع تعاريف

(1) محمد سليمان ايوب، مختصر تاريخ قزان، ص 72.

(2) Rebuffat, R., "Dix An. Recher. Pr Des. Trip.", Op Cit., P. 86.

(3) لا نريد الخوض في تفاصيل عن هذه الطرق والآراء التي تدور حولها ونكتفي بلحظة بسيطة عنها استكمالاً لموضوع الطرق التجارية من المدن الثلاث إلى بلاد الجرامنت نظراً لدورها الاقتصادي الهام.

(4) Plinè, Nat Hist., V. 35.

(5) Law R C C . Op Cit., Pp. 197 - 199; Cary, M., Op. Cit., P. 219.

(6) Bovill, W E , Op. Cit , P 22; Ofood, R. L. Op. Cit P 326.

(7) Goodchild, R. G., "Rom Road. Lib. Their Mèl , " Op. Cit., P. 161.

(8) Brogan., O., "Roun About Mns." Op Cit., Pp 57 - 58

الساحل من تكاباي «قابس» إلى قوريني وهو أطول من الطريق السابق⁽¹⁾.

ثالثاً: في المناطق الداخلية توجد عدة طرق لنقل التجارة بين منطقة وأخرى وربما كَوْن حصن جولايا نقطة رئيسية تتفرع منها هذه الطرق ويرجع أن طريقاً مباشراً كان يربط جولايا بقوريني ومنها إلى لبدة الكبرى وبقية المدن الأخرى⁽²⁾.

رابعاً: هناك طرق عسكرية⁽³⁾ ظهرت في العصر الروماني وكانت ذات فائدة تجارية إلى جانب مهمتها العسكرية⁽⁴⁾، ويؤكد الباحثون⁽⁵⁾ أن الرومان لم يشيدوا طرقاً تجارية خارج نطاق المدن، وإنما كَيَّفُوا بعض طرق القوافل الموجودة قبلهم إلى طرق كبيرة عامة⁽⁶⁾، وهو الأقرب إلى الصواب إذ أن علامات الطرق الرومانية لم توجد خارج التخوم.

وكانت الطرق التجارية في معظم المناطق السابقة تتعرض لأخطار رجال القبائل الساخطين على الحكم الروماني خصوصاً في المناطق الجنوبية من المدن الثلاث⁽⁷⁾ ويؤكد بعض الباحثين⁽⁸⁾ أن النسامونيس كانوا يمارسون القرصنة على السفن المارة بخليج سرت، وفي هذا الإطار ذكر لوكان⁽⁹⁾ أن طعام أهل سرت «النسامونيس» كان عن طريق الغنائم حيث يستولون على السفن القارقة والتي بواسطتها تاجر النسامونيس مع جميع الأمم.

وكانت الطرق التجارية التي تربط المدن الثلاث مع الجرامنت وبلاد أواسط أفريقيا من ناحية ومع المناطق الواقعة شرقها وغربها من ناحية ثانية تتولى الإشراف عليها وحمايتها من الأخطار وتنظيمها قوتان:

إحدهما تمثلها القبائل الليبية وفي مقدمتهم الجرامنت الذين أقاموا نقاط

Bates, O., Op. Cit., P. 14.

(1)

(2) حول الطرق الفرعية التي تنطلق من حصن جولايا نحو الداخل انظر.

Rebuffat, R., "Dix An. Recher. Pr. Des. Trip.," Op. Cit., Pp. 85 - 86.

(3) حول الطرق العسكرية انظر الباب القادم «النظم الدفاعية».

Goodchild, R. D., "Rom. Road, Lib. Thier Mil.," Op. Cit., P. 155.

(4)

(5) كريستوف روجس، المرجع نفسه، ص 197.

Goodchild, R. G., "Tab. Imp. Rom. Lip. Mag.," Op. Cit., P. 6.

(6)

(7) شارل أندريه جوليان، المرجع نفسه، ص 49، كريستوف روجس، المرجع نفسه، ص 196.

Bates, O., Op. Cit., Pp. 105 - 106.

(8)

Lucan, Bel. Civ. ix. 440.

(9)

الحراسة على الطرق ليحافظوا على سلامتها عبر أراضيهم والأراضي الخاضعة لهم معنوياً، إذ يرجح أن الجرامنت هم الذين أقاموا حصن فلانيرس لحماية الطريق الجنوبي الغربي نحو النيجر⁽¹⁾ وتوضح الرسوم البارزة حراسة الجرامنت لقوافلهم مما يدل على سيطرتهم وتنظيمهم لطرق القوافل الصحراوية⁽²⁾، ولقد أقام الجرامنت منشآت حماية على معظم الدروب التجارية وكانت تلك المنشآت عبارة عن مباني تصيط بها الأسوار ولها أبراج للمراقبة ويتوسطها بشر لتقديم الماء للقوافل وكانت هذه الحصون والقلاع تشرف على أحد الوديان للاستفادة من مياه المطر في الشرب كما أستخدم الوادي كمرعى لحيوانات النقل⁽³⁾ ومن هذا النوع قصر مارة وشراية⁽⁴⁾ «SCERABA» ولم تقتصر مهمة القلاع والحصون على الحراسة والحماية فقط بل أستخدمت مكاناً لإيواء الدواب ومنحها الوقت الكافي للراحة أو استبدالها بغيرها إذا لزم الأمر⁽⁵⁾، وأدى ذلك إلى قيام العديد من المراكز التجارية على هذه الطرق وبجوار أماكن الحماية⁽⁶⁾.

وثانيهما قوة الرومان التي تولت حماية الطرق وتنظيمها، حيث أنشأوا عدداً من الطرق تربط بين المدن والقرى التي كان العرض الرئيسي منها تسهيل التحركات العسكرية ولكن في ذات الوقت استغلت لنقل التجارة بين مناطق المدن الثلاث⁽⁷⁾، ولقد عمل الرومان على إقامة سلسلة من الحصون والمحطات لحماية الطرق وتقديم الخدمات للمسافرين ومن أهم الحصون التي شيدها الرومان على الطرق التجارية العسكرية حصن جولايا الذي يسيطر على عدد من الطرق التجارية المتجهة إلى بلاد الجرامنت وأفريقيا البروقنصلية وقوريني ومصر⁽⁸⁾ وقد أوضحت أثار مبني المشكاوات الذي أكتشف شرقي المنطقة السكنية التي تحيط بحصن جولايا أنه كان مركزاً تجارياً يحتوي على عدة حوانيت ومكان للتخزين وأرقام تبين

(1) Law, R. C. C., Op. Cit., PP. 197 - 198

(2) مصطفى كمال عبد العظيم، المرجع نفسه، ص 38

(3) محمد سليمان أيوب، جزمة من تاريخ الحصار الليبية القديمة، ص 202.

(4) Daniels, C. M., "Gar. Fezz. Int. Rep. Res. 1965 - 1973, Op. Cit., P. 36.

(5) محمد سليمان أيوب، مختصر تاريخ قزان، ص 67.

(6) Bates, O., Op. Cit., P.48.

(7) Goodchild, R. G., "Rom. Road Lib. Then Mil," Op. Cit., Pp. 155ff.

(8) Rebuffat, R., "Dix An. Recher Pr Des Trip," Op. Cit., Pp. 85 - 86.

حساب الديون ويرجح أن المبنى أنشئ في بداية القرن الثالث الميلادي⁽¹⁾.

أما حصن القرىات الغربية فهو يمثل حلقة وصل بين حصن كيدامس وحصن جولايا الذي يسيطر على مجموعة من الطرق المتجهة جنوباً أو شرقاً إلى حصن جولايا أو غرباً إلى كيدامس⁽²⁾. وكانت منطقة الجبل بصفة عامة تسيطر على طرق القوافل القادمة من أواسط أفريقيا إلى الساحل⁽³⁾ كما يعتبر حصن كيدامس من الحصون الهامة التي أقامها الرومان إذ أنه يشكل حماية لمنطقة التقاء الطرق التجارية من الجنوب والشمال⁽⁴⁾.

سلع التجارة:

أما السلع التجارية التي يتم نقلها عبر شبكة الطرق المنزه عنها فيما سبق فهي متعددة إذ كان للمدن الليبية الفينيقية الواقعة على الساحل الغربي علاقات تجارية واسعة مع عدد من الدول، ولقد تعددت البضائع التي استوردتها أو صدرتها، فقد أصبحت المدن الثلاث نقطة رئيسية لاستقبال سلع أواسط أفريقيا وبلاد الجرامنت حيث يتم تصديرها إلى مناطق البحر المتوسط وفي ذات الوقت استقبال مصنوعات البحر المتوسط التي يتم نقلها إلى أواسط أفريقيا، يضاف إلى ذلك السلع التي يتم إنتاجها داخل المدن الثلاث.

ومن الصعب تحديد قائمة دقيقة بكل السلع التجارية لعدم وجود نصوص تتحدث عن ذلك إلا في القليل النادر ولذلك نعتمد في تحديد هذه السلع على المكتشفات الأثرية في بلاد الجرامنت والمناطق الواقعة خلفها وفي ذات الوقت المكتشفات داخل المدن وفي مناطق البحر المتوسط مثل إيطاليا وكريت.

ولقد تعددت سلع التجارة سواء الصادرة من المدن الثلاث أو الواردة إليها وكانت أهمية كل سلعة راجعة إلى مقدار الطلب عليها في مناطق الاستهلاك ويعتبر

(1) Rebuffat, R., "Graff. Lib. Bunj.", Op. Cit., Pp. 165ff.

(2) حول حصن كيدامس ودوره في خدمة الطرق التجارية انظر:

Goodhild, R. G., Lib. Stud., Ed. Reynolds, Op. Cit., Pp. 30ff.

(3) Khuja, M., "Garian Town, "Field Studies in Libya, P. 20,

(4) Goodhild, R. G., Lib. Stud., Ed. Reynolds, Op., Cit., P. 56.

زيت الزيتون⁽¹⁾ من أهم الصادرات المحلية التي تجد طريقها إلى روما⁽²⁾ وبلاد الجرامنت وأواسط أفريقيا، وقد كان الجرامنت يعتمدون على المناطق الشمالية في الحصول على هذه المادة الغذائية الهامة⁽³⁾ ويعتبر القمح⁽⁴⁾ من بين سلع التجارة الهامة وكان معظمه يصدر إلى روما على الأرجح عبر صواني المدن الثلاث⁽⁵⁾ كما كانت تصدر كميات من النبيذ إلى مناطق⁽⁶⁾ أوروبا وبلاد الجرامنت التي كانت تستورد جزءاً من هذا الإنتاج⁽⁷⁾.

إضافة إلى الصادرات الزراعية الثلاث التي ذكرناها، توجد صادرات أخرى صناعية مثل الأمفورات التي كانت تصدر إلى مناطق البحر المتوسط⁽⁸⁾، ومناطق الجرامنت⁽⁹⁾ كما أن الخزف الإفريقي وصل إلى روما في عهد دوميتيان وسيطرت أفريقيا على السوق الروماني مع نهاية القرن الثاني في إساج أدوات المائدة من أطباق وملاعق وسكاكين⁽¹⁰⁾، ولا بد أن المدن الثلاث قد أسهمت في هذا الإنتاج ولعل ما يؤكد ذلك العثور على عدد كبير من هذه الصناعات في مناطق متعددة مثل صبراتة وكيفالاي⁽¹¹⁾.

ولقد كانت الأسماك المصبرة «GARUM» من أهم المصنوعات البحرية التي اشتهرت بها لبدة الكبرى وكانت تصدر إلى روما⁽¹²⁾ كذلك ربما أسهمت المدن

(1) لقد أوضحنا فيما سبق من صفحات الكتاب أهمية الزيت ودوره الاقتصادي

Arthur, P., "Amphora Production In The Tripitania Gebel," Lib. Stud., Vol. 13, (2) 1982, P. 61; C. A. Hist., Vol. X, P. 411.

Law, R. C. C., Op. Cit., P. 195. (3)

(4) أعلن قيصر أن روما ستستلم كميات كبيرة من القمح تقدر بمائة ألف أتيني من القمح من أفريقيا انظر

Plutarch, Caesar, 55.

Ward, Ph., Sub., Op. Cit., Pp. 19 - 20, Holmes, T. R., Op. Cit., P. 13. (5)

Cary, M. And Scullard, H. H. Op. Cit., P. 381 (6)

Law, R. C. C., Op. Cit., P. 195 (7)

Arthur, P., "Amph. Prod. Trip. Gebel," Op. Cit., Pp. 61ff. (8)

Daniels, C. M., "Gar. Fuzz. Int. Rep. Res. 1965 - 1973," Op. Cit., P. 38. (9)

Meiggs, R., Op. Cit., P. 587. (10)

Kenrick, Ph. M., Excav. Sab. 1948 - 1951, Pub. 1986, Op. Cit., Pp. 187ff, 20, Brogan, O., "Roun. About Mis", Op. Cit., P. 51. (11)

C. A. Hist. Vol. X, P. 411, Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 152. (12)

الثلاث في مد روما بالأسفنج الذي كان رائجاً فيها⁽¹⁾.

ومن الصادرات الأخرى الصبغة والجلود المدبوغة⁽²⁾ والكبريت الذي يصدر إلى قوريني من منطقة الخليج⁽³⁾، وأيضاً ربما أسهمت الثروة الحيوانية في الصادرات من طريق المواشي والصوف⁽⁴⁾ إضافة إلى السلع التجارية المنتجة في المدن الثلاث هناك سلع تجارية كثيرة كان التجار يحضرونها من أواسط أفريقيا والتي لعبت دوراً هاماً في تجارة القوافل وكان الكاربونيكل⁽⁵⁾ أهم سلعتها، وقد أشارت إليه المصادر المصرية بحجر تمحو من الواوات⁽⁶⁾، وكان يسمى بالحجر القرطاجي⁽⁷⁾ نسبة للقرطاجيين الذين تاجروا به في مناطق أوروبا، أما عن مناطق إنتاجه فقد اختلف المؤرخون في تحديدها، حيث ذكر استرابو⁽⁸⁾ أن الحجر القرطاجي يُؤتى به من بلاد الجرامنت أما بلييني⁽⁹⁾ الأكبر فقد حدد مناطق إنتاجه في إثيوبيا ذاكراً أنه كان يُحضر إلى الساحل عن طريق سكان الكهوف «TROGLODYTAE» وكان يسمى عند الرومان بالكاربونيكل وأن جبل جيري هو المكان الذي تُستخرج منه الحجارة الكريمة. ويؤكد بعض الباحثين⁽¹⁰⁾ أن البعثات الأثرية عثرت على الكثير من العقود المستخدمة في الزينة والمواد الخام من هذه الأحجار في منطقة جرمة، ويرجح أن البعثة الفرنسية⁽¹¹⁾ عثرت على منطقة إنتاجه على مسافة ثلاثمائة كيلو متر إلى الشرق من الوادي الكبير ووادي الناموس في وسط مرتفعات تسمى إيغي زوما.

(1) شارل أندريه جوليان، المرجع نفسه، 60

(2) Law, R. C. C., Op. Cit., P. 195; C. A. Hist., Op. Cit., P. 411.

(3) Romanelli, P., Cir. Rom., Op. Cit., P. 29

(4) Ogrizer, D., Op. Cit., P. 42, Stan. Res. Inst., Op. Cit., P. 22.

(5) Theophrastus, Frag., ii 3

(6) أشارت بريدة هاريس أن رمسيس الثالث أهدى للمعابد المصرية قطعتين من حجر التمحو انظر

Bres, Anc. Rec., iv, Pp. 373 - 389

(7) Piny, V 5 34; Strabo, Geog, Xvii, 3, 19.

(8) Ibid, Xvii, 3 11, 19

(9) Piny, Nat. Hist, V, 5, 34.

(10) محمد سليمان أيوب «حملة كورنيليوس بالبوس على فزان» ص 216

(11) Monod, F., Reconnaissance Au Donone, Publication L'Institut De Recherches

Saharie Nnes De L'University D, Alger, 1948, Pp 133ff.

وتعتبر الأحجار الكريمة من أهم البضائع التي لعبت دوراً رئيسياً في المصادرات التجارية خلال معظم العصر الروماني⁽¹⁾.

أما تجارة العاج فقد لعبت دوراً في تجارة المدن الثلاث وتفق مع أوريجمما⁽²⁾ «AURIGEMMA» بأن تجارة العاج كانت من اختصاصها إذ لا نجد تفسيراً منطقياً لاتخاذ مدينة صبراتة صورة الفيل التي عُشر عليها في أوستيا شعاراً لتجارتها⁽³⁾، ووجود تمثال لزوج هادريان «سابينا» في الساحة العامة للقصر⁽⁴⁾، وتقديم بعض مواطني ليدة تكريس من زوجين من أنياب الفيل لألهتهم⁽⁵⁾، والعثور على تمثال لأحد الفيلة⁽⁶⁾ في الشارع الرئيسي في ليدة الكبرى⁽⁷⁾، إضافة إلى أن شعار الفيلة في ليدة وصبراتة كان مشابهاً للفيل⁽⁸⁾، وجميع هذه الشواهد ليس لها إلا تفسير واحد وهو أن تجارة العاج كانت من السلع الهامة التي صدرتها المدن الثلاث، وربما شكّلت سلعة أولى في التجارة، رغم أن الكتاب القدامى لم يشيرُوا إلى تجارة العاج ولكنهم أكدوا وجود الفيلة فقد أشار بيلني⁽⁹⁾ إلى أن مساكن الفيلة توجد في اتجاه قبيلة الجرامنت وكذلك بأرض إثيوبيا وسكان الكهوف⁽¹⁰⁾ وفي موضع آخر يتحدث ذات المؤرخ عن تناقص مخزونات العاج⁽¹¹⁾ كما أن المؤرخ لوكان⁽¹²⁾ أكد أن الجرامنت يصطادون الفيلة في المناطق الجنوبية وتؤكد الاكتشافات الأثرية على

(1) تؤكد معظم المراجع على دور الأحجار الكريمة في التجارة خلال الاحتلال الروماني لمناطق المدن الثلاث ولا يتسع المجال لذكر جميع هذه المراجع التي تشير إلى هذه السلع دون أي تفاصيل عنها، وتكتفي بذكر بعضاً من هذه المراجع انظر

Geddeda, R. A., Op. Cit., P. 9; Law, R. C. C., Op. Cit., P. 197; Bates, O., Op. Cit., Pp. 48 101 - 102

AURIGEMMA, S., "Elef Lep Mag Comm Avor Lib. Fer. Emp. Trip.," Op. Cit., (2) Pp. 67 86.

Kenrick, Ph. M., Excav. Sab. 1948 - 1951, Prot. 1986, Op. Cit., P. 312. (3)

Meiggs, R. M., Op. Cit., PP. 287 - 288; PL. Xxiii. (4)

Law, R. C. C., Op. Cit., P. 195; Irt., No. 231. (5)

(6) يوجد هذا التمثال الآن في متحف طرابلس

Daniels, C. M., "Gar. Sout. Lib.," Op. Cit., P. 43 (7)

Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., Pp. 335, 338. (8)

Pliny, Nat. Hist. V. 4. 26. (9)

Ibid, Viii 7. (10)

Ibid, Viii. 9 32. (11)

Lucian, Dipsades. 2. Loeb Classical Library (12)

تجارة العاج إذ أنه تم العثور على قلادة من العاج على هيئة قرد وبعض الاختام المصنوعة من العاج في جزيرة كريت⁽¹⁾.

وكان العاج يباع بأثمان غالية نظراً لاستخدامه في صناعة التماثيل للآلهة كما استغله المواطنون في أفريقيا في المباني والأبواب⁽²⁾ وصناعة الاختام والعقود⁽³⁾ والأكواب⁽⁴⁾ وتؤكد معظم المراجع⁽⁵⁾ على أهمية العاج كأحد مصادر التجارة في أفريقيا.

وتعتبر تجارة الحيوانات المفترسة من ضمن سلع القوافل التجارية الهامة⁽⁶⁾، ولعل ما يؤكد قيام هذه التجارة ما يلي:

أولاً. كثرة الحيوانات المفترسة في مناطق أفريقيا بصفة عامة فقد ذكر بليني⁽⁷⁾ وجود الحيوانات المتوحشة شمال بلاد الجرامنت، كذلك أشار بطليموس⁽⁸⁾ إلى وحيد القرن في إقليم أجيزمبا في معرض حديثه عن حملة ماتيرونوس.

ويتحدث عدد من المؤرخين الكلاسيكيين⁽⁹⁾ عن بعض الحيوانات في منطقة أفريقيا والتي شكّلت مصدراً لهذه التجارة ومن هذه الحيوانات الأسود والخفازير البرية والذئاب والظباء والمها وبقر الوحش والثعالب والضباع والنمور، وقد أكد لوكان⁽¹⁰⁾ أن الجرامنت كانوا يصطادون في مناطق جنوبية متعزلة من ليبيا الحمير البرية والنعام والقروء وأحياناً الفيلة.

ثانياً. توريد المصادر والمراجع أعداداً كبيرة من الحيوانات المستوردة من

-
- (1) Evans, A. J., Scripta Minoa, Vol. I, P. 215.
(2) Plini, Nat. Hist. VIII, X, 13; Ploybius, XXXIX, I.
(3) Evans, A. J., Op. Cit., P. 215.
(4) أحمد النياس حسين (سبع التجارة الصحراوية) الصحراء الكبرى، مركز دراسة جهات الليبيين سلسلة الكتب المنوعة (2) ص 206
(5) لا يخلو مرجع تناول التجارة عبر الصحراء من الإشارة إلى العاج كأحد الصادرات التجارية من أفريقيا ولا ترى ضرورة لسرد كل هذه المراجع ومن أهمها
(6) Cary, M., Op. Cit., P. 220; C. A. Hist., Vol. III, P. 667
(7) Bovill, W. E., Op. Cit., P. 70.
(8) Pliny, Nat. Hist. V, IV, 26.
(9) Ptolemy I 8, 4.
(10) Herodotus, IV, 192; Boethius, The Theological Tractates, IV, III, L. C. L.
(10) Lucian, Dips. 2.

أفريقيا والتي تُقتل في الملاعب الرومانية، إذ يحدثنا ديوس⁽¹⁾ أن الإمبراطور تيبيريوس قتل في عام (37م) أربع مائة دب وفي نفس الوقت معها عدد مماثل من الحيوانات البرية من ليبيا، وفي (39م) قام الإمبراطور الروماني بذبح خمسمائة دب وفي اليوم الثاني عدد كبير من الحيوانات الليبية البرية، وفي المدرج الروماني كانت هناك مباراة بالجمال واثنى عشر حصاناً وثلاثمائة دب ونفس العدد من الحيوانات الليبية كانت قد قُتلت.

كما أن بلييني⁽²⁾ يؤكد على كثرة الحيوانات الإفريقية التي وصلت الإمبراطورية الرومانية والتي تتميز بأصالتها ورخص أثمانها، ومنها بعض الدببة الشبيهة بالعجل والمهر.

ثالثاً: يشير أحد النقوش⁽³⁾ أن شخصاً اسمه بورفيوس قد أهدى أربعة أفيال حية لمدينة لبدة الكبرى⁽⁴⁾، وأن الشخص نفسه تلقى هدية من مجلس شيوخ لبدة الكبرى، ويؤكد رستوفتزوف⁽⁵⁾ بأن هذا الشخص «مورداً للحيوانات المفترسة من وسط أفريقيا».

رابعاً: تبين الصور التي عُثر عليها في الجناح الشرقي من ميناء أوستيا خنزيراً وإيلاً وفيلاً ربما تشير إلى الحيوانات المستوردة من أجل الألعاب⁽⁶⁾، وتوضح العديد من المناظر التي تم العثور عليها في المنطقة أهمية هذه التجارة ومن أهمها أخذ المناظر في قرزة يصور معركة مع الحيوانات البرية⁽⁷⁾، كما تبين الصور التي تزين حمامات لبدة صيد الحيوانات البرية مثل الفهود والأسود⁽⁸⁾.

وكانت أهمية الحيوانات البرية ترجع لاستخدامها في ميادين الألعاب في روما⁽⁹⁾، حيث تُقتل آلاف الحيوانات البرية من مختلف الأنواع سنوياً⁽¹⁰⁾، وكان هناك

-
- | | |
|--|------|
| Dio, S. Rom. Hist , VII. 59. 4; 60. 3. | (1) |
| Pliny, Nat. Hist., VIII. 15. 38; VIII. 17. 18; VIII. 17. 42. | (2) |
| Int. No. 603. | (3) |
| Haynes, E. L., Op. Cit , P. 92 | (4) |
| Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit P. 336. | (5) |
| Meiggs, R., Op. Cit., Pl. XXIII. | (6) |
| Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 324. | (7) |
| Haynes, E. L., Op. Cit., P. 96. | (8) |
| C. A. Hist., Vol. X, P. 4. | (9) |
| Dios, Rom. Hist., VII. 59. 4; 60. 3. | (10) |

قرار قديم لمجلس الشيوخ الروماني يمنع استيراد الفيلة الإفريقية إلا أن جينايدوس⁽¹⁾ أوفيديوس «GNAEUS AUFIDIUS» تمكّن في اجتماع شعبي من إلغاء القرار السابق واستصدر قراراً جديداً يسمح باستيرادها من أجل المشاهدات في المدرج الروماني ومنذ ذلك الحين بدأت الحيوانات تصل تباعاً إلى روما⁽²⁾ ومن بين سلع القوافل الأخرى ريش النعام وبيضه إذ كان النعام ذا أهمية في المنطقة. ولقد أكد لوكان⁽³⁾ أن الجرامنت كانوا يصطادون النعام في الجهات الجنوبية، وقد عُثر على بيض النعام في المقابر الأتروسقية، والذي يرجّح الباحثون⁽⁴⁾ بأنه أحضر من ليبيا، ويُشيد البعض⁽⁵⁾ بمساهمة الريش والبيض في التجارة خلال العصر الروماني. وإضافة إلى السلع التجارية الرئيسية السابق ذكرها، وُجدت بضائع أخرى أقل شأنًا ومنها الأخشاب الثمينة والذهب⁽⁶⁾ والعبيد الذين تواجدوا بكثرة في مدن شمال أفريقيا في العصر الروماني⁽⁷⁾، والخيول التي كانت تصدر إلى روما⁽⁸⁾، والملح الذي صُدر إلى مناطق البحر المتوسط⁽⁹⁾، وفي ذات الوقت يُصدر إلى أواسط أفريقيا⁽¹⁰⁾ ويرى بعض الباحثين⁽¹¹⁾ أن النطرون اللازم لصناعة الزجاج كان أحد السلع التجارية الصادرة من المدن الثلاث.

كانت تلك معظم السلع التجارية⁽¹²⁾ التي تجد طريقها من أفريقيا إلى المدن الثلاث ومنها إلى مناطق البحر المتوسط، أما الواردات التي كانت أواسط أفريقيا أو بلاد الجرامنت والمدن الثلاث نفسها هي حاجة إليها فكانت تتمثل في الأسلحة

(1) جينايدوس أوفيديوس أحد تراينة العامة في روما

Pliny, Nat. Hist., VIII 24. 64

(2)

(1) Lucian, Dips., 2.

(3)

Bates, O., Op. Cit., P. 101.

(4)

C. A. Hist., Vol. III, P. 667; Haywood, R. M., Op. Cit., P. 13.

(5)

Hamond, N. G. L. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 22.

(6)

Law, R. C. C., Op. Cit., P. 199; Gsell, Vol. I, P. 302.

(7)

Stan. Res. Inst., Op. Cit., P. 21.

(8)

Bates, O., Op. Cit., P. 107.

(9)

(10) محمد سليمان أيوب «جرمة في عصر ازدهارها الذهبي» ص 189

Wheeler, Rome Beyond The Imperial Frontiers, P. 106.

(11)

(12) يشير بعض الباحثين إلى سلع أخرى مثل البخور والبهارات والسلع الطبية.. إلخ انظر

C. A. Hist. Vol. X., P. 4; Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 150.

والملابس والمنسوجات الحريرية والصوفية⁽¹⁾، إذ أظهرت قبور الجرامنت قطعاً من الملابس الصوفية المصبوغة⁽²⁾ بالصبغة الأرجوانية التي يرجح أنها من صناعة صُون⁽³⁾.

وقد كانت المدن الثلاث تستورد مواد البناء اللازمة لمبانيها من أهمها الجرانيت «الصوّان» من مصر، والرخام من جنوب أوروبا⁽⁴⁾، وآسيا الصغرى⁽⁵⁾ وأثبت التحليل أن قسماً من هذه المادة ينتمي إلى جبل فيلقيلة⁽⁶⁾ بنوميديا، ومن السلع التجارية الهامة الأدوات المصنوعة من الفخار إذ كشف علماء الآثار عدداً من المصابيغ الرومانية في مناطق المدن الثلاث⁽⁷⁾، وكذلك في معظم مناطق الجرامنت⁽⁸⁾، إضافة إلى مصابيغ أخرى مستوردة من المناطق المجاورة «تونس» والتي عُثر على عدد منها في أحد الأضرحة بصبراتة وتعود معظمها إلى القرن الثاني الميلادي⁽⁹⁾ ويرجح أن المصابيغ الفخارية التي تم استيرادها من الإسكندرية كانت من ضمن سلع التجارة⁽¹⁰⁾ ويعتبر الفخار بمختلف أنواعه⁽¹¹⁾ من

(1) Bates, O., Op. Cit., P. 107.

(2) Law, R. C. C. Op. Cit., P. 195.

(3) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع نفسه، ص 91.

(4) Stan. Res. Inst., Op. Cit., P. 22.

(5) Strong, D. E., "Sept. Sev. Lepe Mag. Cyr." Op. Cit., P. 28.

(6) Walda, H. And Walker, S., "The Art And Architecture Of Leptis Magna Marble

Origins By Isotopic Analysis," Lib. Stud., Vol. 15, 1984, Pp. 18 - 84.

(7) Ibid, Pp. 155, 162 ff.

ولقد عُثر في منطقة تاجوراء على عدة مصابيغ رومانية تمتد من القرن الخامس الميلادي انظر.

محمود عبد العزيز النمسي حفائر مصلحة الآثار بتاجوراء، ص 38 - 40.

(8) Law, R. C. C., Op. Cit., P. 194; Cary, M. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 381

(9) Procaccini, P., "Le Lucerne," Lib. Antiq., Vol. X-Xi, 1974. 1975, Pp. 29. ff.

(10) Joly, E. "Nuove Lucerne Con Vedute Di Porto Nell, Antiquarium Di Sabratha, Lib.

Antiq., Vol. V, 1968, Pp. 52ff.

(11) عثرت بعثة النونسكو خلال ثلاثة فصول على حوالي (30,000) قطعة فخار تؤرخ ما بين القرن الأول

والخامس، وينقسم الفخار الذي تم العثور عليه إلى فخار ممتاز وخشن غير مصقول، انظر.

Jones, G. D. B. And Barker, G. W., "Unes, Lib. Vall. Sur, Iv, 1981. Seas," Op.

Cit., Pp. 54 - 55; Mattingly, D. J., "The Roman Roads Stations At Thenadassa" Ain-

waf, Lib. Stud., Vol. 13, 1982, P. 77.

أكثر الصناعات المستوردة التي وصلت إلى المناطق الجنوبية، فقد عُثِرَت البعثات العلمية على الكثير من الخزف والفخار الروماني في بلاد الجرامنت والمناطق الجنوبية الغربية⁽¹⁾، وتوضح المكتشفات الأثرية أن أواني واكواب الفخار الروماني⁽²⁾ كانت تُستخدم على نطاق واسع، يضاف إليها بعض الجرار الكبيرة من بلاد اليونان⁽³⁾.

ومن بين الأشياء الأخرى المستوردة الزجاج⁽⁴⁾ الذي تشهد مخلفاته في معظم مناطق المدن الثلاث وبلاد الجرامنت على أهميته فقد عُثِرَ في صبراتة وكيفالاي «مصراتة» وبلاد الجرامنت «فرّان» على عدد من أواني الزجاج والكؤوس والاقداح التي أحضر معظمها من روما وربما بعضها الآخر من مصر⁽⁵⁾ ويرجح أن الإزارات الرومانية⁽⁶⁾ والفضة⁽⁷⁾ شكّلت أحد المستوردات الرومانية.

وسائل النقل:

كانت جميع تلك السلع التجارية سواء الصادرة أو الواردة يتم نقلها بعدة أنواع من الحيوانات وتعتبر الشيران أول الحيوانات التي أستخدمت للنقل والركوب⁽⁸⁾، كذلك أستخدمت الحمير كوسيلة نقل عبر الصحراء⁽⁹⁾ على نطاق واسع، ثم نتيجة للجفاف ونُدرة المياه على الأرجح لجأ الإنسان إلى استخدام الخيول في النقل وجر العربات⁽¹⁰⁾ التي استمرت تلعب دوراً فعالاً في النقل وكان لها الفضل

(1) Daniels, C. M., "Gar Fezz. Int. Rep. Res. 1965 - 1973," Op. Cit., P. 36.

(2) Tagart, Ch., "Roman Faience From Vicinity OF Germa Wadi El - Agial Fezzan," Lib. Stud., Vol. 14, 1983. Pp. 144 - 154.

(3) Rebuffat, R., "Dix An. Recher. Pr. Des. Trip.," Op. Cit., P. 86.

(4) Bates, O., Op. Cit., P. 107.

(5) حول ما تم اكتشافه من أنية زجاجية وكؤوس واقداح والفترات الزمنية لهذه المصنوعات ومناطق صناعتها انظر.

Tagart, Ch., "A glass Fishbeaker From Fezzan," Lib. Stud. Vol. 13, 1982, Pp. 81 - 84;

Brogan, O., 'Roun About Mis.," Op. Cit., P. 51

(6) محمد سليمان أيوب، جريمة من تاريخ الحضارة الليبية القديمة، ص 212

(7) Law, R. C. C., Op. Cit., P. 198.

(8) Bates, O., Op. Cit., P., 103.

(9) Strabo, Geog. XVII; Bovill, W. E., Op. Cit., P. 70.

(10) تحدث هيرودوت عن استخدام الجرامنت للعربات التي تجرها الخيول ورغم أنه لم يؤكد على استخدامها لنقل البضائع، ولكن من المرجح أن الجرامنت استغلوا لهذا الغرض انظر.

Herodotus, IV. 183.

الأكبر في سيادة الجرامنت على طرق القوافل التجارية⁽¹⁾.

ومن الحيوانات التي لعبت دوراً رئيسياً في التجارة الجمل⁽²⁾، الذي يربح أن استخدامه في النقل لم ينم قبل أواخر القرن الثاني الميلادي⁽³⁾ ومع ذلك فقد تحقق ازدهار اقتصادي هام بظهور هذا الحيوان المميز⁽⁴⁾ الذي استطاع أن يأخذ وظيفة الثيران والحمير والخيول كوسائل نقل للتجارة إذ تمكّن من احتراق المسالك الرملية التي عجزت عنها الحيوانات الأخرى⁽⁵⁾.

وبين أحد الرسوم في قرزة قافلة تجارية⁽⁶⁾ في طريقها إلى أحد المراكز التجارية مما يؤكد أهمية الجمل حتى إن بعض الحمير في العصر الروماني - مراكز للجمال مثل جولايا⁽⁷⁾، أما وسائل النقل البصرية فهي السفن التي تعتبر وسيلة هامة لنقل البضائع بين المدن الثلاث وأسواق الدول الأخرى، وقد أشار استرابو إلى ضخامة السفن القادمة من أفريقيا قاصدة الموانئ الرومانية الهامة مثل أوستيا⁽⁸⁾ وبوتيول⁽⁹⁾، ولعل ما يؤكد أهمية السفن في التجارة الكشف عن سفينتين تجاريتين في سوق لبدة الكبرى⁽¹⁰⁾!

الضرائب:

رغم قلة المعلومات التي لدينا عن الضرائب في المدن الثلاث، ومع ذلك يمكن تقسيمها إلى

(1) Warmington, B. H., *Op. Cit.*, P. 66; Ofrood, L. R., *Op. Cit.*, P. 208.

(2) للمزيد عن ظهور الجمل في أفريقيا واستخدامه في المدن الثلاث، انظر الفصل السابق

(3) Gsell, *Op. Cit.*, Vol. I, P. 60.

(4) يتميز الجمل بعدد من الصفات التي جعلته أصلح الحيوانات للصحراء وطبيعتها القاسية حيث يستطيع السير بدون ماء لمدة سبعة أيام، ويعتمد في غذائه على الأشواك وسعف النخيل ويستطيع نقل حمولة قنطارين ويسير بسرعة 2 1/2 ميل في الساعة، ولا يؤثر فيه العواصف الرملية والتقلبات الجوية في الصحراء حول ذلك انظر:

Bates, O., *Op. Cit.*, Pp. 16 - 17

(5) هانس فايس، المرجع نفسه، ص 173.

(6) Haynes, E. L., *Op. Cit.*, P. 156.

(7) Mattingly, D. J., "Laguar, Lib. Trib. Con. Lat. Rom. Emp.", *Op. Cit.*, P. 104.

(8) في هذا الميناء اكتشف شعاع مدينة صيراة مع نقش يحمل اسم المدينة انظر

Meiggs, R., *Op. Cit.*, P. 283.

(9) Strabo, *Geog.* 145

(10) Haynes, E. L., *Op. Cit.*, P. 92.

أولاً ضرائب زراعية:

وكانت أقدمها تلك الضريبة التي فرضها يوليوس قيصر على مدينة لبدة الكبرى والتي تقدر بثلاثة ملايين رطل من زيت الزيتون⁽¹⁾، ويرجح أنها استمرت حتى أعفى أوغسطس المدينة منها⁽²⁾، وهذا الإعفاء ربما يعود إلى القانون الذي أصدره بخصوص مراعاة قدرة الولايات عند دفع الضرائب⁽³⁾.

وفي عهد سبتيموس سيفيروس قُدِّمَ إليه أهل لبدة الكبرى هدية من الزيت⁽⁴⁾ والتي 1 . - ضريبة دائمة على المدينة بعد وفاته حتى أعفاها قسطنطين من هذه الضريبة⁽⁵⁾ بعد توليه الحكم.

أما الضرائب على الأشجار فإنها تتضح من القانون الذي أصدره هادريان بإعفاء الأشجار المثمرة حتى يكتمل نموها في الأراضي البور أو التي أهلها أصحابها⁽⁶⁾، كما كانت الأراضي القبلية خاضعة لدفع الضرائب إضافة إلى ضرائب أخرى على الحيوانات⁽⁷⁾.

ثانياً، ضرائب تجارية.

وكانت تشمل الضرائب على البضائع التجارية المستوردة من البحر أو عن طريق القوافل و (4٪) على بيع العبيد و (5٪) على تحريرهم ثم (5٪) على التكرات، والتي تطبق على الحاصلين على المواطنة الرومانية، وقد خفت حدة هذه الضرائب قليلاً تحت حكم أوغسطس⁽⁸⁾ وكان المسؤول عن الضرائب بجميع أنواعها نائب القنصل⁽⁹⁾، حتى عهد تراجان عندما أصبح المسؤول عن الضرائب التجارية موظفاً تابعاً للإمبراطور إذ أصبح مكتب الدخل الإمبراطوري في لبدة ينقسم إلى

(1) Plutarch, Caesar, 55; C. A. Hist., Vol. X, P. 41.

(2) Rostovtzeff M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 335.

(3) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 41.

(4) Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Vol. II, P. 714.

(5) Juhen, Ch. A., Op. Cit., P. 159.

(6) مصطفى عبدالمعظم، المرجع نفسه، ص 98.

(7) محمد الجراي، الاستيطان الروماني في ليبيا، المرجع نفسه، ص 27.

(8) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 41.

(9) Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 130.

قسمين أحدهما تحت مراقب بحري مهمته تحصيل الضرائب على السلع القادمة عبر البحر وضريبة الوفاة، والقسم الثاني تحت مشرف أو مراقب بري يتولى تحصيل الضرائب الواردة عن طريق البر⁽¹⁾، وبيع العبيد وعنتهم⁽²⁾

وكانت الضرائب التي أطلق عليها الحصة السنوية يتولى أمر نقلها إلى روما تجار شكّلوا شركات ونقابات⁽³⁾ تملك أنواعاً مختلفة من السفن لهذا الغرض وقد سجلت المحطات التجارية في أوستيا وبوتيل الكثير من الأسماء الإفريقية، إذ كان لمجهزي المراكب وكالات تجارية في الساحة المطلة على المسرح، ويؤكد ذلك النقش الذي يحمل اسم صبراتة في أوستيا أهم الموانئ التي تستقبل الحصة السنوية⁽⁴⁾ وفي عهد سيفيروس يرجّح أن أصحاب المراكب أجبروا على العمل بصفة رسمية وخضعوا لمراقبة الدولة وتشجيعاً لهم أعفتهم الدولة من الواجبات البلدية⁽⁵⁾، وكانت الضرائب في مناطق المدن الثلاث تعتمد على رغبات الإمبراطور ومصالحه الشخصية وأصدق دليل على ذلك القرار الذي أصدره كاركلا بإلغاء الضريبة لفائدة إفريقيا عام (216م) لأنه كان متورطاً في حملة عسكرية وفي حاجة للمؤن والرجال⁽⁶⁾، ويبدو أن هذا الإعفاء كان مؤقتاً بحسب متطلبات الظروف السياسية إذ أن الرومان استمروا في تحصيل الضرائب المعتادة، وقد ازداد الموقف صعباً عندما وضع دقلديانوس تنظيماته الاقتصادية التي تنص على دفع الضرائب عيماً⁽⁷⁾ كلما أمكن ذلك، حيث كانت توضع المنتجات في مخازن فيأخذ الجنود والموظفون نصيبهم منها ويصدّر الباقي إلى روما، ونظراً لصعوبة تنفيذ هذه الطريقة والتي ذهبت بثلاث المحصول ونظراً لحاجة الجنود والموظفين لهذه المحاصيل وحتى تتمكن الدولة من الإيفاء بهذه المتطلبات قامت الدولة الرومانية بالاستيلاء على محاصيل المواطنين دون مراعاة⁽⁸⁾ لأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، وبما أن

(1) يوضح أحد النقوش المكتشفة في سارية «Zaïti» بإفريقيا الضريبة المفروضة على التجارة البرية في إفريقيا ولكن النقش لم يوضح قيمة هذه الضريبة

Cit., Vin., 4508.

Haynes, E. L., Op. Cit., Pp. 41 - 42. (2)

Warmington, B. H., Nor. Afr. Prov. Dioc. Vand. Con., Op. Cit., P. 61. (3)

Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 166. (4)

Warmington, B. H., Nor. Afr. Prov. Dioc. Vand. Con., Op. Cit., P. 61. (5)

Lewis, N. And Reinhold, M., Op. Cit., P. 442 (6)

(7) في عهد فيثيان الأول لم يستطع المعمرين دفع الضرائب نقداً

Julien, Ch. A., Op. Cit., Pp. 166, 195. (8)

التقصير في تحصيل الضرائب يوجه إلى موظفي البلديات في مناطقهم عليه أصبح الأشراف يتهربون من الوظائف البلدية⁽¹⁾ ولعل ما يؤكد ظلم الرومان ونهبهم لخيرات البلاد اعتراف شيشرون بجشع الرومان وظلمهم للمناطق التابعة لهم⁽²⁾

ومن خلال دراستنا للنشاط التجاري في المدن الثلاث نخلص إلى النتائج التالية.

أولاً: الموقع الجغرافي الممتاز بين مناطق الإنتاج والاستهلاك ساعد على ازدهار التجارة.

ثانياً: سيطرت القبائل الليبية مثل الجرامنت والنسامونيس وربما الماكاي على تجارة القوافل.

ثالثاً: وجود الموانئ الجيدة والأسواق المفتوحة والعمل ساعد على الازدهار التجاري.

رابعاً: هناك العديد من الطرق التجارية ربطت شرق المدن الثلاث بغربها والشمال بالجنوب.

خامساً: تولى حماية الطرق والمحافظة عليها قوتان الجرامنت والرومان سادساً: أنتجت المدن الثلاث الكثير من السلع التي أسهمت في التجارة إلى جانب سلع القوافل من أواسط أفريقيا

سابعاً: كانت الجمال والسفن التجارية من أهم وسائل المواصلات في العصر الروماني.

ثامناً: استغل الرومان الأوضاع الاقتصادية السيئة في الإمبراطورية لإرهاق المواطنين بالضرائب المتعددة.

تاسعاً: استمرت أوضاع المدن الثلاث التجارية مزدهرة حتى النصف الثاني من القرن الثالث⁽³⁾ الميلادي عندما بدأت الأنشطة التجارية في التراجع والنقصان لعدة أسباب أهمها تدهور الأوضاع السياسية وانتشار الفوضى⁽⁴⁾، وقيام الحركة

(1) ول ديورانت، المرجع نفسه، ص 366.

(2) Cicero, "M. Tulliu Cicero," li, Inverren, lii, 207.

(3) Rostzoeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., Pp. 338 - 339.

(4) Nilsson, M. P., Op. Cit., P. 77; Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 195.

الدوناتية⁽¹⁾ ويرجع بعض الباحثين أن من أسباب تدهور التجارة بين الشمال والجنوب حدوث تحركات بشرية نتج عنها استقرار قبائل لواتة في المناطق الجنوبية من المدن الثلاث⁽²⁾ ولعل توالي الأحداث السياسية المضطربة كان العامل الأهم في القضاء على التجارة ومن أهم هذه الأحداث المؤثرة غزوات الأوسترياني⁽³⁾ مما أدى إلى فقدان الأمن على الطرق التجارية.

2 - الصناعة:

تعتبر المعلومات التي لدينا عن الصناعة قليلة جداً فهي لا تتعدى إشارات مبهمة من بعض الباحثين إلا أن الكشف الأثري أظهر بعضاً من هذه الصناعات التي كانت منتشرة في المنطقة خلال العصر الروماني أهمها عصر الزيتون⁽⁴⁾، إذ يؤكد الدليل الأثري على انتشار هذه الصناعة، حيث عُثر على الكثير من المعاصر في مختلف مناطق المدن الثلاث خصوصاً في المنطقة الشرقية من الجبل إذ عُثر على بقايا سبعة عشر معصرة زيتون⁽⁵⁾ إلى الغرب من لبدة الكبرى.

ويرى بعض الباحثين أن عدد المعاصر التي عُثر عليها في منطقة المدن الثلاث تزيد عن ثلاثين مجموعة وتتشابه مع نظيراتها في قوريني⁽⁶⁾ كما تم الكشف عن أحواض عصر الزيت في قرقارش ومعصرة أخرى في منطقة صبراتة⁽⁷⁾.

وقد تعددت المناطق التي عُثر فيها على معاصر الزيتون، سواء في مناطق الجبل أو الساحل⁽⁸⁾ وكان الزيت الذي تنتجه تلك المعاصر يكون دهاسة هامة في

(1) Hayens, E. L., Op. Cit., P. 57.

(2) محمد الجبراري «موقف القبائل الليبية من الغزو الروماني» المرجع نفسه ص 73 - 74.

(3) Ammianus Marcellinus, I. Xxx.

(4) Bates, O., Op. Cit., Pp. 157 - 159.

(5) Arthur, P., "Amph. Prod. Trip. Geb.," Op. Cit., P. 61.

(6) Hyslop, C. G. C., In Collaboration With Applebaum, S., Cyrene And Ancient Cyrenaica, Aguide Book, Printed By Government Press, Tripolitania, P. 58.

(7) Bakir., T., "Archeological News 1965 - 1973, Tajura," Op. Cit., Pp. 242, 244.

(8) يُستخدم في بعض طرق صناعة الزيت قطعتين من الحجر يدوران حول عمود حجري في منتصف الحوض وقد نُظِم أو كُيِّف يُعطى بُعد أو مسافة من جدران الحوض للمزيد حول معاصر الزيتون والطريقة التي تتم بها عملية عصره في المدن الثلاث انظر

Forbes, R. J., "Food Class. Ant. Prod. Cl. Oil Std. Anc. Tech.," Op. Cit., P. 106;

Hayens, E. L., Op. Cit., Pp. 142 - 143, Figs. 17 - 18.

اقتصاد المدن الثلاث، ورغم كثافته إلا أنه يلقي رواجاً كبيراً لاستخدامه في الطعام⁽¹⁾ والحمامات والإضاءة وشؤون التجميل ..

ومن الصناعات الأخرى التي اشتهرت بها المدن الثلاث صناعة تمليح السمك مما جعل بعض الباحثين يرجعون شراء مدينة لبدة الكبرى على وجه الخصوص إلى ضخامة المقادير التي كانت تصطادها من سمك الرنكة⁽²⁾، وهو سمك من فصيلة السردين، وليس غريباً أن تُصطاد الأسماك على طول الساحل⁽³⁾ وتبين فسيفساء لبدة الكبرى طريقة الصيد بالقرب من أحد الموانئ البحرية كما كشف البحث الأثري الكثير من البقايا البحرية في مدينة صبراتة⁽⁵⁾ ويؤكد الباحثون على تقدم صناعة تمليح الأسماك وازدهارها⁽⁶⁾، ومساهمتها في الصادرات التجارية⁽⁷⁾ وإضافة إلى لبدة الكبرى التي تعتبر المركز الرئيسي لهذه الصناعة يرجح أن ماكوماكا «سبخة تاورغاء» وأوزوخيس «لم يُحدد موقعها» كانتا من مراكز تمليح الأسماك⁽⁸⁾.

وتعتبر الأمفورات⁽⁹⁾ من بين صناعات المدن الثلاث التي صُنعت من أجل تصدير زيت الزيتون إلى روما وقد عُثر على عدد منها في مناطق مختلفة من البحر المتوسط ويرجح أن أهم مناطق إنتاجها عين الشرشارة وتازولي «سيدي سعيد» والخمس⁽¹⁰⁾ وقد عُثر على أعداد منها في جرمة وصبراتة⁽¹¹⁾.

Geddeda, R. A., Op. Cit., P. 6.

(1)

يخالف بعض الباحثين هذا الرأي ويؤكدون أن الزيت المنتج في المدن الثلاث غير صالح للأكل انظر:

Julen, Ch. A., Op. Cit., P. 151; Haynes, E. L., Op. Cit., P. 51.

Brogan, O., "Cam. Rom. Trip.," Op. Cit., P. 128.

(2)

Bates, O., Op. Cit., P. 29.

(3)

Rostovtzeff, M., Soc Econ. Hist Hell Wor, Vol I, P. 352; Vol. III, P. 1615

(4)

Pucci, C., "Cer.," Op. Cit., P. 104.

(5)

Wells, J. Barrow, R. H., Op. Cit. P. 323.

(6)

C. A. Hist, Vol. X, P. 411, Julien, Ch. A. Op. Cit., P. 152.

(7)

Merighi, A., Op. Cit., Pp. 37 - 39.

(8)

(9) توجد عدة أمفورات في متاحف لبدة الكبرى وأويا وفي مستودعاتهما ويوجد على إحداها نقش يوضح أصل هذه الأمفورات والأغراض التي صُنعت من أجلها.

Arthur, P., "Amph. Prod. Trip. Geb.," Op. Cit., Pp. 62 - 63, 69, 71 - 72

(10)

Kenrick, Ph. M., Excav. Sub. 1948 - 1951, Prit., 1986, Pp. 204ff

(11)

أما الفخار فيعتبر من الصناعات الرئيسية وقد أشارت بعض الخرائط الرومانية إلى مواقع بعض أفران الفخار في المنطقة⁽¹⁾ وعُثر على العديد من أنواع الفخار في مختلف المناطق⁽²⁾ ومن أهم الأنواع التي أكتشفت في مدينة صبراتة الطين الأفريقي المختوم بأنواعه المختلفة والذي بدأ إنتاجه في (160م) وبالأخص في العهد السفيري ويرجع استمرار إنتاجه حتى حكم الكسندر سيفيروس ومن الأنواع الأخرى التي عُثر عليها الفخار الرمادي المزخرف والسريفيق الأملس العادي⁽³⁾.

وقد عثرت بعثة اليونسكو على (30) ألف قطعة في خلال مسحها للأودية الليبية في نطاق مناطق المدن الثلاث خلال ثلاثة فصول، وقد كانت الكثير من هذه القطع من إنتاج المنطقة، تحتوي على فخار ممتاز وخشن غير مصقول⁽⁴⁾.

وكانت أهم الأفران التي تم اكتشافها تتركز في قرقارش⁽⁵⁾ وعين الشرشارة وقازولي والخمس⁽⁶⁾ ومن المصنوعات الفخارية الأخرى التي عُثر عليها أدوات المائدة مثل أطباق الطعام والأكواب وقدر الطبخ والمجمرات والجرار بأشكالها المختلفة التي أكتشفت في مدينة صبراتة⁽⁷⁾ وفي المدينة ذاتها أكتشف العديد من المصابيح في أحد الأضرحة والتي يرجع الكثير منها إلى القرن الثاني وهي مشكلة على قوالب مستوردة من تونس، وهذا يعني وجود صناعة المصابيح في منطقة المدن الثلاث، وفي القرن الثالث الميلادي أنتجت مصابيح ذات مقبض مسدود⁽⁸⁾.

ويبدو أن المصابيح⁽⁹⁾ كانت تُنتج بكميات كبيرة للاستهلاك المحلي آنذاك

(1) Goodchild, R. G. "Tab. Imp. Rom. Lept. Mag.", Op. Cit. P. 7.

(2) Brogan, O. "Hadd Hajar, A Clausura In The Tripolitania Gebel Garian South Of Asa", bas. "Lib. Stud. Eleventh Report" 1979 - 1980, P. 46.

(3) Pucci, G. "Ger.", Op. Cit., PP. 16, 64, 69 - 74, 79, 84ff.

(4) Jones, G. B. And Barker, G. W., "Uns. Lib. Vall. Surv.", Op. Cit., Pp. 54, 55.

(5) Barkir, T., "Arch. New 1965 - 1967" Op. Cit., P. 242.

(6) Arthur, P., "Amph. Prod. Trip. Geb.", Op. Cit., P. 92.

(7) Kenrick, M. Ph., Excav. Sab. 1948 - 1951, Prit. 1986, Pp. 187, 207, 210.

(8) Procaccini, P., "Luc.", Op. Cit., P. 29ff.

(9) حول إنتاج المصابيح والأماكن التي أكتشف فيها انظر

Arthur, P., "Amph. Prod. Trip. Geb.", Op. Cit., P. 69, Kenrick, M. Ph., Excav. Sab. 1948 - 1951, Prit. 1986, Pp. 204ff., 230 - 231.

وارجح وجود صناعة الجير استناداً لبقايا أحد الأفران لحرق الجير الذي اكتشف في تاجوراء، كما أن العثور على قطع من الزجاج في منطقة قرقر⁽¹⁾، ربما يوحي بوجود صناعة الزجاج في المدن الثلاث ومن الصناعات الأخرى التي ربما تكون موجودة قبل الاحتلال الروماني واستمرت خلاله هي صناعة الحبال من ألياف النخيل⁽²⁾ وصناعة الخمر التي تعتمد على العنب⁽³⁾ وأحياناً يُحضّر من تمر النخيل⁽⁴⁾، كما استغل المواطنون جلود الحيوانات في صناعة قرب الماء والحصر⁽⁵⁾.

وإلى جانب تلك الصناعات ربما كانت توجد مصنوعات معدنية استناداً إلى بعض المعشغولات المعدنية التي تم العثور عليها في صبراتة، والتي تشتمل على بقايا مسامير من الحديد وأحد المشابك وسلك من البرونز⁽⁶⁾..

كانت تلك جُلّ الصناعات التي تمت معرفتها في مناطق المدن الثلاث خلال العصر الروماني ومن خلالها يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية:

أولاً: إن الصناعة استمرت على ما هي عليه خلال العصور السابقة للاحتلال الروماني ما عدا عصر الزيوت التي تقدمت إلى حد ما بسبب حاجة الرومان لهذه المادة الصناعية الهامة.

ثانياً: تركّز اهتمام الرومان على الزراعة لحاجة الرومان للحبوب والزيتون وبقية المزروعات الأخرى.

ثالثاً: لم يحاول الرومان النهوض بالصناعة المحلية للمدن الثلاث حتى تبقى سوقاً مفتوحة للمصنوعات الرومانية وفي ذات الوقت مورداً هاماً للمواد الخام.

(1) Bakır, T , "Arch. New. 1965 - 1967," Op. Cit., Pp. 243, 248.

(2) Pliny, Nat. Hist. Xiii, 3

(3) اشتهرت المدن الثلاث بإنتاج الخمر التي كانت تُهزّب إلى قورينس عبر كاراكس منذ العصر الفينيقي ولا نعتقد أن هذه الصناعة قد نقصت أو انتهت خلال العصر الروماني خصوصاً إذا عرفنا أن الإمبراطور تراجان أصدر قانوناً بمنع زراعة الكروم كما أوضحت فسيفساء داربون عميرة تسوية الأرض لغرس هذه الأشجار انظر

Rostwrtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit. P 313; Jullien, Ch. A , Op.Cit. P. 151.

(4) Pliny, Nat. Hist. Xiii, 4

(5) Procopius, Bello Vandal., 11 6.

(6) Pucci, C , "Cer" Op. Cit., pp. 101ff.

الباب الثالث **النظم الدفاعية**

الفصل الأول

سياسة الرومان الدفاعية قبل العهد السفيري

كانت سياسة الرومان الدفاعية ضد القبائل الليبية قد استمرت منذ عهد أغسطس الذي حرك الجيش الروماني للقيام بالعمليات الحربية خصوصاً ضد الجرامنت الذين شكلوا مصدر خطر دائم على الرومان، وقد بدأت هذه الحملات بقيادة لوكيوس كورنيليوس بالبوس عام 19 ق.م⁽¹⁾، ثم تلتها عدة أحداث سياسية في القرن الأول الميلادي أهمها ثورة الزعيم الليبي تكفريفساس التي استمرت سبع سنوات، وقد قاد الرومان عدة جيوش للقضاء عليها حتى تمكّنوا من ذلك عام 24م، وفي أثناء ذلك سيطرت القوات الرومانية على الطريق الذي يربط لبدة الكبرى مع بلاد الجرامنت⁽²⁾.

واستمر الرومان في تجريد الحملات العسكرية بهدف القضاء على الاوضاع المضطربة في مناطق المدن الثلاث إذ أن الرومان قد أرسلوا قوة عسكرية عام 69م بقيادة فاليريوس فسستوس لإنهاء الحرب التي وقعت بين مدينتي لبدة الكبرى واويا ومعاقبة الجرامنت على مساعدتهم لمدينة اويا⁽³⁾، وبعد ذلك بحوالي سبعة عشر عاماً قاد الرومان حملة جديدة ضد قبيلة النسامونيس الليبية⁽⁴⁾، وكانت آخر الحملات الرومانية قد خرجت ضد الجرامنت والنسامونيس في عهد سبتيميوس سيفيروس⁽⁵⁾، قبل أن يتخلى عن السياسة الدفاعية القديمة المعتمدة على الجيوش

(1) Virgil, iv 791 - 797; Pliny, Nat. Hist., V 5.

(2) Tacitus, Ann., II Lxxiv, III Xx - Xxxii, Lxxiv, Hist., IV, Xxiii, Xxvi, L.

(3) Tacitus, Hist., IV 50, Pliny, Nat. Hist. V 38.

(4) Dios, Rom. Hist., Ep, Lxvii; Zonaras, Ann., XI. 19.

(5) Aulus Spartianus, Severus I. 18; Aurelius Victor, Caes., Xx. 19.

الرومانية المتمركزة في المدن الساحلية وعلى قدرتها في الاندفاع للقيام بالهجمات ضد القبائل الليبية بقوات سريعة الحركة⁽¹⁾.

وكانت المدن الثلاث في بدايتها خالية من الأسوار الحجرية على الأرجح إذ يشير بعض الباحثين⁽²⁾ إلى بقايا تحصينات من قوالب الطين تمتد موازية لوادي رصيف وبالرجوع إلى المصادر القديمة يشير تاكيتوس أن أهل لبدة الكبرى عندما تقدمت قوات الجرامنت نحو مدينتهم قادهم الخوف إلى التحصن خلف أسوارها⁽³⁾. ويعتقد بعض الباحثين أن تلك الأسوار كانت تحمي المدينة من الجنوب والشرق والغرب⁽⁴⁾ ولكنني لا أعتقد أن أسوار المدينة التي تكلم عنها تاكيتوس كانت من الطين وإلا كيف استطاعت حماية المدينة من هجمات الجرامنت وأرجح أن تكون تلك الأسوار من الحجارة.

أما مدينة أويا فيرجح أن السور الذي يحيط بالمدينة قد أنشئ في عصور متأخرة لحماية المدينة من هجمات الأوسترياني⁽⁵⁾.

ولقد قامت الفرقة الأغسطية الثالثة بجميع الحملات العسكرية منذ أن أرسلها أغسطس لقتولى الدفاع عن الحدود الجنوبية التي كانت عرضة للهجوم⁽⁶⁾ من طرف القبائل الليبية، وبذلك سيطر الجيش الروماني على حدود المدن الثلاث فيما بين كيدامس وجولايا⁽⁷⁾ «بونجيم» وقد أكدت النقوش التي عُثر عليها في مناطق الحصون هذه الحقيقة⁽⁸⁾.

وكانت الفرقة الأغسطية الثالثة تتكون في الأصل من المواطنين الحاصلين على حقوق المواطنة الرومانية ثم عززت الفرقة بأبناء الجنود الذين ولدوا في أفريقيا من أمهات أفريقيات⁽⁹⁾ ويرجح بعض الباحثين⁽¹⁰⁾ أن الفرقة الأغسطية الثالثة

Cary, M. And Scullard, H. H., Op. Cit., Pp. 438, 647. (1)

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 71. (2)

Tacitus, Hist., Iv. 50. (3)

Ettore, R., Op. Cit., P. 16. (4)

Idem. (5)

Strabo, Geog., Xvii. 3. 25. (6)

Stan. Res. Inst., Op. Cit., P. 22. (7)

Irt., Nos. 908 - 914. (8)

Soames, J., Op., Cit., Pp. 32, 34. (9)

Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 139. (10)

أنشأها قيصر ولما ناصرت إكتافىوس أضفى عليها لقب أغسطس «AUGUSTA» عندما نظم الجيش الروماني وربما أقرها في أفريقيا منذ ذلك الوقت، وكان مقر إقامتها في بداية الأمر في أماسيدرة «AMMAEDARA» ثم انتقلت إلى تيبسا أوثيفستا⁽¹⁾ «THEVSTA» ويرجح أن الفرقة الأغسطية انتقلت في 123 م «في عهد الإمبراطور تراجان» إلى لامباسيس⁽²⁾.

وكانت قيادة الفرقة الأغسطية الثالثة تحت قيادة القنصل⁽³⁾، واستمرت كذلك حتى عهد الإمبراطور كاليجولا الذي نقل القيادة العسكرية إلى ضابط يعينه الإمبراطور وله سلطات عسكرية وإدارية في المناطق التي ترابط فيها قواته⁽⁴⁾.

إضافة إلى الفرقة الأغسطية الثالثة سألقة الذكر وجدت القوات المساعدة⁽⁵⁾ «AYXILIA» التي كانت تجند من سكان الولايات المختلفة في الإمبراطورية⁽⁶⁾ إذ يلاحظ وجود اسم جندي من مدينة لبدة الكبرى كان من بين الجنود الذين رابطوا بتوخيرا في إقليم قوريني عام 18 ق م⁽⁷⁾، ويرى بعض الباحثين⁽⁸⁾ أن هذا الجندي كان تابعاً لفرقة معدة للطواريء تحمل اسم مدينتها.

ومن الفرق المساعدة التي يرجح أنها تمركزت في مناطق المدن الثلاث الكتبية السورية التي يختلف الباحثون في المكان الذي عسكرت فيه إذ يرجح أن موقعها كان في أورو (العوينية) أو عند مزدة أو ثينتيس حيث إن هذه المواقع تشكل ممراً طبيعياً نحو العوينية باعتبارها مصدراً للقوات العسكرية اللازمة لمناطق الحدود⁽⁹⁾.

C. A. Hist. Vol. XI, P. 146.

(1)

Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 139.

(2)

Wells, J. And Barrwo, R. H. Op. Cit., P. 42.

(3)

Cary, M. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 366.

(4)

(5) حول القوات المساعدة انظر

عبدالكريم فضيل الميار، قوريني في العصر الروماني، الطبعة الأولى، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1978 م، حاشية 7، ص 70.

Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 141, Graham, W., Op. Cit., Pp. 142ff.

Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 139.

(6)

Supplementum Epigraphicum Graecum, Vol. IX "Inscriptions Of Cirenaica".

(7)

Kraeling, C. H., Ptolemaies City Of The Libyan Pentapolis, Chicago, 1960, P. 16.

(8)

Mattingly, D. J., lrt., 895 And 896. "Two Inscriptions From Gheriat El-Garbta," Lib.

(9)

Stud Vol. 16, 1985, P. 72

ويرجح بعض الباحثين أن فرقة الرماة الأولى قد عسكرت في المدن الثلاث قبل القرن الثاني الميلادي، وبقيت هناك إلى القرن الثالث الميلادي تقريباً⁽¹⁾.

ولعل ما يؤكد دور القوات المساعدة أن أحد جنودها وهو تكفريناس استطاع الوصول إلى رتبة ضابط وأن يكتسب خبرة الرومان الحربية واستغلها في حربيهم⁽²⁾ واعتباراً من منتصف القرن الثاني - الفرق المساعدة في أفريقيا جلّها من سكان البلاد⁽³⁾ ولقد اهتم أباطرة الرومان بجيوشهم سواء الفرقة الأغسطية أو الفيالق المساعدة⁽⁴⁾ من ذلك زيارة الإمبراطور هادريان لقواته وإشادته بالفرقة الأغسطية وقد أنشأت الحامية نصباً تذكاريّاً نُقشت عليه بعض خطب الإمبراطور الموجهة للقوات العسكرية⁽⁵⁾.

وكانت الفرقة الأغسطية والفرق المساعدة تتكون من سرايا المشاة وفرق الفرسان⁽⁶⁾ ويؤكد أميانوس⁽⁷⁾ على قدرة الفارس الإفريقي وسرعته في مهاجمة العدو ويعتمدون على سرية الهجوم أكثر من اعتمادهم على القتال المنظم وتبين عمليات المدن الثلاث الأسلحة التي كانت تُستخدم خلال العصر الروماني وأهمها الرماح والحرايب والتروس والقوائم الثلاثية⁽⁸⁾ «TRIPODES» والسهام والأقواس⁽⁹⁾.

ومن أهم الأعمال المنوطة بالجيوش الرومانية حماية الحدود الجنوبية عن طريق دفع القبائل نحو الصحراء⁽¹⁰⁾ وبناء الطرق والجسور وشق القنوات وإنشاء المدن⁽¹¹⁾ وطبع المنطقة بالطابع الروماني⁽¹²⁾.

- (1) Ibid. Pp. 72, 74.
- (2) Tacitus, Ann., II. LII.
- (3) Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 339; Soames, J., Op. Cit., P. 34.
- (4) Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 340.
- (5) Cil., Vol. VIII, No. 2532.
- (6) C. A. Hist., Vol. X, P. 230; Lewis, N. And Reinhold, M., Op. Cit., P. 508.
- (7) Ammianus Marcellinus, Hist., XXIX. 5; Diodorus Siculus, XIV. 69; Caesar, De Bello Africano, VII.
- (8) Jenkins, G. R., "Som. Anc. Corn. Lib. Trip.", Op. Cit., P. 34.
- (9) محمود القيس ومحمود إبراهيم دليل متحف الآثار بالسرايا الحمراء بطرابلس ص 215.
- (10) Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 319.
- (11) Lewis, N. And Reinhold, M., Op. Cit. P. 509.
- (12) Wells, J. And Barrow, R. H., Op. Cit., Pp. 42 - 43.

الفصل الثاني

نظم الدفاع السفيرية

أولاً: الحصون.

ثانياً: مزارع الحدود.

ثالثاً: الطرق.

يعتقد بعض الباحثين⁽¹⁾ أن الرومان بدأوا في وضع نظم دفاعية ثابتة منذ عهد الإمبراطور كمودس 180 - 192 م. ومع ذلك ليس لدينا ما يؤكد وجود حدود واستحكامات ثابتة قبل العهد السفييري⁽²⁾ بالنسبة للمدن الثلاث على وجه الخصوص ولكن بعد الحملة التي وجهها سيفيروس ضد القبائل الليبية⁽³⁾ بدأ في وضع أسس ثابتة للدفاع⁽⁴⁾ استكملها خلفاؤه من بعده⁽⁵⁾ وكانت تتكون من ثلاثة خطوط دفاعية رئيسية تمتد من حصن تاميلفي⁽⁶⁾ على حافة بحيرة تريتوس إلى لعدة الكبرى⁽⁷⁾ وتستمر نحو الشرق إلى حصن جولايا ومنه إلى منطقة جسر التراب بالقرب من قوريني وتمتد خطوط الدفاع لمسافة تزيد عن (650) ميلاً أو ما يزيد عن (1000 كيلومتر)⁽⁸⁾ ويعتبر القسم الأوسط الممتد من ماكوماكا «سبخة تاورغام»

Ettore, R, Op Cit, P. 15; C. A. Hist., Vol. XII, P. 20; Vol. XI, P. 146; Juljen, Ch. (1)
A, Op. Cit, P. 135

Goodchild, R. G. Lib. Stud. ed Reynolds, Op Cit, P. 18 (2)

Aulus Spartianus Severus, I 18, Aurelius Victor, Caes., Xx 19. (3)

Goodchild, R. G. And Wardperkins, "Lim. Trip. Lig. Rec. Dis.," Op. Cit., Pp. 8, - (4)
95

Dep. Antiq. Lep. Mag., Op. Cit., P. 17 (5)

(6) حديثاً تقيم على حافة شط الجريد في تونس وفي رأي آخر ربما تكون قابس

Gagnat, R. A., La Frontiere Militaire De La Tripolitaine A L'Epoque Romaine, Paris, (7)
1912.

Goodchild, R., Lib. Stud., Ed Reynolds, Op. Cit., P. 17. (8)

حتى غرب صبراتة من أهم مناطق الثغور من الناحيتين التاريخية والجغرافية لأنه يمثل خط الدفاع الفعّال للمدن الثلاث في مواجهة هجمات القبائل الليبية المسيطرة على المناطق الجنوبية وفي ذات الوقت يوفر الحماية اللازمة لمناطق حراثة الزيتون الذي يشكل أهمية اقتصادية كبيرة للمدن الثلاث⁽¹⁾.

ويعتقد بعض الباحثين أن التخوم قد أنشئت لمواجهة حقيقة واقعة أكثر من تهديد محتمل نتيجة لازدياد الضغط من السكان الرحل على التخوم⁽²⁾.

وكان هذا النظام في حقيقته عاملاً دفاعياً في العمق ويعتبر ضرورياً لتوجيه التحرك العسكري نحو الحدود حيث تتمكن المخافر الأمامية من إعاقه المهاجمين حتى تستطيع القوات الاحتياطية التجمع خلف مناطق الحدود⁽³⁾.

وكان أساس النظام الدفاعي الذي ابتدعه سفيروس يتكون من ثلاثة خطوط دفاعية مترابطة مع بعضها البعض بحيث شكلت وحدة دفاعية متكاملة وأهمها:

أولاً: الحصون

«انظر الخريطة شكل 3». كانت منطقة الدفاع الأولى تتكون من مجموعة من الحصون الكبيرة التي تشكل أبعد الخطوط الدفاعية نحو الجنوب وتمثل أقصى اتساع جنوبي للسيطرة الرومانية⁽⁴⁾ وكانت أهم الحصون من الشرق إلى الغرب حصن جولايا «بونجيم» وقد عُثر على عدة وثائق تشير إلى الاسم القديم لمنطقة الحصن ومن أهم هذه الوثائق أحد النقوش في معبد الحصن يقدم فيه يوليوس ديجنوس الشكر لسلالة المحلي إله جولايا «GENIO GHOLATA» ويرجع تاريخ النقش إلى عام 201م ونقش آخر يفيد حضور الفرقة الأغسطسية لبناء حصن في جول، وكذلك بمناسبة ترميم مقر القيادة عام 248م أعدت الفرقة نقشاً آخر يفيد أن القائد كان على رأس الفيلق الجولي يضاف إلى ذلك كله أن عدداً من كسر الفخار كانت تحمل اسم جولاس⁽⁵⁾ ويعتبر حصن جولايا من أهم الحصون الرومانية في المنطقة.

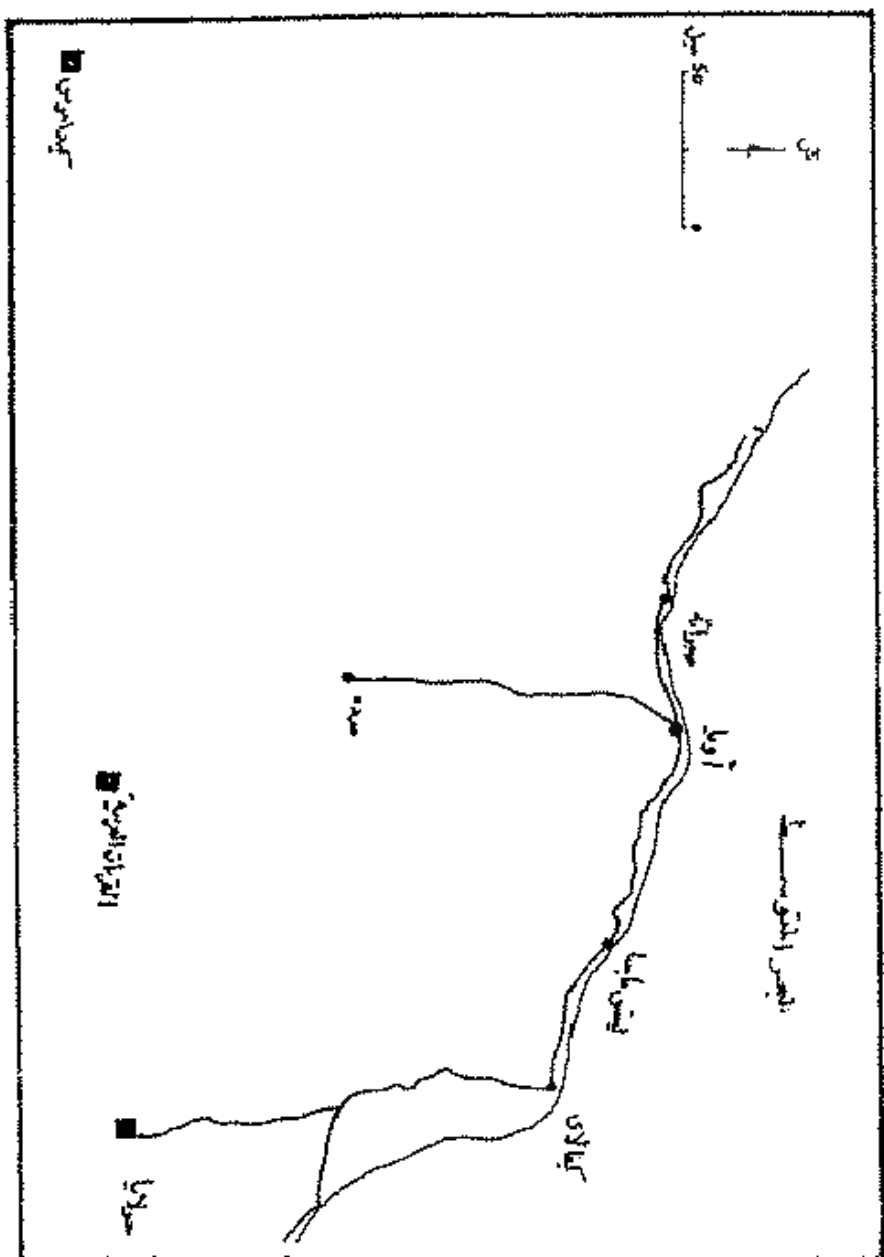
Trousset, P., Recherches Sur Les Limes Tripolitaniens... A La Frontiere Tunisie (1) Libyene, 1974, P. 143, Goodchild, R. G. Lib. Stud. Ed. Reynolds, Op. Cit., P. 17

Ibid, P. 18 (2)

Warrington, B. H., Nor. Afr. Prov. Dioc. Van Con, Op. Cit., P. 20. (3)

Goodchild, R. G., "Oas. For Leg. In Aug. Rout. Fez.", Op. Cit., Pp. 56 - 68. (4)

Rebuffat, R., «Gholata», Op. Cit., P. 135ff (5)



شكل (3) الحصون الرومانية الرئيسية
 المؤلفان: GOODCHILD R.G. LIBYAN STUDIES.
 ED., REYNOLDS J.,

أولاً: لأنه يسيطر على عدد من الطرق التجارية والعسكرية خصوصاً المتجهة إلى غزان⁽¹⁾ والمناطق الأخرى شرق الحصن وغربه⁽²⁾.

ثانياً. يرتبط مع بعض الحصون الأخرى الصغيرة أهمها حصن قصر زيرزي الذي يقع إلى الغرب من حصن جولايا⁽³⁾ كما يرجح ارتباطه مع حصنين صغيرين تم العثور عليهما في واحة زله⁽⁴⁾.

ثالثاً: من خلال المكتشفات الأثرية عُثر على حجرة كاملة وهي الأولى من نوعها في المعسكرات الرومانية من حيث الاستعداد وقد كانت تحصر فيها المستندات وهذا يدل على أن معسكر جولايا كان قاعدة مركزية للمناطق المجاورة ولذلك كانت الأوامر والقرارات ومسك الدفاتر وحفظ المستندات الإدارية ومخاطبة المراكز المجاورة في الأمور العسكرية من اختصاصه⁽⁵⁾.

ويرجح أن حصن جولايا قد أنشئ فيما بين عام (201 / 202م) في عهد سبتيميوس سيفيروس⁽⁶⁾ ويعتقد بعض الباحثين⁽⁷⁾ أن الفرقة الأغسطية الثالثة بقيادة يوليوس ديجنوس هي التي شيدت الحصن عند وصولها إلى جولايا عام 201م كما أنشأت الحمامات بسبب ارتفاع الحرارة ويأمر من قائد المائة أفيدوس كونيديانوس وأستكملت عام 202⁽⁸⁾ وقد اكتمل اكتشاف النقوش الأربعة التي كانت تزين مداخل الحصن وهي مهداة إلى أفراد الأسرة السعيرية⁽⁹⁾ وقد كُشف عن الكثير من مرافق

(1) Goodchild, R. G., Tib. Imp. Rom. Lep. Mag., Op. Cit., P. 6.

(2) Brogan, O. "Notes on the Wadis Nema and Beir - Kabir And Some Predesert Tracks" Lib. Antiq., Vol. ii, PP. 57 - 64.

(3) Brogan, O. And Reynolds, J., "Inscriptions From The Tripolitanian Hinter Land," Lib. Antiq. Vol I 1964, P. 44

(4) Rebuffat, R., "Graff. Lib. Bun. 1971," Op. Cit , Pp. 190ff.

(5) Bukar, T. , "Arc. New.," Lib. Antiq., Vol. V, P. 204.

(6) It., No. 915, Law, R. C. C. Op. Cit , P. 193.

(7) وهناك رأي آخر يذكر أن كويندوس أبكيوس فاسوس «quintus Anticius Faustus» قائد فيلق أغسطس الثالث قد شيد الحصن فيما بين 200 - 201 انظر

Haynes, E. L. , Op. Cit , P. 140.

(8) Rebuffat, R., "L'Arrivée Des Romains Á Bunjem" Lib. Antiq., Vol. ix - X, 1972 - 1973, Pp. 128ff

(9) Rebuffat, R., "Les Inscriptions Des Portes Du Camp De Bunjem," Lib. Antiq., Vol. ix - X, 1972 - 1973, Pp. 99ff. Et Pls. Xlii - Xliv

الحصن أهمها مركز القيادة في الحصن الذي شغل وسط الحصن بالكامل إذ تحده الحمامات العامة من الشمال ومقر إقامة أمر المعسكر من الجنوب وتوجد الثكنات العسكرية على جانبي الحصن من الشرق والغرب، وفي الناحية الغربية كان هناك اثنان من المخازن طولهما (15 متراً وعرضهما 6 أمتار)، ويرجح استخدامهما لتخزين الغلال والمواد الأخرى اللازمة للجنود والعاملين بالحصن⁽¹⁾، وفي نفس القسم المركزي مقر مخصص لحفظ الرايات والشارات العسكرية⁽²⁾، ومقر الاجتماعات ومنبر يُستخدم للمحاكمة والخطابة ويعتقد أن الحصن قد رُمم عام 248م⁽³⁾، ومن الملاحظ أنه تم العثور على بقايا مدينة رومانية بالقرب من الحصن تتكون من مساحة كبيرة ويدل الفخار الذي عُثر عليه بالقرب منها أن أودية المناطق المجاورة للمدينة والحصن كانت مستغلة زراعياً خلال العصر الروماني⁽⁴⁾.

وفي أقصى الجنوب الغربي يقع حصن كيدامس الذي يسيطر على مجموعة من الطرق التجارية بهدف حراستها⁽⁵⁾، وقد اختلفت المراجع في مؤسس هذا الحصن حيث إن بعضها ينسبه إلى كاركلا⁽⁶⁾، والبعض الآخر ينسبه إلى عهد سبتيميوس سيفيروس⁽⁷⁾، ورغم العثور على الكثير من الفخار الروماني في المنطقة إلا أن موقع الحصن لم يتم تحديده⁽⁸⁾، ويرجح أن الفرقة الأغسطية الثالثة هي التي قامت بإنشاء الحصن حيث إن عدداً من النقوش التي تم العثور عليها تشير إلى ذلك⁽⁹⁾.

والحصن الثالث الهام الذي يربط بين الحصنين السابقين هو حصن القريات

(1) Rebuffat, R., "Bunjem, 1972", Lib. Antiq., Vol. XIII - XIV, 1976 - 1977, Pp. 38, 42, 44

(2) Baker, T., "Arc New", Lib. Antig., Vol. V P 203.

(3) Rebuffat, R., Gassend, J. M., Guery, R. Hallier, G., "Bunjem 1968", Lib. Antiq., Vol. VI - VII, 1969 - 1970, Pp. 9ff.

(4) Rebuffat, R., "Bunjem 1968", Lib. Antiq., Vol. VI - VII, 1969 - 1970, Pp. 21ff; مله باقر وأخبار أثرية، مجلة لسيا القديمة، المجلدان الثالث والرابع 1966 - 1967 م ص 124 - 125

(5) Goodchild, R. G., Tab Imp Rom Lep. Mag., Op. Cit. P. 6

(6) Haynes, E. L., Op. Cit. P. 39; Dep. Antiq. Lep. Mag., Op. Cit. P. 17.

(7) مصطفى كمال عبدالمطعم، المرجع نفسه، ص 93

(8) Rebuffat, R., "Dix An Recher. Pr. Des Trp.", Op. Cit., P. 90.

(9) In, Nos 907 - 908

الغربية الذي أنشئ⁽¹⁾ في عهد الكسندر سفيريوس⁽²⁾ ومن المحتمل أن بناءه قد تم من طرف أحد كتائب الفرقة الاغسطية الثالثة⁽³⁾ على أحد المواقع المرتفعة التي يوجد إلى الجنوب الغربي منها أحد الأودية الذي خلق استقراراً في المنطقة⁽⁴⁾ وكان الحصن يتكون من أسوار خارجية ومدخل رئيسي⁽⁵⁾ وأربعة أبراج كما يوجد برج مراقبة آخر على بعد كيلومتر نحو الشرق من الحصن الرئيسي ويطل على حافة المنحدر الذي أقيم عليه الحصن⁽⁶⁾ ويتمتع البرج الذي سبق ذكره بأهمية كبيرة لسيطرته على الطرق التي تصل الحصن من الشمال ويشرف أيضاً على حصن روماني صغير في القرى الشرقية ويربط بين المخافر والحصون عند منطقة القرى⁽⁷⁾.

ويؤكد أحد النقوش⁽⁸⁾ أن حصن القرى الغربية قد تم ترميمه في عهد الإمبراطور جورديان الثالث⁽⁹⁾، وقد وضع الرومان في جميع تلك الحصون مفارز من الفرقة الاغسطية الثالثة⁽¹⁰⁾ وقد أظهرت النقوش التي أكتشفت هذه الحقيقة خصوصاً حصن جولايا⁽¹¹⁾ كما أن الكشف الأثري في الحصن الأخير يؤكد وجود القوات الرومانية به حيث تم العثور على مقر مخصص لحفظ الرايات والشارات العسكرية

(1) يرجع بعض الباحثين أن الحصن قد تم بناؤه في السنوات الأولى من القرن الثالث الميلادي اعتماداً على ذكر اسم الإمبراطور سبتيموس وابنائيه كاركلا وجيتا حول ذلك انظر:

Divita, A., "Alt. Rec. Scav. Scop. Trip. Gher.," Op. Cit., Pp. 109 - 110.

Law, R. C. C., Op. Cit., P. 193 (2)

Divita, A., "Alt. Rec. Scav. Scop. Trip. Gher.," Op. Cit., P. 109. (3)

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 141 (4)

(5) محمود النميس ومحمود أبوحامد، دليل متحف الآثار بالسرايا الحمراء بطرابلس، ص 22

(6) حول ما سمعت الإشارة إليه وكذلك عن حمامات وخنائق وأسوار القرى الغربية انظر

Jones, G. D. B. And Barker, G. W. W., "Unes. Lib. Val Sur. Iv, 1981 Seas.," Op Cit., Pp. 58 - 67.

Mattingly, D. J., "Irt. 895 And 896: Tw. Insc. Gher. Gar.," Op. Cit., P. 70 (7)

Irt., No. 896 (8)

Law, R. C. C., Op. Cit., P. 193. (9)

Goodechild, R. G., And Perkins, J. B. W., "Lim. Trip. Log. Rec. Dis.," Op. Cit., Pp (10)

4ff; Divita A., "Il Limes Romano Di Tripolitania Nella Sua Con Cretezza Archeologica E Nella Sua Realtà Storica", Lib. Antiq., Vol. I, 1964, Pp 65ff

Irt., Nos., 913 - 914. (11)

وتمثال على رأسه خودة⁽¹⁾. واستناداً إلى التكتلات العسكرية المكتشفة في الحصن يرجح أن عدد الجنود الرومان الذين كانوا يقيمون بالمعسكر يربو عددهم عن خمسمائة رجل⁽²⁾ وكانت القوات الرومانية التي بالحصن تحت قيادة توليوس رومولوس⁽³⁾ وهذا يوحي بأن الحصن كان مركزاً أساسياً وهاماً للفرقة الأغسطية تتحرك منه للقيام بالمهام العسكرية المختلفة⁽⁴⁾ ويرجح أن الجيش الروماني قد رحل عن الحصن في أواخر القرن الثالث⁽⁵⁾ الميلادي ومن الرسم الذي عُثر عليه في موقع الحمامات بالحصن يتضح أن الجيوش الرومانية التي كانت ترابط به تشمل على المشاة والفرسان⁽⁶⁾

أما عن الجيوش الرومانية في الحصنين الآخرين القريبات الغربية وكيدامس فإنه ليس لدينا معلومات وأقيه عنها ومع ذلك ربما يتضح من أحد النقوش الذي عُثر عليه في كيدامس أن الفرقة الأغسطية الثالثة⁽⁷⁾ كانت ترابط في الحصن على الأرجح كما أن بعض الباحثين⁽⁸⁾ يعتقدون بوجود حامية رومانية تحت قيادة سبتيميوس سيفيروس وابنه كاركلا.

أما فيما يتعلق بتمركز الجيوش الرومانية في حصن القريبات الغربية فقد أكد الدليل الأثري والنقوش ذلك، إذ وجدت أسماء جنود من الفرقة نفسها⁽⁹⁾.

وتؤكد النقوش التي تم العثور عليها وجود العناصر الوطنية في الحصون والمراكز الرومانية⁽¹⁰⁾ السابقة ويرجح أن تلك الحصون قد أسندت مهمة الدفاع عنها إلى العناصر المحلية بعد حل الفرقة الأغسطية الثالثة عام (238)⁽¹¹⁾ وإلى جانب

-
- | | |
|---|------|
| Baker, T, Arc. New, Lib. Antiq., Vol V, P 203. | (1) |
| Rebuffat, R., "Bunj 1972," Op. XCat, P. 38. | (2) |
| Irt, No 920 | (3) |
| Rebuffat, R., "Arriv Rom Bunj.," Op. Cit, Pp. 128ff | (4) |
| Rebuffat, R, Gassend, J M, Guery, G And Halter, G., "Bunj 1968," PP. 9ff. | (5) |
| Rebuffat, R., "Bunjem 1970" Lib. Antiq, Vol Vi-Vii. 1969 - 1970. PP. 122ff. | (6) |
| Irt, No. 908. | (7) |
| Law, R. C. C., Op. Cit., P 193. | (8) |
| Divita, A., "Alt Res Scav Scop Trip Char " Op. Cit., Pp. 100, 109 | (9) |
| Ibid, P 97 | (10) |
| Law, R. C. C., Op. Cit. P 193. | (11) |

الحصون الثلاثة الرئيسية وجدت حصون أخرى أصغر منها⁽¹⁾ ولكنها قامت بدور الربط والاتصال بين الحصون الكبرى ومن أمثلة ذلك منطقة مرده التي تعتبر منطقة نشاط عسكري⁽²⁾ وقد أشارت النقوش⁽³⁾ في منطقة أورو «العوينية» إلى وجود حاميات من الفرقة الأغسطية الثالثة منذ عهد سيفيروس، كما تؤكد النقوش وجود كتيبة عسكرية يُحتمل أن يكون العاملون بها من النبالة السوريين⁽⁴⁾، وتشير النقوش التي عُثر عليها في المنطقة إلى أسماء الرتب العسكرية في الفيلق الثالث⁽⁵⁾.

ويضاف إلى ما سبق ذكره عدة حصون صغيرة أحدها بالقرب من قصر ميمون على مقربة من بني وليد⁽⁶⁾، وحصن زيرزي على مقربة من حصن جولايا⁽⁷⁾، وقد رُود حصن زيرزي ببنّ كبير كانت تحول إليها مياه الأودية⁽⁸⁾ المجاورة كما يعتبر حصن تامليني من الحصون الهامة على حدود المدن الثلاث الغربية⁽⁹⁾، وأيضاً فرقة مساعدة في الجيش الروماني تركت تسجيلاً لأحد الحصون عند سيباوين على بعد 200 ميل نحو الجنوب الشرقي من أويا تقريباً⁽¹⁰⁾.

وبخلاصة القول إن تلك الحصون الرومانية التي رابطت فيها الجيوش الرومانية والعناصر المحلية كانت تخدم عدة أهداف رئيسية أهمها حماية الوجود

(1) Goodchild, R. G. Tab. Imper. Rom. Lep. Mag., Op. Cit., P. 6.

(2) Divita, A., "Alt. Rex. Scav. Trip. Ghar.", Op. Cit., P. 111.

(3) Irt., Nos. 856 - 858

(4) يرجع أن تكون الحامية العسكرية عند العوينية تتكون من جنود الكتيبة السورية أما أماكن إقامتها فربما عسكرت عند ثنتيوس «الريتان» أو مرده وكلاهما يكونان ممراً جيداً نحو عين العوينية لأنها تشكل مصادر طبيعية للقوات العسكرية ويرجع أن فرقة الرماة الأولى أقامت في مناطق المدن الثلاث قبل القرن الثاني الميلادي أو بقيت في مواقعها نحو القرن الثالث الميلادي حول ذلك انظر

Mattingly, D. J., "Irt. 895 - 896, Tw. Insc. Gher. Gar.", Op. Cit., Pp. 72 - 74.

(5) Reynolds, J. M. And Simpson, W. G., "Some Inscriptions From El-Auema Near Yef- ren In Tripolitania," Lib. Antiq. Vol. III - IV, 1966 - 1967, P. 45, Brogan, O. And Reynolds, J., "Seven New Inscriptions From Tripolitania" P. B. S. R., Vol. XXVIII, 1960, P. 51.

(6) Saltin, F., "Le Inscriptioni Rupestri Di Cusir Mimun," Lib. Antiq., Vol. III - IV, 1966 - 1967, P. 161.

(7) Mattingly, D. J., "Irt. 895 And 896, Tw. Insc. Gher. EL., Gar.", Op. Cit., P. 70.

(8) Rebuffat, R., "Bunj. 1970," Op. Cit., Pp. 137ff

(9) Warrington, B. H., Nor. Afr. Prov. Dioc. Van. Con., Op. Cit., P. 22.

(10) Parker, H. M. D., Op. Cit., P. 87

الروماني ومراقبة الطرق التجارية وحمايتها⁽¹⁾، وفي ذات الوقت كسّنت مراكز إنذار مبكرة للقوات الرومانية في الحصون الخلفية الصغيرة،⁽²⁾ وفيما بعد لمناطق المزارع المحصنة.

ثانياً: مزارع الحدود «خط الدفاع الثاني»

إلى الشمال من خط الدفاع الأول الذي يتكون من الحصون يقع خط الدفاع الثاني الذي أوجده الكسندر سفيروس⁽³⁾ على الأرجح وهو نظام المزارع المحصنة أقيمت في الأودية الخصبة⁽⁴⁾ انظر الخريطة شكل رقم (4)

ونتيجة لتطور نظام الجندية في عهد سبتيميوس سفيروس سمح لجنود الكتائب بالسكن مع زوجاتهم والقدوم إلى المعسكر للتمرين فقط، وادى ذلك إلى نمو القرى المجاورة للمعسكرات، ولما كان هؤلاء الجنود لا يفكرون في مغادرة البلاد عند التقاعد خصوصاً الإفريقيين منهم فقد استقرت أعداد كبيرة منهم في القرى المجاورة للمعسكرات التي أصبحت بمرور الزمن مراكز هامة، وكان على أولئك الجنود مساعدة رفاقهم في سلك الجندية عند الحاجة⁽⁵⁾

وعندما تولى الاكسندر سفيروس مقاليد الإمبراطورية اهتم بنظام التخوم، ولذلك أقام الجنود المتقاعدين من الجيش الروماني في مناطق التخوم الزراعية وأطلق عليهم الليمينثاني وكانت غالبيتهم من قدماء الجنود الليبيين الذين أنهوا خدمتهم في الجيش الروماني وقد وزع عليهم الاكسندر سفيروس الأراضي الزراعية في مناطق الوديان مع المساعدات اللازمة المتمثلة في العبيد والمواشي

Rebuffat, R. "Zella Et Les Routes D. Egypte," Lib. Antiq., Vol Vi - Vii, 1969 - 1970, (1)
Pp. 185 - 187

Mattingly, D. J. , "Int. 895 - 896, Tw Inc Gher. EL. Gar.," Op. Cit. , P. 70. (2)
(3) انظر ص 199

مع ذلك لا يعتقد بعض الباحثين أن إنشاء مزارع الحدود قد تم في عهد الاكسندر سفيروس انظر
Jones, G. D. B. And Barker. G. W. W. , "Unes. Lib. Vall, Sur Iv, 1981 Seas.," Op.
Cit. , P. 52.

(4) يرى بعض الباحثين أن سبب قيام المزارع المحصنة في العصر الروماني راجع لقرار الليبيين عن الاستقلال الروماني، انظر
محمد الجراي، الاستيطان الروماني في ليبيا، المرجع نفسه، ص 34

Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 142. (5)

والدواب والدواجن، وإعفانهم من الضرائب مقابل التعهد بالدفاع عن مساطقهم من هجمات القبائل الليبية⁽¹⁾.

ومع أن النظام الذي وضعته الأسرة السفيرية كان الهدف منه حماية حدود المدن الثلاث من هجمات القبائل الليبية المقيمة خارج نطاق السيطرة الرومانية⁽²⁾ إلا أن الأمور كانت مستقرة في بداية العمل به، وهذا يبدو واضحاً من وجود المزارع غير المحصنة فيما بين لبدة الكبرى ومسيب⁽³⁾ والتي تدل آثارها على السلام الذي كان يسود المنطقة وقد وضحت ذلك جيداً مناظر القمع في مزارع تيجي غير المحصنة التي تعود للقرن الثالث الميلادي⁽⁴⁾ وكانت المزارع المفتوحة «غير المحصنة» قد اشتملت على قناة واسع مفتوح وقد بُنيت هذه المرافق مجاورة لطمي الوادي⁽⁵⁾.

وتوضح دراسات اليونسكو أن المزارع المفتوحة في الأودية الليبية امتدت في المواقع المنخفضة مجاورة لطمي الوادي ويتراوح تاريخها من أواخر القرن الأول الميلادي إلى بداية الثالث⁽⁶⁾ ويعتقد بعض الباحثين⁽⁷⁾ أن الوديان الزراعية اعتمدت على الفخار المكتشف قد سُقلت منذ النصف الأخير للقرن الأول الميلادي وأن التطور قد حدث منذ عهد فالينتيان الذي وضع أسس علاقات طيبة مع الجرامنت وأن هذه العلاقات أدت إلى تطور النظم الزراعية، ويرى فريق آخر من الباحثين⁽⁸⁾ استناداً إلى النقوش البونيقية في شبه الصحراء أن الفلاحين المحليين نقلوا معهم لغتهم إلى شبه الصحراء، وربما الزراعة في أودية المنطقة قد نالت تشجيعاً من ملوك نوميديا الذين تميزوا بتشجيعهم للزراعة ولأوجه الحياة

Brogan, O. And Smith, D. J , Ghur. Lib. Sett Rom Per , Op. Cit., P. 228, Warming-(1)
ton, B. H., Nor. Afr. Prov. Dioc. Van. Con., Op. Cit., Pp. 23 - 24.

Ettore, R., Op. Cit , P. 15.

Goodchild, R. G., Tab Imp. Rom. Lep. Mag., Op. Cit., P. 6

Brogan, O , "Cam. Rom Trip." Op. Cit., P. 130.

Vanderveen, M , "Unes Lib Val Sur X" Op. Cit , P. 15.

I Dem.

Barker, G W. W. And Jones, G D. B., "Unes. Lib. Val Sur 1979 - 1981," Op. Cit , (7)
P7

Brogan, O., "Some Ancient Sites In Eastern Tripolitania," Lib. Antiq., Vol., Xiii - (8)
Xiv, 1966 - 1967, P. 125.

الاقتصادية بصيغة عامة، ثم كان من النتائج المباشرة العائدة من إقامة العسكريين الرومان في كثير من الحصون والمراكز ومحطات الطرق أن تحول هؤلاء الجنود إلى مستهلكين جدد لمنتجات الفلاحين وربما يفسر هذا ازدهار مزارع الوديان الجنوبية في الفترة الأولى من القرن الثالث⁽¹⁾ ثم أُستبدلت هذه المزارع وتطورت إلى مزارع محصنة والتي حُطمت أغلبها بواسطة السكان الليبيين⁽²⁾.

ويبدو أن المزارع المحصنة شكّلت القسم الأكبر من مزارع الوديان، إذ انتشرت على نطاق واسع في وسط الأودية أو على حوافها، وكانت مبانيها تتكوّن من طابقين أو أكثر على شكل قلعة أو برج⁽³⁾. وأحياناً تطوّق بخندق عريض وتُحَقّق بها معاصر الزيتون والأشربة التذكارية في العادة⁽⁴⁾، وكان فتاء القصر يُستخدم لتقييد الحيوانات التي كانت حظائرها تقع أمام القصر مباشرة ومن أمثلة ذلك إحدى الحظائر بالقرب من قصر شديوة، وكانت تلك الحظيرة محاطة بسور ارتفاعه حوالي مترين وقد وُجد بداخلها أربع خزانات مياه وعدد آخر نحو شمالها الشرقي⁽⁵⁾.

وقد أُستخدم القصر كمستودع للزيتون وزيتته وعلى الأرجح للخمر والحبوب وأغلاف الحيوانات وبقية المواد الغذائية، كما أُستفلت القصور كمواقع للتوزيع القمح والزيت والحبوب إضافة إلى ذلك شكّل القصر نقطة مركزية للماء والقوة البشرية وكانت تُشحن من القصور الحبوب والزيوت والخمور إلى المناطق الساحلية⁽⁶⁾.

ولقد أقيمت القصور في الأماكن المرتفعة التي يمكن الدفاع عنها وفي ذات

(1) Ibid, P. 126

(2) Barker, G. W. W. And Jones, G. D. B., "Unes. Lib. Val Sur 1979 -- 1981," Op. Cit., Pp. 6 - 7, 20 - 21.

(3) وفي كثير من الأحيان كانت القصور عبارة عن مبنى مربع تحيط به الحجرات وله باب خارجي ومبنى مرتفع يستعمل كبرج مراقبة انظر:

محمد الجبراري «موقف القائل الليبي من الفتح الروماني» المرحّج نفسه، ص 74.

(4) Brogan, O., "Som. Anc. Sit. Eas. Trip.," Op. Cit., Pp. 104ff, 111 - 112.

(5) Jones, G. D. B. And Barker, G. W. W., "Unes. Lib. Val. Sur. Iv, 1981. Seas" Op. Cit., Pp. 53 - 54.

(6) Vanderveen, M., "The Ghirzaplant, Remains, Romano - Libyana Agriculture In Tri-politanian Pre. Desert," Lib. Stud., Vol. 12, 1980 - 1981, P. 35.

الوقت تكون قريبة من طمي الوادي⁽¹⁾ بقدر المستطاع

ويضاف إلى مباني المزارع المحصنة التي أقيمت على جوانب الوديان⁽²⁾ عدد آخر بُني عند مناطق التقاء مجموعة من روافد الأودية لأن الحراثة تكون متيسرة ومن أمثلة ذلك مباني فاشية الحبش «FASCHIET ELHABSH» في وادي المردوم وقصر الخنافس في وادي شطاف⁽³⁾ ووديان غوبين وميمون ولأموت⁽⁴⁾.

ويبدو أن وجود أعداء وحروب في أوائل القرن الثالث الميلادي هي التي دفعت السكان إلى تغيير طبيعة مبانيهم بحيث تخلوا عن مباني المزارع المفتوحة وشيدوا مباني محصنة على هيئة فلاع أو أبراج تحيط بها الخنادق والأسوار⁽⁵⁾.

ومن أجل القيام بزراعة تلك الوديان التي قامت فيها المزارع المحصنة كانت العناية منصبة في التغلب على الطبيعة لغرض الاستفادة من مياه الأمطار خصوصاً تلك التي كانت تضيع في المناطق الصخرية شديدة الانحدار. لذلك استخدمت السدود والصهاريج والمصاطب والخنادق لتجميع المياه والاستفادة منها مباشرة في الزراعة أو جعلها تتسرب إلى أعماق الأرض تدريجياً⁽⁶⁾ وقد حاول بعض الباحثين إثبات العلاقة بين كمية المياه المتوفرة وحاجة الإنسان والحيوان التي استطاع بها أن يقدر حجم السكان وعدد مواشيهم⁽⁷⁾ في بعض المناطق.

وقد اعتمد الانتشار الزراعي في منطقة التخوم على تجميع أكبر قدر من المياه وإتاحة الفرصة للتربة لامتصاص أكبر كمية من المياه وعليه بُدلت الكثير من

(1) Vanderveen, M. "Unes. Lib. Val. Sur. X," Op. Cit., Pp. 15 - 27

(2) Goodchild, R. G., Lib. Stud., Ed. Reynolds, Op. Cit., P. 7.

(3) وقد أقيمت المزارع المحصنة في الوديان العريضة على قمم المرتفعات، انظر

Vanderveen, M., "Ghir. Plan. Rem. Rom. Lib. Agr. Trip. Pre - Des.," Op. Cit., P. 22.

(4) Larond, A., "Roman Agricultural Development In Libyan And Its Impact On The Lib-
byan Roman Economy Before The Arab Conquest," Lib. Antiq. Unesco, 1986,
Printed In France, P. 15

(5) Jones, G. D. B. And Barker, G. W. W., "Unes. Lib. Val. Sur. Iv, 1981 Seas.," Op. Cit., P. 54

(6) هانس فايس، المرجع نفسه، ص 173.

(7) Barker, G. W. W. And Jones, G. D., "Unes. Lib. Val. Sur. 1979 - 1981," Op. Cit., PP. 1ff.

الجهود لحفر الآبار وجمع مياه الأمطار من خلال السطوح الصخرية⁽¹⁾، وكانت أهم الوسائل التي استخدمت لهذا الغرض هي:

السدود:

كان الاهتمام الأكبر في نظام زراعة التخوم منصّباً على توفير المياه والمحافظة عليها ومن أهم الوسائل المستخدمة لهذا الغرض بناء شبكة كبيرة من السدود عبر أودية المنطقة وهي تختلف باختلاف الأودية والمناطق التي أنشئت فيها، فقد وضعت بقايا السدود في قرزة بأنها سدود عريضة وقوية شيدت من حجارة صغيرة وكانت تمتد عبر الأودية وروافدها⁽²⁾.

واصطلاح السدود لا ينطبق على نظام المحافظة على المياه في المنطقة إذا نظرنا إلى ما يحمله هذا المصطلح من معنى كبير لأن سدود المنطقة عبارة عن أسوار أو جدران بُنيت من قوالب وربما لا يزيد ارتفاع هذه الأسوار أو السدود عن مترين وكان الغرض الرئيسي منها ترسيب التربة ومنعها من الانحراف وإتاحة الفرصة للمياه بالنفاذ خلالها حتى تتشبع بالرطوبة للاستفادة منها في الزراعة⁽³⁾ وتنمية النباتات والأشجار الرعوية.

ومن الأغراض الأخرى للسدود السيطرة على المياه والتحكم فيها⁽⁴⁾ للاستفادة منها في قيام اقتصاد مختلط⁽⁵⁾ «زراعي/ حيواني» كما أن الجدران عبر الأودية تم الاستفادة منها في تخطيط الأرض الزراعية كما يتضح في بعض المواقع الزراعية التي تلتقي فيها الأودية مع بعضها مثل وادي العمود⁽⁶⁾ عند

(1) Jarond, A., "Rom. Agr. Dev. Lib. Imp. Lib. Rom. Econ. Arab. Con.," Op. Cit., PP 15 - 16.

(2) Vanderveen, M., "Ghir. Plan Rem., Rom. Lib. Agr. Trip. Pre - Des.," Op. Cit., PP 11.

(3) Jarond, A., "Rom. Agr. Dev. Lib. Imp. Lib. Rom. Econ. Arab. Con.," Op. Cit., P. 6.

(4) Teming, A. M. And Burns, J. R., "The Field System And The Sluces, Lib. Stud., (4) /ol. 15, 1984, P. 32.

(5) Vanderveen, M., "Ghir. Plan. Rem., Rom. Lib. Agr. Trip. Pre - Des.," Op. Cit., P 3.

(6) يرجع أن وادي العمود كان من السودان التي شُغلت لفترة طويلة لأن يعتبر من الوديان الزراعية الخاصة انظر

rogan, O., And Reynolds, J. M., "Ins. Trip. Hint.," Op. Cit., Pp 54 - 55.

التقاء يسوادي أم الباجل⁽¹⁾ ومن المهام الأخرى للجدران عبر الأودية التحكم في الحيوانات وحماية المزروعات منها⁽²⁾ وقد دلت البقايا الأثرية على وجود الأسوار عبر قيعان الأودية في الكثير من مناطق المدن الثلاث مثل أودية زمزم وسوق الجين⁽³⁾ وغويين⁽⁴⁾ وفيدراج⁽⁵⁾ وأم الأجرام وقرزة والمردوم ومنصور⁽⁶⁾، ولم تقتصر البقايا الأثرية على الوديان السابقة بل توجد في الكثير من الوديان الأخرى مثل وادي نفيد وأم الخراب⁽⁷⁾ ووديان ميمون⁽⁸⁾ ولأموت⁽⁹⁾، وإضافة إلى الأسوار أو الجدران

(1) يعتبر نظام السدود من أهم الآثار الباقية في وادي أم الباجل وقد غرت السدود الملتوية به سروداً هاماً من المياه كما احتوى هذا الوادي على الجدران الفرافسة، كما وجدت عدة مهابرج في الجانب الشرقي من الوادي التي احتوت على قنوات مائية ضخمة لتغذية المهابرج من مجرى الوادي انظر Fleming, A. M. And Burns, J. R., "Fiel Syst. Stud.", Op. Cit., Pp. 32 - 42.

(2) Gilbertson, D. D., Hayes, P. P., Barkek, G. W. W. and Hunt, C. O., "the Unesco (2) Libyan Valleys Survey Vi": Lib. Stud., Vol. 15, 1984 Pp. 63 - 66; Brogan, O., "Had. Claus. Trip. Greb. Gar. Sout. Asab.", Op. Cit., P. 50.

(3) Barker, G. W. W., Gilbertson, D. D., Griffin, C. M., Hayes, Pp. And Jones, D. A., (3) "Unes. Lib. Vall., Sur. V. Sed. Log. Prop. Hol. Wad. FL. Plat. Dep. Tnp. Nor.-Wes. Lib.", Op. Cit., Pp. 69 - 84

(4) يذكر بعض الباحثين أن مجموع مساحة الأسوار عبر أراضي الوادي تصل إلى (65) هكتاراً حول ذلك انظر

Barker, G. W. W. And Jones, G. D. B., "Unes. Lib. Vall. Sur. 1979 - 1981," Op. Cit., P. 15, Fig. 10.

(5) Dorsett, J. E., Gilbertson, D. D., Hunt, C. O. And Baker, W. W., "The Unesco Li- (5) byan Valleys Survey Vi.", Lib. Stud., Vol. 14, 1983, PP. 71 - 73

(6) Jones, B. And Barker, G., "With Acontnbution By Hayes, P.", "The Unesco Libyan (6) Valleys Survey, Lib. Stud., Vol. 11 1979 - 1980 PP. 19, 23, 30.

(7) Vanderveen, M., "Ghir Plan Rem. Rom. Lib. Agr. Tnp. Pre - Des." Op. Cit., P. (7) 33

(8) Larond, A., "Rom. Agr. Dev. Lib. Imp. Lib. Rom. Econ. Arab. Con." Op. Cit., P. (8) 16.

(9) يقدر بعض الباحثين السدود التي احتوى عليها الوادي بطول (50) هكتاراً والتي عن طريقها أمكن إيصال المياه إلى الحقول للمزيد عن ذلك انظر

Barker, G. W. W. And Jones, G. D. B., "Unes. Lib. Vall. Sur. 1979 - 1981" Op. Cit., Pp. 16 - 17

التي تنتشر في قيعان الأودية لتعترض اندفاع المياه، وجدت أسوار جانبية يرجح أن مهمتها إعاقاة الحجارة ومنعها من الانجراف نحو الأراضي القابلة للحراثة في بطون الوديان⁽¹⁾، كما اهتموا بالمصاطب لزيادة الأرض القابلة للزراعة وحماية الأشجار من الانجراف⁽²⁾ وكانت هذه المصاطب منتشرة في الكثير من الوديان⁽³⁾.

أما الصهاريج فقد لعبت دوراً هاماً في تجميع المياه والمحافظة عليها إذ أقيم الكثير منها في عدد من مناطق الوديان وكانت تستمد مياهها من مجاري الأودية عن طريق قناة مائية كما في وادي أم الباجل⁽⁴⁾، وفي أحيان كثيرة استخدموا الحواجز لجمع المياه وتوجيهها نحو الصهاريج التي اكتشفت في المنطقة⁽⁵⁾.

إضافة للصهاريج كانت توجد خزانات كبيرة وساحجام مختلفة عند ملتقى الوديان الهامة ويرجح أنها تهدف إلى تخفيف قوة اندفاع الفيضانات الكبيرة⁽⁶⁾، ولم تتوقف النظم الزراعية على الوسائل السابقة، بل يضاف إليها الأخاديد التي كانت تحفر في الأراضي الزراعية حول سطح الأرض للعناية بها⁽⁷⁾، ونتيجة لتلك الأنظمة انتشرت الزراعة في معظم الأودية والهضاب القابلة للحراثة أو الاستصلاح، ويرجح الباحثون أن جلّ العمل قامت به العناصر المحلية وليست الرومانية، وهذا يظهر جلياً من النقوش البونيقية التي تشير إلى استقرار العناصر المحلية في مناطق الحدود ابتداءً من القرن الأول الميلادي⁽⁸⁾، ثم أ - أكثر إقامة وعددا واستخدموا محاصيل وأساليب جديدة من أجل إنتاج فائض من المحاصيل خصوصاً المواد الغذائية لتسويقها في المدن الساحلية مقابل بضائع خارجية ومحلية مثل القُحار⁽⁹⁾.

-
- (1) Brogan, O., And Smith, D. J., *Ghr. Lib. Sett. Rom. Per., Op. Cit., P. 46.*
 - (2) Goodchild, R. G., *Lib. Stud., Ed Reynolds., Op. Cit., P. 6.*
 - (3) *Ibid., PP 5, 9.*
 - (4) Barker, G. W. W. And Jones, G. D. B., "The Unesco Libyan Valleys Survey VI. Investigation Of Roman Libyan Faram. Part. I," *Lib. Stud., Vol , 15, 1984p. 32.*
 - (5) Vanderveen, M "Unes. Lib. Val X Bot Evid. Anc. Far. Pr. Des ." *Op. Cit., P 15.*
 - (6) Brogan, O. And Smith, D. J., "Ghr. Lib Sett Rom. Per.," *Op Cit., Pp. 46, 98 - 99*
 - (7) Goodchild, R. G , *Lib. Stud. Ed Reynolds, Op. Cit , P 5.*
 - (8) Divita, A., "Lim. Rom. Trip. Sua, Creet Arch. Real. Stor.," *Op. Cit., Pp, 65ff.*
 - (9) Barker, G W. W. And Jones, G. D. B., "Unes. Lib. Val. Sur. 1979 - 1981," *Op. Cit , Pp. 6, 19, 31*

ويؤكد بعض الباحثين أن التقدم الزراعي الذي حدث في منطقة الحدود كان يعتمد على الليبيين بدليل استمرار هذه النظم الزراعية بعد مفسدة الجيوش الرومانية للبلاد⁽¹⁾ وتوضع شواهد القبور⁽²⁾ مثل ماسوخان ونيميران ويارموره أن الأودية الرئيسية مثل سوف الجين وزمزم وبقيّة الأودية والروافد كانت محل إقامة لأعداد كبيرة من الليبيين في القرون الميلادية الأولى⁽³⁾.

ويرى بعض الباحثين⁽⁴⁾ أن الرومان قد منحوا بعض الأراضي الواقعة على الثغور لأفراد من القبائل الليبية الذين أقاموا في مناطق الحدود المختلفة وأصبحوا واضعين أيديهم على هذه الأراضي وتعاونوا مع السلطات الرومانية لحماية النظام حيث إن هذا التعاون كان ضرورياً لتقدم الأنظمة الزراعية والمحافظة عليها.

ولقد قامت أنواع متعددة من الزراعة داخل تلك الأنظمة الزراعية ويبدو أن زراعة الزيتون قد حظيت باهتمام كبير وهذا واضح من بقايا معاصر الزيتون التي أكتشفت في عدد كبير من الأودية مثل قررة وأم الاجرام والتي احتوت مبانيتها الكبيرة والهامة على عدد من معاصر الزيتون⁽⁵⁾، كما أكتشفت مزرعة زيتون محصنة عند مسوفين على مقربة من غريان⁽⁶⁾، ومن المناطق الجبلية⁽⁷⁾ الهامة في إنتاج الزيت جبل ترهونة حيث تمّ الكشف عن عدة معاصر للزيتون والتي كانت تستخدم أحياناً في عصر العنب لإنتاج الخمر⁽⁸⁾.

Laronde, A., "Rom. Agr. Dev. Lib. Imp. Lib. Rom. Econ. Arab. Con., Op. Cit., P. 20. (1)

(2) دلت النقوش التي عثر عليها على وجود عدد من الأسماء الليبية مثل ناصيف وبديل وغيرهم انظر: Irt., Nos., 898 - 900.

Brogan, O., "First And Second Century Settlement In The Tripolitania Pre - Desert (3) Libya In History, P. 120.

Warmington, B. H., Nor. Afr. Prov. Dioc. Van. Con., Op. Cit., P. 25. (4)

Brogan, O. And Smith, D. J., Ghir. Lib. Sett. Rom. Per., Op. Cit., Pp. 80 - 92. (5)

Goodhild, R. G., Lib. Stud., Ed., Rrynolds, Op. Cit., Pp. 5 - 6. (6)

(7) تعتبر منطقة الجبل غنية بأشجار الزيتون وقد برهنت على ذلك الآثار المتعددة التي أكتشفت في تلك المنطقة والتي تؤكد على هذه الأهمية حول معاصر الزيتون في مختلف مناطق الجبل انظر:

Brogan, O., "Expedition To Tripolitania, 1971. "The Society For Libyan Studies, Second Annualreport. 1970 - 1971, P. 10.

Mattingly, D. J. And Zenati, M., "The Excavation Of Building, L. M. 43. Olivepress, (8) "Lib. Stud., Vol. 15, 1984, PP 13ff, 18.

وتؤكد بقايا المعاصر على مدى انتشار زراعة الزيتون في معظم اودية التخوم خصوصاً وديان المردوم ومنصور⁽¹⁾ والعمود والباجل⁽²⁾ وغيرها، ويبدو أن إنتاج زيت الزيتون شكّل أهم المحاصيل الزراعية في المدن الثلاث حيث أثبت الدليل الأثري لمعاصر الزيتون هذه الحقيقة ولعل ما يؤكد هذه النتيجة أعداد الامفورات الكبيرة التي كانت تُستخدم لنقل الزيت إذ وجدت أعداد منها على أحجام مختلفة⁽³⁾ يتم تصدير الزيت عن طريقها أو تخزينه للاستعمال اليومي.

أما الحبوب فقد شكّلت محاصيل ذات أهمية اقتصادية في مزارع الحدود⁽⁴⁾ إذ أكدت الرسوم البارزة المنحوتة في قرزة هذه الأهمية حيث أظهرت الرسوم عملية حصاد محاصيل القمح والشعير باستخدام المناجل، كما تبين درس المحصول وتذريته ونقله⁽⁵⁾ إلى أماكن التخزين وقد أثبتت الدراسات العلمية لبقايا المستعمرات الزراعية أن الحبوب كانت من بين منتجات تلك المزارع خصوصاً الشعير⁽⁶⁾ وتضيف بعض المراجع⁽⁷⁾ حبوباً أخرى كانت تُزرع في اودية الحدود مثل البشنة⁽⁸⁾ والذرة⁽⁹⁾، ومع ذلك يعتبر الشعير من أهم أنواع الحبوب التي زُرعت في المنطقة لعدة معطيات أهمها أن مدة نموه وجذبه قصيرة، ويمكن زراعته تحت الأشجار أو على جوانب المزارع إذ أنه ينبت في أماكن لا تصلح لمزروعات أخرى

Barker, G. W. W And Jones, G. D B., "Unes. Lib. Val. Sur. 1979 - 1980," Op. (1) Cit., Pp. 6, 17 - 18.

Jones, G. D. B., Bennett, P., Moffat, P., P., Ateyet Allah, M. A., Garsaa, J. S. And (2) Reynolds, P., "The El - Amud Farm Complex," Lib. Stud., Vol. 15, 1984, P. 4.

Mattingly, D. J. And Zenati, M., "Excav. Bul. L. M. 43 Ohv. Pres.," Op. Cit., P (3) 18.

يرجح أن الدورة الزراعية كانت تُستخدم في مزارع الحدود وذلك برعاة الأرض بالحبوب (4) وتربية الحيوان على التوالي، انظر.

Chatterton, B. A. and Chatterton, L., "Med. Poss. Rol. Rom. Lib. Dr. Far. Post. Rol. Mod. Dr. Far.," Op. Cit., P. 157.

Brogan, O. And Smith, D. J., Ghir. Lib. Sett. Rom. Per., Op. Cit., Pp. 138, 141. (5)

Jones, B. And Barker, G., "Unes. Lib. Val. Sur.," Op. Cit., Pp. 32, 34. (6)

Vanderveen, M., "Ghir. Plan Rem. Rom. Lib. Agr. Trip. Pr. Des.," Op. Cit., P. 47. (7)

كانت البشنة من الحبوب التي استمرت تلعب دوراً هاماً في الغذاء داخل المجتمع الليبي في (8) الخمسينات والستينات من هذا القرن خصوصاً بين الطبقات الفقيرة في الأرياف

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 60. (9)

كما أنه يستطيع تحمل نسبة معينة من الملوحة، وقد لعب الشعير دوراً كبيراً في غذاء الإنسان خصوصاً الطبقات الفقيرة والجنود والعبيد وأستخدم في أغلب المناطق كعلف للحيوان⁽¹⁾.

إضافة إلى ما سبق ذكره من المحاصيل زُرعت أنواع أخرى من المحاصيل مثل أشجار النخيل⁽²⁾ والعنب⁽³⁾ والتين والرومان⁽⁴⁾ وقد أكدت النحوت البارزة في قرزة على وجود هذه الأشجار كما أكدت الأبحاث العلمية التي أجرتها اليونيسكو⁽⁵⁾ على عينات من الأودية الليبية وجود النباتات والمحاصيل السابقة مضافاً إليها محاصيل أخرى مثل أشجار اللوز والبازلاء والعدس⁽⁶⁾ والبطيخ وقد أكدت الدراسات أن تلك المحاصيل والنباتات السابقة كانت منتجات محلية⁽⁷⁾. ونتيجة لوفرة المراعي الطبيعية ونمو الأشجار الرعوية في الوديان الحدودية مثل غوبين وفيدراج وميمون ويوزرة، ووجود الخزانات الكثيرة⁽⁸⁾ خصوصاً في منطقة بئر شديوة⁽⁹⁾ والتي ساعدت بطبيعة الحال على تزويد الحيوانات بالمياه ولذلك ازدادت أعداد الحيوانات التي تعيش في تلك الأودية، كما أن أعداداً من الحيوانات اعتمدت على بقايا النباتات

(1) Vanderveen, M., "Ghir, Plan. Rom. Lib. Agr. Trip. Pre. Des.," Op. Cit., P. 47.

(2) تعتبر أشجار النخيل من المزروعات الهامة في منطقة الحدود الجنوبية حيث شكلت جزءاً حيوياً في غذاء المواطنين وليس غريباً أن تكون كثيرة في المنطقة إذ أن هيرودوت قد أكد وجودها.

(3) توضح رسوم قرزة عدداً من عناقيد العنب وجرار الخمر، مما يؤكد زراعة كروم العنب في الوديان الحدودية.

(4) حول المزروعات التي اكتتتها الرسوم البارزة في قرزة انظر

Brogan, O. And Smith, D. J., "Ghir, Lib. Sett. Rom. Per.," Op. Cit., Pp. 137, 139ff, 151.

(5) أجرت منظمة اليونيسكو مسحاً عاماً لعدد من الأودية الليبية ومن خلال العينات التي أخذت منها في الفترة ما بين 1981م - 1984م أثبتت وجود الكثير من النباتات والمحاصيل التي كانت تنمو في المنطقة.

(6) Vanderveen, M., "Unes. Lib. Val. Sur. X.," Op. Cit., P. 27.

(7) تؤكد بقايا درس المحصول وأجزاء من الأعشاب الضارة أن المحاصيل كانت تنمو مطياً وليست مستوردة من خارج البلاد انظر

Barker, G. W. W. And Jones, G. D. B., "Unes. Lib. Val. Sur. 1979 - 1981," Op. Cit., P. 18.

(8) Dorsett, J. E., Gilbertson, D. D., Hunt, C. O. And Barker, W. W., "Unes. Lib. Val. Sur. Viii," Op. Cit., Pp. 71, 73, 75 - 77.

(9) Jones, G. D. B. And Barker, G. W. W., "Unes. Lib. Val. Sur. Iv, 1981 Seas," Op. Cit., P. 53.

خصوصاً بعد مواسم الحصاد والدرس، ومن أهم الحيوانات التي تم تربيتها الأغنام والماعز⁽¹⁾، والتي أكدت الدراسات العلمية⁽²⁾ على وجودها، وقد بينت الرسوم البارزة في قرزة عدداً من الحيوانات التي أستخدمت في الحراثة والنقل في منطقة التخوم مثل الثيران والجمال والخيول⁽³⁾.

ويبدو أن معظم المزارعين في الأودية الحدودية كانوا يربون الحيوانات داخل المزارع فيما يسمى بالزراعة المختلطة⁽⁴⁾، وتبرهن على هذه الحقيقة وجود اكوام من بقايا الحيوانات بالقرب من قصور ومباني المزارع المحصنة⁽⁵⁾، وهذا يدل على أن أعداداً كبيرة من الحيوانات تُربى في تلك المزارع.

وقد اقام أولئك الفلاحون في مناطق التخور العديد من المباني التي تبرهن على الازدهار الاقتصادي الذي تمتعوا به نتيجة الاهتمام بالزراعة والسعي، وكانت تلك المنازل أو القصور تختلف باختلاف المكان الذي تشغله والظروف الأمنية التي كانت سائدة عند بنائها إذ يلاحظ أن هناك أربعة قصور قد أقيمت على مناطق مرتفعة في وادي غويين⁽⁶⁾، وهذا ربما يشير إلى أن اختيار الموقع قد تم نتيجة لضرورات أمنية كما أن بعضاً من القصور أستخدمت في بنائها الحجارة الضخمة خصوصاً في بناء الجدران الخارجية ومن أهم الأمثلة على ذلك توجد في وادي

(1) Larond, A., "Rom. Agr. Dev. Lib. Imp. Lim., Rom Econ Arab Con.", Op. Cit., P 18.

(2) أكدت التحليلات التي أجريت على بقايا الحيوانات وجود الكثير من الحيوانات أهمها الأغنام والماعز والجمال والحمير للمزيد عن ذلك انظر

Barker, G. W. W. And Jones, G. D. B., "Unes. Lib. Val. Sur. 1979 - 1981," Op. Cit., Pp. 19, 31.

(3) Brogan, O. And Smith, D. J., Ghir. Lib. Sett. Rom Per., Op. Cit., Pp. 137, 191.

(4) ما زالت الزراعة المختلطة مستعملة إلى الآن بين العديد من المزارعين الليبيين، ويقصد بالمزارع المختلطة زراعة المحاصيل الغذائية والعلفية وتربية المواشي في سزعة واحدة، انظر المورد ص (585) ويرجح أن الزراعة المختلطة كانت سائدة في مزارع التخوم خلال العصر الروماني حيث كان المواطنون يربون قطعان الغنم بجانب الزراعة، انظر

Barker, G. W. W. And Jones, G. D. B., "Unes. Lib. Val. Sur. 1979 - 1981" Op. Cit., Pp. 19 - 20.

(5) Brogan, O., "Exped. Trip. 1971", Op. Cit., P. 11.

(6) Gilbertson, D. D., Hayes, P. P., Barker, G. W. W. And Hunt, C. O., "Unes. Lib. Val. Sur. VII," Op. Cit., P. 53.

ميمون وفيدراج⁽¹⁾، ويوحى سمك الحائط أن الغرض منه حماية القصر من الاخطار وكانت القصور إما أن تكون مجتمعة في مجموعات في المناطق المرتفعة⁽²⁾، وأحياناً في المناطق المنخفضة أو أن تكون تلك المزارع منفردة بحيث تشكل كل منها مزرعة بفنائها وتطوق بحائط لحمايتها⁽³⁾.

وفي أحيان كثيرة كانت القصور تزود بعدد من الأبراج من ذلك قصور وادي تاسا وصياد بالقرب من القناتهما مع وادي زمزم⁽⁴⁾، كما أن البعض الآخر من القصور كانت مزودة بسراديپ في أسفل القصر، ويتضح هذا النوع من الحماية في ثلاثة قصور هامة في وادي تافلاة⁽⁵⁾ ويرجح الباحثون أن تاريخ معظم القصور يبدأ من منتصف القرن الثاني الميلادي أو بداية الثالث⁽⁶⁾ وهذا يتماشى مع سياسة الرومان الدفاعية عن طريق قدماء المحاربين كجنود مزارعين لحماية مناطق التخوم، ومع ذلك فإن هذه القصور لا تصور وحداث دفاعية رومانية ضد القبائل الليبية بمعنى الكلمة ولكنها تصور منافسة زراعية بين العناصر السوطنية حيث إن هذه القصور لا تبعد عن بعضها إلا مئات الأمتار⁽⁷⁾ في أحيان كثيرة

(1) Brogan, O., Exped. Trip. 1971, " Op Cit , P 11

(2) أقيمت عدة قصور على مرتفع من الأرض كما تبين الآثار الباقية ومنها مزرعة بوادي العمود ومزارع وادي بنر شديوة، وتدل مباني مزرعة العمود على الدور الزراعي الكبير الذي قامت به ويوحى المبني على طول فترة استخدامه وربما أدى وظيفتين السكن وحظيرة للحيوانات، حول ذلك انظر

Barker, G. W. W. And Jones, G. D. B , "Unes. Lib Val Sur. Vi: Inv. Rom. Lib Far. Par , " Op. Cit., P. 3

Larond, A., "Rom. Agr. Dev. Lib. Imp. Lib. Rom. Econ. Arab Con., " Op. Cit , Pp. (3) 16ff

Brogan, O. and Smith, D , "Not. Trip. Pr. Des. 1967, " Op. Cit., P 144. (4)

Brogan, O and Kenrick, P., "Short Report - Work In Tripolitania." The Society For (5) Libyan Studies, Fourth Annual Report. 1972 - 1973. P 9

(6) اختلف الباحثون في تحديد بداية دقيقة لظهور المزارع المحصنة التي اعتمدت على بناء اعداد كبيرة من القصور حيث حددوا تواريخ مختلفة لهذه القصور، كل حسب الدليل الاثري الذي اكتشف فيها حول تواريخ إنشاء القصور في مزارع التخوم انظر

Goodchild, R. G., Lib. Stud., Ed Reynolds, Op. Cit., P. 8, Brogan, O., and Smith, D. J., Ghir Lib. Set. Rom Per , Op. Cit., Pp. 76 - 80.

Barker, G. W. W. And Jones, G. D. B , "Unes. Lib. Vall. Sur. 1979 - 1981" Op. Cit., (7) Pp. 6, 21.

وانتشرت مباني المزارع المحصنة، القصور، في معظم الأودية لمسافة قد تزيد عن (200) كيلو متر من الشرق إلى الغرب ولمسافة (150) كيلو متر من الشمال إلى الجنوب⁽¹⁾ حيث يفيد الدليل الأثري وجود عدد كبير من القصور في أودية ميمون وفيدراج⁽²⁾ ومنطقة قرزة⁽³⁾، حيث ارتبطت القصور بعدد من الأضرحة في المنطقة الأخيرة⁽⁴⁾، كما عُثر على بقايا كثيفة لتلك القصور في وديان شطاف والخناس وعلى طول وادي الأجرام والمردوم⁽⁵⁾، كذلك بقايا مزارع وديان العمود وأم الباجل⁽⁶⁾ وزمزم وسوف الجين ونفذ⁽⁷⁾.

وتؤكد الكثير من المراجع أن بناء القصور المحصنة خصوصاً المتأخرة زمنياً يعود إلى مجهودات المواطنين الليبيين، وبيان ذلك أن عدد السكان المحليين أصبحوا أكثر إقامة واستخدموا محاصيل جديدة وأساليب متطورة في سبيل إنتاج فائض من المواد الغذائية لتصديرها إلى أسواق المدن الساحلية، ساعد على ذلك قيام المنافسة بين المواطنين المقيمين في مناطق التخوم⁽⁸⁾.

وتؤكد النقوش التي عُثر عليها استخدام الكتابة البونيقية في مناطق الحدود باستعمال الحروف اللاتينية والتي استمرت مستخدمة إلى القرن الرابع الميلادي⁽⁹⁾.

(1) Goodchild, R. G., Lib. Stud., Ed. Reynolds, Op. Cit., P. 29.

(2) يؤكد بعض الباحثين أن المواقع الأثرية في وادي ميمون تزيد عن (70) موقعاً. حول أودية ميمون وفيدراج انظر

Brogan, O., "Som. Anc. Sit. East. Trip.", Op. Cit., P. 94; Figs. 1 - 2.

(3) Brogan, O. And Smith, D. J., "Ghir. Lib. Sett. Rom. Per.", Op. Cit., Pp. 47 - 76.

(4) يبلغ عدد المباني التي أكتشفت في قرزة حوالي أربعين مبنى ارتبطت بالحياة الزراعية ويعتقد هذا الباحث أن قرزة كانت إحدى المراكز القبلية انظر:

Mattingly, D. J., "Lagunt. Lib. Trip. Con. Lat. Rom. Emp.", Op. Cit., Pp. 103, 105, 106.

(5) Jones, B. And Barker, G. And Jones, B., "Unes. Lib. Val. Sur. 1980.", Op. Cit., Pp.

(6) Jones, G. D. B., Eennett, P., Moffat, P., Ateyet Allah. M. A , Garsaa, J. S.,

Reynolds, P., "El - Amud Far. Comp.", Op. Cit., Pp. 1 - 12

(7) Haynes, E. L., Opp. Cit., Pp. 149, 151.

(8) Barker, G. W. W. And Jones, G. D. B., "Unes. Lib. Val. Sur. 1979 - 1980.", Op. Cit., Pp. 31, 33.

(9) Brogan, O., And Smith, D. J., "Ghir. Lib. Sett. Rom. Per.", Op. Cit., P. 227.

وهذا يوضح أن العمل كانت تقوم به العناصر المحلية⁽¹⁾ خصوصاً القصور⁽²⁾، ولقد استمرت النظم الزراعية طويلاً بعد سحب الجيش الروماني مما يؤكد أن تلك النظم كانت من وراثتها الأيدي المحلية⁽³⁾

ويرى بعض الباحثين⁽⁴⁾ أن النظم الزراعية الكبيرة في مناطق التخوم لم تكن بواسطة مستعمرين متأخرين وإنما على الأرجح محاولة قام بها الرومان لتوطيد المواطنين المحليين شبه الرحّل كمزارعين ثابتين ليشكلوا منهم حاجزاً بشرياً ضد الغزوات التي ربما تقوم بها قبائل متنقلة أكثر خطورة، إذ يعتقد بعض الباحثين⁽⁵⁾ أن القبائل المنتظمة قد مُنحت أراضي في منطقة التخوم وفضلوا الإقامة بعيداً وتعاونوا مع السلطات الرومانية حيث كان هذا التعاون ضرورياً لحماية النظام الزراعي، وأصبحت تلك القبائل وأصعب أيديها على الأراضي الزراعية، ونتيجة لنجاح الزراعة في تلك الأراضي أصبح عدد كبير من رجال القبائل أغنياء كما توضح بقايا الأضرحة في قرنة.

ولعل ما يؤكد أن القصور وملحقاتها من عمل العناصر المحلية أن المؤرخ ديودورس الصقلي كان قد ذكر أن رؤساء القبائل الليبية يحتمون ويتركبون غنائمهم في قلاع خاصة بهم⁽⁶⁾ أما إذا بحثنا عن مدى نجاح النظم الدفاعية الرومانية السابقة وإلى أي مدى كانت فعالية هذا النظام فمن المؤكد أن تلك الأنظمة قد عجزت عن حماية المدن الساحلية حيث إن بعض القبائل التي تنظمت جيداً تمكنت من الإغلات من المراقبة وقامت بغارات مدمرة على المدن الساحلية⁽⁷⁾، رغم وجود عدة عوائق أمام المهاجمين مثل صحراء سرت والحمادة الحمراء والعرق الشرقي الكبير، ويؤكد الباحث على أنه لا يمكن تبرير أن رجال الحدود كانوا متهمين بالخيانة والتحالف مع الأوسطرياني في غارتهم عام 363 - 365م⁽⁸⁾

(1) Smith D J., "The Centenaria Of Tripolitania And Their Antecedents," Libya In History, Benghazi, 1968, Pp 299 - 311

(2) Goodchild, R G , Lib. Stud , Ed. Reynolds, Op. Cit , P 30

(3) Laronde , A , "Rom Agr Dev Lib. Imp. Lib Rom. Econ. Arab. Con.," Op. Cit., P. (3) 20.

(4) Brogan, O And Smith D J. "Ghir Lib Sett Rom. Per " Op. Cit., P 230.

(5) Warmington, B. H Nor Afr Prov Dioc Vand Con , Op Cit., P. 25

(6) Diodorus, In 49.

(7) Jones, B And Barker, G., "Unes. Lib. Val Sur , " Op. Cit., P. 18.

(8) Warmington, B H., Nor Afr. Prov Dioc Vand Con., Op. Cit., Pp. 20, 26.

3 - الطرق - خط الدفاع الثالث.

لم تتوقف النظم الدفاعية لتخوم المدن الثلاث على الحصون الكبيرة والمزارع المحصنة التي سبق الإشارة إليها، ولكنها اشتملت على طرق رئيسية ترتبط مع بعضها البعض بواسطة محطات وطرق وأبراج وحصون صغيرة في معظم مناطق التخوم وداخل المزارع المحصنة نفسها.

ولقد اهتم الرومان بطرق المواصلات منذ بداية الاحتلال حتى تحقق لهم التحكم في كافة المناطق الواقعة تحت سيطرتهم⁽¹⁾، وفي بداية الاحتلال لم يعبد الرومان أية طرق ولكنهم كيفوا طرق القوافل القديمة واستخدموها كطرق كبرى⁽²⁾ في الأغراض العسكرية والاقتصادية، إذ كانت من أهم أغراض الطرق خدمة التحركات العسكرية بالدرجة الأولى إضافة لأغراضها التجارية، كما أستخدمت للخدمات البريدية السريعة لنقل الأخبار والأوامر والتقارير الصادرة عن أباطرة الرومان إلى الحكام في المناطق الخاضعة لهم⁽³⁾، وفي هذا الإطار شكّلت منطقة الجبل مركز المعلومات والمواصلات بين المدن الساحلية ومناطق التخوم الجنوبية⁽⁴⁾ من حصون ومزارع محصنة بهدف حماية السكان في المدن الساحلية المستقرين والخاضعين للتأثير الروماني من غارات القبائل الليبية الذين أبعدهم الرومان عن أراضيهم الزراعية وحرموهم من المراعي الضعيفة⁽⁵⁾.

واقدم معالم للطرق في مناطق المدن الثلاث ترجع لعهد كاركلا فقد عُثر على عدد من الأعمدة الأسطوانية قُطر الواحد حوالي خمس عشرة بوصة والارتفاع حوالي سبعة أقدام ولم تقتصر تلك الأعمدة على الأشكال الأسطوانية بل وجدت أعمدة على أشكال بيضاوية أو مربعة وكانت أغلبها تحمل تجويفاً على شكل لوحة نُقش عليها أسماء والقباب الأباطرة والمسافات بين الطرق⁽⁶⁾.

وكانت العلامات قد أستخدمت أساساً لتحديد المسافات بين المراكز الكبرى ولكنها أ - فيما بعد تحمل القباب وأسماء الأباطرة الذين أنجزت الطرق في

(1) رشيد الناضوري، المرجع نفسه، ص 296.

(2) Goodchild, R. G., Tab. Imb. Rom. Lep. Mag., Op. Cit., P. 6.

(3) Goodchild, R. G., "Rom Road Lib. Their Mil.," Op. Cit., P. 155.

(4) Khuja, M., "Gar Town," Op. Cit., P. 120.

(5) هانس مايس، المرجع نفسه، ص 170.

(6) Goodchild, R. G., "Rom. Road. Lib. Their Mil.," Op. Cit., Pp. 156, 157.

عهدهم وذلك حتى يتعرف رعايا الدولة على أسماء إباطرتهم خصوصاً الذين أمسكوا بزمام الأمور في وقت متأخر كما أن بعضاً من علامات الطرق كانت تحمل أسماء الحكام المحليين والمجالس البلدية الذين كانوا مسؤولين على إصلاحات الطرق وفي أحيان أخرى كانت تحمل أسماء وحدات الجيش⁽¹⁾ وكانت الطرق الطويلة والهامة تتكون من طبقات كثيرة متركبة على بعضها وكان العرض الأدنى لهذه الطرق مترين وسبعاً وثلاثين سنتيمتراً وكانت الطرق في أحيان كثيرة تُشق عبر المرتفعات⁽²⁾.

ويعتبر طريق الساحل من أهم الطرق الطويلة الرابطة بين مناطق المدن الثلاث حيث كان يخدم الأغراض العسكرية منذ بداية الاحتلال الروماني فقد استخدمه كاتو عند عبوره إلى تونس ماراً بصحراء سرت إذ قسّم كاتو جيشه البالغ عدده عشرة آلاف رجل إلى مجموعات صغيرة حتى يتسنى له حل مشكلة المياه⁽³⁾ في تلك الصحراء القاحلة.

وقد وضحت خارطة بوتينجر والدليل الأتلولوني هذا الطريق من جاثيس⁽⁴⁾ إلى لبدة الكبرى وتوباكتيس⁽⁵⁾ «مصراتة» وقد وجدت علامات الطريق عند بريدة «بوكماش» وبالقرب من كيفالاي تتراوح تواريخها من عهد كاركلا «216م» إلى دقلديانوس⁽⁶⁾ «290م» وقام هذا الطريق بمهمة الربط بين مناطق المدن الثلاث وقوريني وكان هذا الطريق يفتقر للمياه وأُستخدم من قبل جيوش أفيلاس في «309ق.م» كما أن كاتو عبّره مع جيشه في 47ق.م ويرجح أن طريق الساحل احتاج إلى حماية ضرورية لأنه طريق حيوي سياسياً واقتصادياً وأقيمت عليه العديد من المحطات التي وُضعت على مسافات معينة للاستفادة منها في راحة المسافرين ومن المدن التي يمر بها هذا الطريق ماكوماندس «سرت» واسكينا «مدينة سلطان» وكانت محطات الطرق أغلبها ذات طابع عسكري أو بمعنى آخر عبارة عن حصون عسكرية مثل تاجولاي⁽⁷⁾ «TUGULUS» قصر الحدادية بالقرب

(1) Goodchild, R. G., Rom Road Lib. Their Mil., Op. Cit., P. 155

(2) Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 156

(3) Strabo, Geog. XVII, li 20; Plutarch, Cato Minor, 56.

(4) تقع جاثيس بالقرب من جزيرة جربة في تونس.

(5) وقد وجدت عدة اختلافات في أسماء المحطات الواقعة بين هذه الطرق

(6) Goodchild, R. G., 'Rom. Road. Lib. Their Mil.,' Op. Cit., P. 158.

(7) Goodchild, R. G., 'Rom. Road. Lib. Their Mil.,' Op. Cit., P. 161.

من رأس لانوف، وقد ذكرت المصادر الرومانية عدداً من محطات الطرق والمدن الواقعة على هذا الطريق ومنها مذابح الأخوين فيلايني واسبيس «بويرات الحصون» وسوبجولي «زليطن» ولبدة الكبرى وميجرادي جيتولو «سيدي بن نور» ونوريس اد الجام «تاجوراء» وأويا وصبراتة وكاساس⁽¹⁾ «زواره» ومن محطات الطريق الأخرى تويلاكتيس «مصراتة» حصن يوفراننا «قصر الزعفران» وبسيدة⁽²⁾ «بوكماش» وقد استخدم الرومان هذه المحطات كمراكز للبريد ولتغيير الخيل والراحة والنوم ومد المسافرين بوسائل الترفيه بعد رحلة يوم كامل وشاق ويعتبر هذا النظام فعّالاً نظراً لاتساع المنطقة⁽³⁾

ومن الطرق التي أنشأها الرومان في عهد الإمبراطور تيريوس الطريق الذي يربط لبدة بهضبة ترهونة، وقد تم إنشاؤه في حكم البروقنصل ل. إيليسوس لاميا⁽⁴⁾ «15 - 16م» لمسافة 44 ميلاً وقد أدمج هذا الطريق فيما بعد مع الطريق الاستراتيجي القادم من تاكباي «قابس» ومع ذلك يرجّح الباحثون عدم قيامه بمهام عسكرية في السنوات الأولى⁽⁵⁾.

وكانت الطرق العسكرية تمثل خط الدفاع الثالث في أنظمة الدفاع الرومانية في المدن الثلاث ويعتبر الطريق الممتد من تاكباي في تونس إلى مدينة لبدة الكبرى من أهم الطرق الرومانية المشكّلة لهذه الشبكة عبر منطقة الجبل الغربي⁽⁶⁾، ويرجع أن الطريق دخل منطقة الدهيبات واستمر في اتجاه الشرق على طول الجبل عن طريق مناطق نالوت وجادو وتينتيوس «الزنشان» مروراً بسأورو «العوينية» وثيناداسا «عين ويف» وهضبة ترهونة ومدينة مسيف «دوقة» والقصبات ومنها إلى لبدة الكبرى⁽⁷⁾.

ويشير أحد المراجع إلى أن طريق الجبل أنشئ في عهد الإمبراطور تيريوس⁽⁸⁾ ومع ذلك لم تؤكد المصادر الأدبية أو الأثرية هذا الرأي ولعل الكاتب

(1) Haynes E. L., Op. Cit., P. 136.

(2) Ettare, R. Op. Cit. P. 15

(3) Goodchild, R. G., "Rom. Road. Lib. Their Mil.," Op. Cit. Pp. 155 - 156.

(4) Irr, No. 930; Goodchild, R. G., Lib. Stud., Ed. Reynolds, Op. Cit., P. 17.

(5) Ibid, Pp. 17 - 18.

(6) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 40; Dep. Antiq., Lep. Mag., Op. Cit., P. 17.

(7) Goodchild, R. G., "Rom. Road. Lib. Their Mil.," Op. Cit., Pp. 158, 159.

(8) Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 134.

خلط بين هذا الطريق وبين طريق لاميا الذي أنشئ في عهد الإمبراطور تيبيريوس والذي أدمج مع طريق لبدة تاكباي الاستراتيجي الذي سبقت الإشارة إليه .

وكانت مهمة الطريق الجبلي توفير الحماية اللازمة للمناطق الزراعية الواقعة خلف المدن الساحلية⁽¹⁾، ويرجح أن مفاز من الجيش الروماني كانت تقوم على حراسة الطريق عند بعض المواقع المرتفعة أو محطات الطرق خصوصاً في عهد الإمبراطور سقيروس⁽²⁾ ومع ذلك يعتقد بعض الباحثين أن هذا الطريق لم يمثل خطاً دفاعياً بمعنى الكلمة وإنما يمثل خطاً سريعاً للمواصلات من الناحية الخلفية لشبكة الدفاع⁽³⁾.

ولقد أنشئت العديد من المحطات على هذا الطريق الاستراتيجي عسكرية واقتصادية أهمها ثيناداسا «THENADASSA» عين ويف، وقد توفرت عدة عوامل أدت إلى اختيارها كمحطة طريق أهمها وجود المياه بها ووقوعها على هضبة متوسطة الارتفاع والاتساع تحيط بها المرتفعات⁽⁴⁾ كما أنها تربط بين عدد من الطرق والمسالك الهامة⁽⁵⁾ ويرجح وجود مفزة من الفرقة الاغسطية الثالثة بها خلال حكم سبتيميوس سيفيروس⁽⁶⁾ وهذا يدل على الدور الذي لعبته في إعادة تنظيم الحدود في العهد السفيري وقد عُثر بالقرب من ينابيع المياه على مبنى الحمامات⁽⁷⁾ وقد سجل أحد النقوش قيام أحد قادة الرومان بترميمها⁽⁸⁾.

ويتوقع بعض الباحثين⁽⁹⁾ أن الناحية الجنوبية من ثيناداسا قد تم حصارها بحصن عسكري حيث تدل الجدران العريضة على الهدف الدفاعي وإن جنوداً من الرومان أقل من سربية المائة قد أقاموا هناك منذ بداية القرن الثالث الميلادي أما إنشاء ثيناداسا فربما سبق العهد السفيري.

(1) مصطفى عبدالمليم، المرجع نفسه، ص 93.

(2) Brogan, O. And Smith, D. J., Ghir. Lib. Sett. Rom. Pcr., Op. Cit., P. 228.

(3) Larond, A., "Rom. Agr. Dev. Lib. Imp Lib. Rom Econ. Arab Con.," Op. Cit., P. 15.

(4) Goodchild, R. G , Lib. Stud. Ed. Reynolds, Op Cit., Pp. 21 - 24.

(5) Mattingly, D J., "Rom Road. Stat. Then." "Ain Wif" Op. Cit , Pp. 73 - 78.

(6) Goodchild, R. G , Lib. Stud., Ed Reynolds, Op. Cit., Pp. 21ff.

(7) i Dem

(8) Irt., No. 869

(9) Mattingly, D J., "Rom. Road Stat. Then." "Ain Wif" Op. Cit , Pp 73ff.

وتعتبر مسيف «مدينة دوقة» من محطات الطرق التي ذُكرت في السجلات الروماني وهي تبعد (40) ميلاً رومانياً عن مدينة لبدة الكبرى والتي يمكن تمييز موقعها في مدينة دوقة⁽¹⁾، ومن محطات الطرق الأخرى أورو⁽²⁾، «العوينية» وتنتيوس⁽³⁾ «الزنتان» ويقترح بعض الباحثين⁽⁴⁾ محطات أخرى مثل مدينة الرافدة ومدينة فينارة «VINAZA» التي يرجح أن يكون موقعها قرب الأصابعة، وكانت تلك المحطات السابق ذكرها من مجموع ثماني عشرة محطة على هذا الطريق ذكرت في المصادر الرومانية وتعتمد فيما بين حصن تامليني ولبدة الكبرى⁽⁵⁾، وقد انتشرت شبكة الطرق نحو المناطق الجنوبية متفرعة من المدن الرئيسية إلى المناطق الجبلية والحدود الجنوبية إذ أقيمت المستعمرات الكثيفة على وجود شبكة من الطرق ممتدة من الداخل وأخرى ممتدة من المدن الساحلية⁽⁶⁾.

وتعددت الطرق الداخلية التي تربط المدن الساحلية بالمناطق والحصون الحدودية سواء التي أشار إليها المؤرخون الكلاسيكيون والتي استخدمت لتنفيذ الحملات الحربية أم التي كشفت عنها علامات الطرق خصوصاً في عهد كاركلا كما أن البعض من الطرق أشارت إليه المصادر الرومانية في بعض خرائط الطرق ومحطاتها ومن تلك الطرق الهامة، الطريق الذي يربط أوريا مع لبدة الكبرى وهزان، ويؤكد بعض الباحثين⁽⁷⁾ على أهمية هذا الطريق الذي يربط الشمال بالجنوب وتعتبر معظم آثار الطريق مفقودة في سهل الجفارة الرملية ويوجد المعلم الأول للطريق على بعد سبع وخمسين ميلاً من أوريا وهو ينتمي إلى الإمبراطور كاركلا ثم بقية المعالم تتكون من ثلاث أو أربع مجموعات عند كل محطة ميلية ويستمر الطريق إلى زدة⁽⁸⁾ التي تشكل أحد المخازن الرومانية الهامة إذ تمثل ملتقى لاثنتين من الطرق

(1) Goodchild, R. G., Lib. Stud., Ed. Reynolds, Op. Cit., P. 24.

(2) Goodchild, R. G. "Rom Road Lib Their Mil.," Op. Cit., P. 159

(3) Haynes, E. L., Op. Cit., P. 136.

(4) Brogan, O. "Haddhay Claus, Trip. Cir. Sout. Asab.," Op. Cit., P. 52.

(5) Goodchild, R. G., Lib. Stud., Ed. Reynolds, Op. Cit., P. 19.

(6) Larond, A., Rom. Agr. Devel. Lib Imp. Lib. Rom. Econ. Arab Con., Op. Cit., P. 15.

(7) حول الطرق التي تربط المدن الثلاث مع بعضها ومع المناطق المحيطة بها انظر

Rostovtzeff, M., Soc. Econ. Hist. Rom. Emp., Op. Cit., P. 334.

(8) Goodchild, R. G. "Rom Road Lib Their Mil.," Op. Cit., P. 159

الهامة⁽¹⁾، ويؤكد الباحثون⁽²⁾ بأنها كانت أحد المواقع التي يرجّح أن الكتيبة السورية قد استقرت بها وعلى الأرجح أن الطريق استمر بعد مزدة إلى القريبات الغربية ثم يواصل اتجاهه نحو فزان مع أنه لا توجد علامات طرق جنوب مزدة⁽³⁾ حتى الآن.

ويرجّح وجود ثلاث محطات على هذا الطريق وهي سوبوتو «SUBUTU» «قصر الداوون» والشرشارة «CERCARO» وفلاكي تابيسرنة «FLACCI» «TABERNA»⁽⁴⁾.

ويعتبر طريق سوف الجين من الطرق الهامة في مناطق الحدود ويحتمل أنها تفرعت من طريق الجبل قرب ثينتيوس «الزنتان» في اتجاه الجنوب إلى قصر دويب⁽⁵⁾ الذي عُثر بالقرب منه على أول المعالم على هذا الطريق يسجل (25) ميلاً كما وجدت محطة ميلية أخرى على مقربة من قصر وامن وتنتهي المعالم التي عليها بالقرب من مزدة إلى كاركلا والإمبراطور ماكسيمينوس⁽⁶⁾ «237م».

وإضافة إلى الطرق الرئيسية السابقة والتي أكدتها المصادر الرومانية أو معالم الطرق، توجد طرق أخرى تمتد إلى الحصون والقلاع الرئيسية ومنها الطريق الذي استخدمه فسستوس في حملته ضد قبائل الجرامنت⁽⁷⁾ عام 69م ويرجّح بعض الباحثين⁽⁸⁾ أن هذا الطريق يمر بحصن القريبات الغربية.

وتلتقي مجموعة من الطرق عند حصن جوليا سواء الطرق المتفرعة من فزان عبر الصحابة الحمراء أو المتفرعة من حصن القريبات الغربية أو الطرق التي تربط الحصن مع المدن الساحلية عبر الأودية الزراعية⁽⁹⁾، كما يرجّح أن هذا الحصن قد ارتبط بطريق يتجه نحو الجنوب الشرقي نظراً لوجود الواحات في هذا الاتجاه، كما

(1) Goodchild, R. G., Lib. Stud., Ed. Reynolds, Op. Cit., P. 14.

(2) Mattingly, D. J., lrt. 895 And 896, "Tw. Insc. Gher. El. Gar.." Op. Cit., P. 72.

(3) Goodchild, R. G., "Rom. Road. Lib. Their Mil." Op. Cit., P. 159

(4) Ibid, P. 137; Brogan, O., "Fir. Sec. Cen. Sep. Temp. Pr. Des. Op. Cit., P. 121

(5) يعتبر قصر دويب من المراكز الدفاعية الهامة وقد بني في عهد غيليب العربي - 244 / 246. انظر lrt., No. 880.

(6) Goodchild, R. G., "Rom. Road. Lib. Their Mil., Op. Cit., P. 160.

(7) Pliny, V. 5, 38, Julien, Ch. A. Op. Cit., P. 131

(8) Law, R. C. C., Op. Cit., P. 194.

(9) Rebuffat, R., "Zel. Rout. Egyp." Op. Cit., P. 181.

وُجد حصن بالقرب من واحة زلة⁽¹⁾ وهذا قد يشير إلى أن الحصن أُقيم لحراسة الطريق التي تربط جولايا بالمناطق الجنوبية الشرقية.

وكانت توحد على معظم الطرق العسكرية مصادر المياه اللازمة لعبيرها ومن أمثلة ذلك بئر دوغان الذي يشكل مصدراً حيوياً للمياه نظراً لوقوعه على أحد الطرق الرئيسية التي تمر بمناطق التخوم نحو ثنتيوس «الزنتان» وكذلك نحو الشمال الشرقي إلى كيفالاي وسرت⁽²⁾.

وقد انتشرت المواقع العسكرية على طول الطرق وفيما بين المزارع المحصنة ومنطقة الجبل والساحل⁽³⁾، وتعتبر المنطقة الممتدة من ثنتيوس إلى سيخة ماكوماكا «تاورغاء» من أكثر المناطق التي احتوت على عدد من المراكز العسكرية الصغيرة⁽⁴⁾.

ودلت المخلفات الأثرية في معظم مناطق المدن الثلاث على وجود أبراج المراقبة وكانت مهمتها حراسة الطرق العسكرية والتجارية والأخبار عن الأخطار التي تهدد المنطقة⁽⁵⁾، كما استخدمت الأبراج لتخزين المصاصيل الزراعية⁽⁶⁾، وقد دلت المخلفات الأثرية على وجود برج دائري في منطقة القرينات وكانت من مهامه مراقبة الطرق التي تصل حصن القرينات من الشمال بالتعاون مع حصن آخر صغير في القرينات الشرقية الذي يبلغ عن الأخطار ويربط بين الحصن وغالبية المسافرين الأمامية عند واحات القرينات الغربية⁽⁷⁾.

وقد توزعت تلك الأبراج بين مناطق التخوم في وسط السويديان الزراعية وعلى لطرق بين القلاع والحصون من الشمال إلى الجنوب ومن أمثلتها الأبراج التي عُثر عليها بوادي ميمون⁽⁸⁾ ومنطقة بئر شديوة التي عُثر فيها على اثنين من أبراج

(1) Edim.

(2) Brogan, O. "Som. Anc. Sit. Eas. Trip.," Op. Cit., P. 112.

(3) Ettore, Op. Cit., Pp. 15, 17

(4) Goodchild, R. G., Lib. Stud., Ed. Reynolds, Op. Cit., P. 20.

(5) Brogan, O., "Som. Anc. Sit. Eas. Trip. Eas. Trip.," Op. Cit., Pp. 102, 112, 127.

(6) Laronde, A., "Rom. Agr. Dev. Lib. Imp. Lib. Rom. Econ. Arab Con.," Op. Cit., P. 16.

(7) Mattingly, D.J., "Irt., 895-896, Tw. Insc. Cher. El Garb.," Op. Cit., P. 70.

(8) عُثر على أحد الأبراج المشيدة بعناية ولكنه صغير الحجم، حول هذا البرج بوادي ميمون انظر: Brogan, O. "Som. Anc. Sit. Eas. Trip.," Op. Cit., Pp. 102, 112, 127.

المراقبة⁽¹⁾، وتعتبر منطقة سوف الجين من أكثر المناطق التي أكتشفت فيها أبراج المراقبة⁽²⁾، كما وُجد عدد من الأبراج في منطقة الجبل⁽³⁾.

ومن المراكز العسكرية الهامة داخل منطقة المزارع المحصنة في مناطق المدن الثلاث قصر البينات الذي ينتمي إلى الفترة التي اندمجت فيها الحضارة الرومانية مع الحضارة المحلية ويرجح أن وظيفته كانت عسكرية إذ عُثر إلى الغرب منه على مباني فردية زراعية وآثار سكنية أخرى في مناطق طمبية نحو الشرق⁽⁴⁾.

ويعتبر قصر أبو الأركان الذي يحتوي على سبعة أبراج مربعة من الحصون الصغيرة التي أكتشفت على بعد ثلاثين كيلو متراً شرق بني وليد⁽⁵⁾، كما يرجح أن يكون قصر الفاشية أحد المراكز الدفاعية عند تقاطع الطرق بين زمزم وبوحييم⁽⁶⁾، ومن الحصون الهامة أعلى سوف الجين قصر دويب وقصر وأمس⁽⁷⁾ اللذين يتضح من موقعهما الغرض العسكري منهما⁽⁸⁾.

أما في جنوب وادي سوف الجين فإن المخلفات الأثرية تدل على وجود أحد المراكز العسكرية عند بئر دريد⁽⁹⁾، ولا نعتقد أن المراكز العسكرية قد اقتصرت على الأعداد السابقة فقط، ومع ذلك هناك صعوبة كبيرة في التمييز بين المراكز العسكرية والمزارع المحصنة وبصفة عامة لا تخل معظم مناطق المدن الثلاث من المواقع العسكرية التي تقوم بدور الدفاع والمراقبة للمزارع المحصنة والطرق العسكرية والتجارية وإخطار المراكز الغربية بأي تحركات غريبة تظهر في المنطقة

Jones, G. D. B. And Barker, G. W. W. "Unes. Lib Val Sur. Iv, 1981, Seas.,* Op. (1)
Cit., P. 45

Divita, A., "Archaeological News," Lib. Antiq., Vol. I, 1964, Pp. 139 - 140. (2)

Brogan, O., "Haddhaj, Claus. Trip. Gar Sout. Asab," Op. Cit., Pp. 45 - 47. (3)

Gilbertson, D. D., Hayes, P., P., Barker, G. W. W. And. Hunt, C. O., "Unes. Lib. (4)
Val Sur. Vii" Op. Cit., P. 57.

Haynes, E. L., Op. Cit., P. 139; Brogan, O., "Som. Anc. Sit. East. Trip.," Op. Cit., P. (5)
124.

Jones, B. And Barker, G. "Unes. Lib. Val. Sur.," Op. Cit., P. 14. (6)

(7) يرجح أن قصري دويب ورواس قد شُغلا فيما بعد بالعناصر المحلية وأصبحا من مراكز الكنتيناري
الهامة.

Goodchild, R. G., Lib. Stud. Ed. Reynolds, Op. Cit., P. 14. (8)

Brogan, O., "Som. Anc. Sit. East. Trip.," Op. Cit., P. 126. (9)

وكانت طريقة الاتصال بين المواقع العسكرية المختلفة تتم باستخدام الدخان في النهار وإشعال النار في الليل وبذلك ينتقل الخبر من مركز أو موقع إلى آخر حتى تعلم معظم المواقع وتستعد لمواجهة الخطر.

ومن بين المواقع التي يتوقع أنها قامت بدور عسكري مجموعة مقرونة مدهاويب «MAGRUSA MDHAWEB» التي تحتل أحد المواقع الدفاعية⁽¹⁾ في وادي زمزم.

Jones, B. And Barker, G . "Unex. Lib. Val Sur ." Op. Cit., Pp. 32 - 34.

(1)

الفصل الثالث

الأوضاع الدفاعية بعد العهد السفيري

أولاً: الكنتيناريا.

ثانياً: تقسيم مناطق التخوم.

ثالثاً: النظم الدفاعية في عهد دقلديانوس.

أولاً : الكنتيناريات:

بعد نهاية الحكم السفيري استمرت بعض النظم الدفاعية على ما هي عليه في السابق ومع ذلك حصلت عدة تغييرات عسكرية في عدد من الجوانب، فمن ناحية الفرقة الأغسطية استمرت في القيام بمهامها حتى سرحها الإمبراطور جورديان الثالث عام (238م) وذلك لقيامها بالمشاركة في خلع الإمبراطورين جورديان الأول والثاني ومع أن الإمبراطور فاليريان أعاد تنظيم الفرقة لكنها على الأرجح لم تعد للعمل في المدن الثلاث⁽¹⁾.

و- الباحثون⁽²⁾، أن الحصون والقلاع سلمت إلى العناصر المحلية العاملة في الجيش الروماني واستمرت تقوم بدورها الدفاعي الفعال في المحافظة على الحكم الروماني، وليس غريباً أن يتم تسليم المهمات الدفاعية للعناصر الوطنية فقد و- الكثير من النقوش أسماء العناصر المحلية كما رأينا من قبل.

وقد أكد أحد النقوش قيام إصلاحات أو ترميمات في حصن جوليا في عهد جورديان الثالث، وهذا يؤكد استمرار وجود حامية أو قوة عسكرية بعد تسريح الفرقة الأغسطية⁽³⁾، ويبدو أن النظام الدفاعي بعد حل الفرقة الأغسطية وتزويد المراكز الرومانية بجنود وطنيين قد اتخذ ثلاث مسارات:

(1) مصطفى عبد العليم، المرجع نفسه، ص 97.

Law, R. C. C., Op. Cit., P. 193.

(2)

Mattingly, D. J., Int. 895 And 896, "Tw. Insc. Ghir. El - Gar.", Op., Cit, Pp. 70 - 71. (3)

الأول: إنشاء مراكز دفاعية جيدة أطلق عليها الكنتيناريات⁽¹⁾، وهي عبارة عن قوة رومانية متكافئة مع قائد السرية في نظام الجيش الروماني⁽²⁾ وكانت مهمة هذه الوحدات حراسة الأماكن الهامة التي لا تصلح كمزارع محصنة أو المواقع التي تحتاج إلى حماية إضافية⁽³⁾، وحراسة الطرق العسكرية خصوصاً في أعلى سوف الجين في اتجاه القبائل الليبية المعادية⁽⁴⁾.

ونظراً لتعدد هذه المراكز واختلاف أشكالها ومواقعها أُرِجِح وجود نوعين من الكنتيناريات إحداهما رسمية بإشراف القادة العسكريين ومن أهم تلك المراكز قصر دويب حيث أشارت النقوش⁽⁵⁾ التي عُثِر عليها بهذه المراكز إلى الترابنة الرومان المسؤولين في هذه المواقع المحصنة من الهجوم، ويرجَح أن بعاءه أو ترميمه قد تم في الفترة ما بين عام 244 - 246م وكانت مهمته حراسة الطريق العسكري والنشاط الزراعي في أعلى سوف الجين ضد القبائل الليبية⁽⁶⁾.

ومن المراكز العسكرية الهامة التابعة للكنتيناريات في المنطقة الشبه صحراوية، الوحدات الصغيرة في بئر دريدر جنوب سوف الجين التي يرجَح وجود قوة عسكرية بها يرأسها تربيون⁽⁷⁾، إذ أن أحد النقوش⁽⁸⁾ التي أكتشفت في الموقع يحمل كلمة تربيونوس «TRIBUNUS» وهو لقب ضابط روماني مُنح رتبة عسكرية وسلطة إدارية في قسم من الحدود⁽⁹⁾.

كما أن قصر وامس يرجَح أن يكون أحد مراكز الكنتيناريات التي أُنشئت في طق الحدود⁽¹⁰⁾.

-
- | | |
|--|------|
| C. A. Hist., Vol X, Op. Cit., P. 231. | (1) |
| Goodchild, R. G., Lib. Stud., Ed. Reynolds, Op. Cit., P. 7. | (2) |
| Haynes, E. L., Op. Cit., P. 40, Elmayer, A. F., "The Centenaria Of Roman Tripolitania," Lib. Stud., Vol 16, 1985, P. 77. | (3) |
| Brogan, O. And Smith, D. J., Ghir. Lib. Sett. Rom. Per., Op. Cit., P. 228. | (4) |
| Irt., No. 880. | (5) |
| Goodchild, R. G., Lib. Stud., Ed. Reynolds, Op. Cit., Pp. 9, 26. | (6) |
| Brogan, O., "Som. Anc. Sit. Eas. Trip.," Op. Cit., P. 126. | (7) |
| Irt., No. 886, A 886. F | (8) |
| Elmayer, A. F., "Reint. Lat. - Pun. Insc. Rom. Trip.," Op. Cit., P. 94. | (9) |
| Goodchild, R. G. Lib. Stud., Ed. Reynolds, Op. Cit., P. 29 | (10) |

أما الكنتيناريا الخاصة فقد شيدت بواسطة ملاك الأراضي الزراعية، وهذا واضح من أسمائهم والقبابهم خصوصاً في وادي ميمون دراج⁽¹⁾، ويرجح أن تاريخها يعود للقرن الرابع ويبدو أنها قد بُنيت بواسطة خبرة محلية⁽²⁾، وليس هذا غريباً على العناصر السوطنية إذ يعتقد بعض الباحثين⁽³⁾ أن قبيلة الماكاي الليبية قامت بتشبيد عدد من القلاع والحصون تحت إشراف الرومان والتي تنقسم بالطابع الليبي وقامت بإنشائها في قوريني وقد صور أحد النقوش⁽⁴⁾ الكنتيناريا الخاصة التي أقيمت في قصر وادي البئر قرب شمعش «SHEMECH» في وادي سوف الجين والتي بُنيت لتوفير الأمن للمنطقة بصفة عامة⁽⁵⁾ ونظراً لعدم وجود فوارق واضحة بين الكنتيناريا والقصور المحصنة وصعوبة التمييز بينهما فقد أوجد ذلك اختلافاً بين الباحثين على التسميات التي أطلقت على تلك المواقع⁽⁶⁾.

وبخلاصة القول التي يمكن تأكيدنا انطلاقاً من النقوش والآثار أن القبائل الليبية التي كانت تقيم في المناطق شبه الصحراوية من مناطق المدن الثلاث، حين أدركت عجز الرومان في السيطرة على الأمن في مناطقها، اعتمدت على نفسها في حفظ الأمن والنظام وذلك ببناء المراكز الدفاعية في كثير من المناطق حيث تؤكد النقوش الكثيرة أن تهديدات المغيرين دفعت أصحاب الأراضي إلى اتخاذ الاستعدادات اللازمة لحماية أنفسهم وأسلاكهم من الغارات التي يتعرضون لها⁽⁷⁾.

ولما أدركت السلطات الرومانية أنها أضعف من أن تسيطر على القبائل الليبية خارج حدود وجودها الفعلي أرادت التعامل مع تلك القبائل بأسلوب جديد وهو التحالف مع رؤساء القبائل المحليين حتى يأمنوا غضبهم ويطشهم بالرومان

-
- (1) Irt., No. 894.^a
- (2) Elmayer, A. F., "Cent. Rom. Trip.," Op. Cit., P. 79.
- (3) Goodchild, R. G., "The Roman And Byzantine Limes In Cyrenaica," J. R. S., Vol. (3) Xlin, 1953, Pp. 65 - 76.
- (4) Irt., No. 889.
- (5) Elmayer, A. F., "Re - Int. Lat. - Pun. Insc. Rom. Trip.," Op. Cit., Pp. 90 - 91.
- (6) حول هذه الاختلافات والتسميات التي أطلقت على تلك المباني والمراكز انظر Barker, G. W. W. And Jones, B. D. G., "Unes. Lib. Val. Sur.," Op. Cit., Pp. 24 - 38; Elmayer, A. F., "Cent. Rom. Trip.," Op. Cit., Pp. 77 - 82.
- (7) Brogan, O., "Som. Anc. Sit. Eas. Trip.," Op. Cit., P. 126.

حيث منحوهم مكافآت وامتيازات تضمن إخلاصهم⁽¹⁾، وتبين النقوش اليونانية - اللاتينية أسماء أعداد كبيرة من الترابنة الذين كانوا مسؤولين عن حماية وصيانة قطاعات التخوم حيث أن بعضهم عُيّنوا كرؤساء بواسطة الحكومة الرومانية، ومع ذلك فإن وظائف البعض منهم كانت وراثية وحمل البعض من رؤساء القبائل اللقب الفنيقي «VIR» أي الأمير وقد ظهر هذا اللقب في بنز دريدر⁽²⁾.

وإضافة إلى مسؤولية الترابنة الدفاعية كانوا مسؤولين عن الشؤون الدينية وتشبيد المباني المتعلقة بها ومكلفين كذلك بالإدارة والعدل في مناطقهم ويرجح أن الأموال اللازمة للمباني الدينية والعسكرية كانت تُجبي من الضرائب على تجارة القوافل والزراعة⁽³⁾.

وكان رؤساء القبائل الليبية «الترابنة»⁽⁴⁾ قد شيدوا منازل محصنة على هيئة أبراج كما بنوا الأضرحة لموتاهم التي تعتبر من المعالم الأثرية الهامة في المدن الثلاث⁽⁵⁾، وقد أثبتت النقوش⁽⁶⁾ الأثرية القرابين التي كان يقدمها سكان التخوم لموتاهم⁽⁷⁾ وكانت شواهد القبور⁽⁸⁾ تحمل الكثير من الأسماء المحلية مثل يارمور ونميرا وماسواخان وغيرها من الأسماء المحلية.

ثانياً: تقسيم مناطق التخوم:

أما التطور الثاني الذي حصل في ميدان الدفاع بعد نهاية الأسرة السفيرية فهو تقسيم مناطق التخوم في المدن الثلاث إلى اثني عشر قطاعاً⁽⁹⁾، وأسند كل

(1) Codex Theodosianus, VII, 15; es, J., Op. Cit., P. 34.

(2) Irt., Nos. A. D. F. H. ; G hild, R. G., "The Latino - Libyan Inscriptions of Tripolitania," Antiquaries Journal, Vol. 30, 1950, P. 137; Elmayer, A. F., "The Reinterpretation Of The Latino - Punio Inscription Irt. And 893 From Tripolitania," Lib., Stud., Vol. 15, 1964, Pp. 149 - 150.

(3) Irt., Nos. 877, ; Elmayer, A. F., "Re - Interpr. Lat. - Pun. Insc. Rom. Trip.," Op. Cit., P. 94.

(4) كان الرومان يطلقون هذا اللقب «نريبيون» على بعض القادة من رؤساء القبائل الليبية.

(5) مصطفى عبد العليم، المرجع نفسه، ص 96.

(6) وُجد هذا التلش على بوابة قصر العزيز في وادي المردوم انظر:

Irt., No., .

(7) Elmayer, A. F., "Re - Int. Lat. - Pun. Insc. Rom. Trip.," Op. Cit., Pp. 91 - 92.

(8) Irt., No. 8; B , O. "Fir. Sec. Set, Trip. Pr. - ..," Op. Cit., P. 124.

(9) B , O., And Smith, D. J., Ghir, Lib. Set. Rom. Per., Op. Cit., P. 229.

قطاع إلى قائد خاص به⁽¹⁾ «PRAEPOSITUS LIMITUS» واستقرت العناصر المحلية في تلك القطاعات الاثني عشر تحت قيادة أمر المنطقة⁽²⁾ «PRAEPOSITUS».

ثالثاً: العظم الدفا في عهد دقلديانوس:

وعندما أعاد الإمبراطور دقلديانوس تنظيم الإمبراطورية جمل من المدن الثلاث إقليمياً خاصاً أطلق عليه إقليم طرابلس⁽³⁾.

وقد وضعت قيادة القوات العسكرية للمدن الثلاث تحت قيادة كوميس أفريقيا⁽⁴⁾، ويرى بعض الباحثين⁽⁵⁾ أنه اعتباراً من عهد دقلديانوس أجبر أحفاد جند الحدود على أن يرثوا وظائف آبائهم، لذلك فقد الجيش في جميع مناطق شمال أفريقيا مرونته وحزمه فلم يبق للكتائب والفيالق الرومانية ما كانت تتمتع به من روح المقاومة اللازمة لإقرار النظام ولهذا السبب أجبر الرومان ملاك الأراضي على تزويد الجيوش الرومانية بالجنود وقام الملاك بهذه المهمة عن طريق اختيار هؤلاء الجنود من الفلاحين التابعين لهم أو يبتاعونهم عن طريق التجارة في حالة عدم استطاعتهم دفع قدر من المال كتعويض عن الجنود المطلوبين.

ويرجح أن تخوم المدن الثلاث لم تهجر في عهد دقلديانوس كما اعتقد البعض بل استمرت فعالة⁽⁶⁾ لأن هجر هذه المناطق الجبلية والشبه صحراوية الغنية بالإنتاج الزراعي سيؤدي إلى حرمان المدن الساحلية من مواد خامها⁽⁷⁾.

ومن مميزات التخوم في مناطق المدن الثلاث أنه كان مؤسسة تجارية ودفاعية عن ذاتها داخل المزارع المحصنة⁽⁸⁾، وكانت الأغراض الرئيسية لنظام التخوم تهدف إلى ضم الأراضي الزراعية الصالحة للإنتاج الزراعي⁽⁹⁾.

-
- | | |
|---|-----|
| Goodchild, R. G., Lib. Stud., Ed. Reynolds, Op. Cit., P. 9 | (1) |
| Goodchild, R. G., Lib. Stud., Ed. Reynolds, Op. Cit., P. 14. | (2) |
| B , O., And Smith, D. J., Ghir. Lib. Sett. Rom. Per., Op. Cit., P. 228. | (3) |
| H nd, N. G. L. And Scullard, H. H., Op. Cit., P. 22. | (4) |
| Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 201. | (5) |
| Id, R. G., "Rom. Road. Lib.," Op. Cit., P 159. | (6) |
| B , O. And Smith, D. J., Ghir. Lib. Sett. Rom. Per., Op. Cit., P. 228. | (7) |
| Warmington, B. H., Nor. Afr. Prov. Dic. Van. Con., Op. Cit., P. 25. | (8) |
| Julien, Ch. A., Op. Cit., P. 133. | (9) |

ومن الاسباب التي أدت إلى ضعف نظام التضوم وانهيائه ضعف الصفات البيئية وتغير العلاقات السياسية والاجتماعية مع المدن الساحلية⁽¹⁾.

والواقع ان نظام التضوم كان له وجهان احدهما إيجابي يتمثل في توفير العمل للقبائل الليبية والجنود المتقاعدين، وإنتاج سلع تصدر إلى الخارج مقابل مصنوعات مستوردة، أما الوجه السلبي فهو محاولة الساسة الرومان ضرب المواطنين الليبيين ببعضهم البعض بحيث يدفع هؤلاء أكبر الخسائر فلا تصل الهجمات إلى المدن التي يسكنها الرومان إلا بعد أن يفقد المهاجمون قوتهم وعنقوتهم كما كان الرومان يهدفون من وراء تلك السياسة إلى إثارة الفرقة والانقسام بين القبائل الليبية حتى لا تتوحد جهود تلك القبائل ضدهم وفي ذات الوقت يتسنى لهم سهولة التحكم في تلك القبائل وامتصاص خيراتها.

Barker, G. W. And Jones, G. D. B., "Unex. Lib. Val. Sur. 1979 – 1981," Op. Cit., (1) Pp. 21, 33.

تناولتُ بالبحث والدراسة في فصول هذا الكتاب مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية في المدن الثلاث من بداية الاستيطان الفينيقي حتى نهاية الحكم الروماني للبلاد وتركزتُ موضوع الكتاب بصورة خاصة على الفترة الممتدة من عهد أوغسطس في عام 27 ق.م إلى نهاية حكم الإمبراطور دقلديانوس في عام 305م

وقد ارتبطت المدن الثلاث من أقدم الأزمنة بعلاقات وثيقة مع مناطق البحر المتوسط وأواسط أفريقيا على اعتبار أن المدن الثلاث تمثل المخرج الطبيعي لداخلية أفريقيا، وكان لهذه العلاقات دور هام في اقتصاديات المدن خصوصاً فيما يتعلق بعلاقاتها مع قرطاجة وأواسط أفريقيا وبعض مناطق البحر المتوسط.

وقد اتضح لنا من خلال دراستنا للحياة الاقتصادية مقدار الضرر الذي لحق بالمواطنين نتيجة لاستقلال المحتلين لخيرات البلاد المتمثلة في الأراضي الزراعية وفرض الضرائب الباهظة والاحتكار التجاري وفرض مزروعات معينة يحتاج إليها المستعمرون وإهمال الصناعة والتركيز على صناعات قليلة تخدم الرومان.

أما من الناحية السياسية فإن العلاقات الطيبة كانت الطابع المميز بين الفينيقيين والليبيين بعكس الحال نسبة للرومان الذين دارت بينهم وبين القبائل الليبية الكثير من المعارك والحروب وهذا راجع إلى أسباب مختلفة في مقدمتها السيطرة الرومانية على معظم مرافق البلاد الاقتصادية خصوصاً الاستيلاء على الأراضي الزراعية وطرد القبائل إلى مناطق شبه صحراوية، والاهتمام بمصالح الرومان المختلفة على حساب أهل البلاد الأصليين، ولعل ما يبرهن على العلاقات

العدائية بين الرومان والقبائل الليبية الحروب المتعددة التي خاضتها القبائل الليبية ضد الرومان ومساندتهم لثورة تكفريناس ووقوفهم إلى جانب الحركة الدوناتية.

ومع ذلك فإن العلاقات بين الجانبين لم تسر على وتيرة واحدة حيث تخللتها فترات هدوء وسلام وعلاقات صداقة وتبادل تجاري بين الجانبين خاصة مع الجرامنت.

كما بحثُ وسائل الدفاع الرومانية ضد القبائل الليبية وقد اتضح الهدف الحقيقي من هذه الوسائل وهي أن الرومان أرادوا حماية أنفسهم من خطر القبائل الليبية عن طريق ضرب الليبيين أصحاب المزارع المحصنة في مناطق التخوم بإخوانهم أبناء القبائل الليبية الثائرة ضد الرومان أو التي لم تخضع لهم.

كما تبين لنا من هذه الدراسة دور القبائل الليبية في تقويض الحكم الروماني من البلاد، رغم عودة البيزنطيين لحكم البلاد بعد طرد الونداليين إلا أن البلاد لم تعد إلى رخائها السابق واستمرت مضطربة حتى الفتح العربي الإسلامي في القرن السابع الميلادي.

هذا ومن الله وإلى الله التوفيق...

أولاً: المصادر:
أ - المصادر الأدبية :

- (1) Aelius Dionysius Spartians, Severus, L. C. L.
- (2) Ammanus Marcellinus, L. C. L.
- (3) Appians, Roman History; Punica; Civil War, L. C. L.
- (4) Lucius, Appuleius, L. C. L.
- (5) Arnobius of Sicca, Adversus Gentes, L. C. L.
- (6) Atheneus, L. C. L.
- (7) Aurelius Victor, Caesar, L. C. L.
- (8) Boethius, The Theological Tractates, L. C. L.
- (9) Caesar, Bel. Civ. L. C. L.
- (10) Cicero, Inverren, L. C. L.
- (11) Codex Theosianus, L. C. L.
- (12) Columella, L. C. L.
- (13) Corippus, L. C. L.
- (14) Dio Cassius, Roman History, L. C. L.
- (15) Diodorus Siculs, L. C. L.
- (16) Dionysius Periegeis, L. C. L.
- (17) Dios' Roman History, L. C. L.
- (18) Florus, L. C. L.
- (19) Herodianus, History, L., C. L.
- (20) Herodotus, L. C. L.
- (21) Historiae Augustae, Severus Alexander, L. C. L.
- (22) Homer, Odyssea, L. C. L.
- (23) Livy, L. C. L.
- (24) Lucani, The Civil War; Pharsalia, L. C. L.

- 5) Lucianus, Deopsades, L. C. L.
- 6) Orosius, L. C. L.
- 7) Periple de Scylax, B. G. Muller, Paris, 1882.
- 8) Philostorgios, Ecclesiastical History, L. C. L.
- 9) Pliny, Natural History, L. C. L.
- 0) Plutarch's, Sulla, Gracchus; Pompe; Cato Minor ; Caesar, L. C. L.
- 1) Polybius, The Histories, L. C. L.
- 2) Procopius, History of the Wars, L. C. L.
- 3) Propertius, L. C. L.
- 4) Ptolemy, L. C. L.
- 5) Remains of Old Latin, Archaic Inscriptions, L. C. L.
- 6) Sallust, Bellum Jugurthinum, L. C. L.
- 7) Sextus Julius Frontinus, Iuli Frontini Strategematon, L. C. L.
- 8) Silius Italicus, Punica, L. C. L.
- 9) Solinus, L. C. L.
- 0) Spartianus, L. C. L.
- 1) Strabo, Geography, L. C. L.
- 2) Tacitus, Annals, Histories, L. C. L.
- 3) The Letters of Synesius of Cyrene, L. C. L.
- 4) Theophrastus, Frag. L. C. L.
- 5) The Scriptores Historiae Augustae, Severus, L. C. L.
- 5) Virgil, L. C. L.
- 7) Zonaras, Annals, L. C. L.

ب - النقوش

- 1) Corpus Inscriptionum Latinarum.
- 1) Inscriptions of Roman Tripolitania. "Reynolds, J. And Wardperkins, J. B."
- 1) Supplementum Epigraphicum Graecum, IX Klauffenbach, G., 1939

ثانياً: المراجع العربية:

- 1 - إبراهيم أحمد رزقانة، جغرافية الوطن العربي (1964م).
- 2 - إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، منشورات الجامعة الليبية كلية الآداب، جزءان، 1971م، 1973م.
- 3 - إبراهيم نصحي، إنشاء قوريني وشقيقاتها، الطبعة الأولى، منشورات الجام الليبية، كلية الآداب 1970.
- 4 - أحمد إلياس حسين، (سبلع التجارة الصحراوية) الصحراء الكبرى، مركز جيم الليبيين للدراسات التاريخية .. 1979م..

- 5 - أحمد سعيد الفيتوري، ليبيا وتجارة القوافل، الإدارة العامة للأثار 1972م.
- 6 - أحمد صفر، مدنّية المغرب العربي في التساربخ، الجزء الأول دار النشر - بوسلامة - تونس.
- 7 - إدوارد راي، المغرب العربي ترجمة مصطفى محمد جودة، دار مكتبة الفكر طرابلس.
- 8 - أسد رستم، عصر أوغسطس قيصر وخلفائه بيروت، 1961م.
- 9 - الأطلس الوطني، أمانة التخطيط مصلحة المساحة، الجماهيرية، الطبعة الأولى، استكهولم، 1978م.
- 10 - جمال الدين الديناصوري، جغرافية فزان، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي.
- 11 - جورج مصروعة، هينغل، الطبعة الثانية الجزء الأول، مطابع سيما، بيروت، 1960م.
- 12 - حسين مؤنس «فزان ودورها في إنتشار الإسلام في أفريقيا» مجلة كلية الآداب / العدد الثالث الجامعة الليبية.
- 13 - دينس بولم، حضارات أفريقيا، ترجمة علي شاهين.
- 14 - رجب عبد الحميد الأثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي الطبعة الثانية المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، دار الحقيقة.
- 15 - رشيد الناصوري، تاريخ المغرب الكبير، الجزء الأول دار النهضة العربية بيروت 1981م.
- 16 - سالم الحجاجي «زراعة السحب في ليبيا» مجلة كلية التربية العدد الرابع جامعة طرابلس 1974م.
- 17 - شارل أندريه جوليان تاريخ أفريقيا ترجمة طلعت عوض أباطة.
- 18 - طه باقر (أخبار أثرية) مجلة ليبيا القديمة المجلدان الثالث والرابع 1966، 1967م.
- 19 - عبد الرحمن بدوي «ليبيا في مؤلفات أرسطو» مجلة كلية الآداب العدد الثالث 1969م.
- 20 - عبد العزيز طريخ شرف، جغرافية ليبيا، مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية.
- 21 - عبد القادر جفلول، مقدمات في تاريخ المغرب الكبير القديم والوسيط ترجمة فضيل الحكيم، الطبعة الأولى، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1982م.
- 22 - عبد الكريم فضيل الميار / قوريني في العصر الروماني، الطبعة الأولى منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1978م.

- 23 - فوزي فهم جاد الله «بين ليبيا والسودان في العصور القديمة» مؤتمر الآثار العربية، القاهرة، 1973م.
- 24 - فوزي فهم جاد الله «المعارك والمواقع الحربية الهامة بين الليبيين والمستعمرين من الإغريق والرومان» مركز دراسة جهاد الليبيين، الموسم الثقافي 1981م
- 25 - كريستوف روجر «الرومان والصحراء الكبرى» ترجمة عماد الدين غانم، الصحراء الكبرى، منشورات مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 1979م.
- 26 - محمد أبوالمحسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1981م.
- 27 - محمد الجراري «الاستيطان الروماني في ليبيا، الاستعمار الاستيطاني الإيطالي، منشورات جامعة الفاتح، مركز دراسة جهاد الليبيين 1984م.
- 28 - محمد الجراري «موقف القبائل الليبية من الغزو الروماني» مجلة الثقافة العربية العدد السابع، السنة التاسعة، يوليو 1982م.
- 29 - محمد السيد غلاب، الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافية والتاريخ الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، 1969م.
- 30 - محمد المبروك المهدي، جغرافية ليبيا البشرية، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان.
- 31 - محمد سليمان أيوب، جزمة من تاريخ الحضارة الليبية القديمة، الطبعة الأولى، دار المصراقي للطباعة والنشر، طرابلس، 1969م.
- 32 - محمد سليمان أيوب «جزمة في عصر ازدهارها الذهبي» مجلد ليبيا في التاريخ، دار المشرق، بيروت، 1968م.
- 33 - محمد سليمان أيوب «حملة كورنيليوس بالبوس على فزان عام 19 ق.م» مجلد ليبيا في التاريخ، دار المشرق، بيروت، 1968م.
- 34 - محمد سليمان أيوب، مختصر تاريخ فزان، المطبعة الليبية، طرابلس.
- 35 - محمد عبد الهادي شعيرة «ليبيا الاسم ومدلولاته التاريخية» مجلة كلية الآداب والتربية، العدد الأول، الطبعة الثانية، المطبعة الأهلية بنغازي، 1958م.
- 36 - محمد علي عيسى، مدينة صبراتة إشراف الإدارة العامة للبحوث الأثرية والمحفوظات التاريخية، الدار العربية ب. 1978م.
- 37 - محمود الصديق أبو حامد «مظاهر الحضارة الفينيقية في طرابلس» مجلد ليبيا في التاريخ، دار المشرق، بيروت، 1968م.
- 38 - محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة

- العربية للطباعة والنشر، بيروت 1981م.
- 39 - محمود عبدالعزيز النمسي ومحمود الصديق أبوحامد، دليل متحف الآثار بالسراي الحمراء بطرابلس، إشراف مصطفى الآثار، الدار العربية للكتاب، 1977م.
- 40 - محمود عبدالعزيز النمسي، «حفائر مصلحة الآثار بتاجوراء» مجلة ليبيا القديمة، المجلدان الثالث والرابع، 1966م - 1967م.
- 41 - مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966م.
- 42 - مصطفى محمد فارس «الحياة الثقافية في ليبيا القديمة» مجلة البحوث التاريخية العدد الثاني، السنة السادسة، يوليو 1984م.
- 43 - هانس فايس «الصحراء الكبرى في ضوء التاريخ» ترجمة مكاييل محرز الصحراء الكبرى، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين، 1979م.
- 44 - ولي ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، الجزء الثالث المجلد الثالث، الإدارة الثقافية في جامعة الدولة العربية.

ثا : المراجع الاجنبية

- (1) Abdelalim, M. K., «Libyan Nationalism & Foreign Rule in Graeco-Roman Times», Libya Antiqua, Printed in France, Unesco, 1986.
- (2) Abou - Hamed, M., Shaglouf, M. & Ateya, B., «Archeological News», Libya Antiqua, Vol. XI - XII, 1974 - 1975.
- (3) Anketell, J. M. & Ghelali, S. M., «Stratigraphic Studies on Quaternary Flood Pline Deposits of Eastern Gafara Plaine» Libyan Studies, Vol. 14, 1983.
- (4) Annual Report, 1974 - 1975, The Society for Libyan Studies, Fifte Annual Report, 1973 - 1974.
- (5) Arcangelo, G., Tripolitania E; Cirenaica, III^a Edizione, Milano - Bergamo, 1912.
- (6) Aurigemma, S., «l'Elefante di Leptis Magna E il Commercio Dell, Avorio E Delle Libycae Ferae Negli Emporia Tripolitania» Africa Italiana, Vol. VII, 1940.
- (7) Arthur, P., «Amphora Production in the Tripolitania Gebel», Libyan Studies, Vol 13, 1982.
- (8) Arthur, P., «Hellenistic and Roman Sites at Mursa Gezira Near Misurata» Libyan Studies, Vol. 14, 1983.
- (9) Aurigemma, S., «I Mosaici Di Zliten», Africa Italiana, Vol. 2, 1926.
- (10) Bakir, T., «Archiological News I Tripolitania» Libya Antiqua, Vol, V, 1.

- (11) Bakir, T «Archiological News 1965 – 1967: Tripolitania,» *Libya Antiqua*, Vol. III – IV, 1 – 1967.
- (12) Barker, G. W. W. & Jones, B. D. G., «The Unesco Libyan Valleys Survey 1980,» *Libyan Studies*, Vol. 12, 1980 – 1981.
- (13) Barker, G. W. W. & Jones, B. D. G., «The unesco Libyan Valleys Survey 1979 – 1981: Palaeo Economy and Environmental Archaeology in the Pre-Desert» *Libyan Studies*, Vol. 13, 1982.
- (14) Barker, G. W. W., Gilbertson, D. D., Griffin, C. M., Hayes, P. P. & Jones, D. A. «The Unesco Libyan Valleys Survey V: Sedimento Logical Properties of Holocene Wadi Floor And Plateau Deposits in Tripolitania North – West Libya» *Libyan Studies*, Vol. 14, 1983.
- (15) Parker, G. W. W. & Jones, B. D. G., «The Unesco Libyan Valleys Survey VI: Investigation of Roman Libyan Faram, Part, I,» *Libyan Studies*, Vol. 15, 1984.
- (16) Bartoccini, R., *Africa Italiana*, Vol. 4, 1931.
- (17) Barton, I. M., *Africa in the Roman Empire*, Ghana University Press, Accra, 1972.
- (18) Bates, O., *The Eastern Libyan*, Frankcass & Co. Ltd., New Impression London, 1970.
- (19) Beechey, H. W. & Beechey, F. W., *Expedition to Explore the Northern Coast of Africa from Tripoli East Ward*, 1828.
- (20) Bellwood, P. S., *A Roman Dam in Wadi Lebda Tripolitania Libya Antiqua*, Vol. 3 – 4, 1 – 1967.
- (21) Birley, A., *Siptimus Severus, the African Emperor*, London, 1971.
- (22) BLunsum, T., *Libya the Country and its People*, Queen Anne Press, Copyright, 1 .
- (23) Boardman, J., *The Greeks Over Seas*, Penguin, 1964.
- (24) Boissier, G., *Roman Africa*, Translated by Arabella Ward, P., Putnom, Sons, 1899.
- (25) Bovill, W. E., *The Golden Trade of the Moors*, Oxford University Press, London, 1963.
- (26) BRESTED, J. H., *A History of Egypt*, London, 1 .
- (27) Breasted J.H., *Ancient Records*, ii: iv.
- (28) Brehony, J. A. N., «Semi – Nomadism in the Jebel Tarhuna», *Field Studies in Libya*, Research Papres Series No. 4, 1 , Department of Geagrophy Durham Colleges in the University of Durham.
- (29) Brogan, O., «Round and About Misurata,» *The Society for Libyan Studies*, 6th Annual, 1974 – 1975.
- (30) Brogan, O., «The, Camel in Roman Tripolitania,» *P. B. S. R.*, Vol. 22, 1954.
- (31) Brogan, O., «Notes on the Wadis Nelna and Bel El-Lebir and Bome Prb – Dgsbero tracks,» *Libya Antiqua*, Vol. II. 1965.

- (32) Brogan, O., Some Ancient Sites in Eastern Tripolitania, *Libya Antiqua*, Vol. Xiii - Xiv., 1976 - 1977.
- (33) Brogan, O., «Haddhagar a Clausura in the Tripolitanian Gebel Garian South of Asabaa», *Libyan Studies*, Vol. ii, 1979 - 1980.
- (34) Brogan, O., «First and Second Century Settlement in the Tripolitania Pre-Desert», *Libya in History*, Dar-Elmashriq, Baerot, 1 .
- (35) Brogan, O., «expedition to Tripolitania, 1971» *The Society for Libyan Studies, Second Annual Report*, 1970 - 1971.
- (36) Brogan, O., & Kenrick, P., «Short Report, Work in Tripolitania», *The Society for Libyan Studies. Fourth Annual Report*, 1972 - 1973.
- (37) Brogan, O. & Reynolds, J. M., «Inscriptions from the Tripolitanian Hinter Land», *Libya Antiqua*, Vol. I, 1964.
- (38) Brogan, O., & Smith, D. J., «Notes from the Tripolitania Pre-Desert 1967», *Libya Antiqua*, Vol. III - IV, I - 1967
- (39) Brogan, O. & Smith, D. J., Ghirza a Libyan Settlement in the Roman Period, Secretariat of Education Department of Antiquities. Published by Department Of Antiquities, Tripoli, 1984.
- (40) Broughton, T.R.S., the Romanization of Africa Proconsularis, Green Wood Press Publishers, Newyork, 1 .
- (41) Bruse, J. In Libya, 1766, *The Society for Libyan Studies, First Annual*, 1969 - 1970.
- (42) Bulugma, H., «Ethnic Elements in Western Coastal Zone of Tripolitania», *Field Studies in Libya*.
- (43) Caloi, L., «Studio dei Resti Ossei», *Libya Antiqua*, Vol - Xi, Xii 1974 - 1975.
- (44) Caloi, L., «Resti di Cani da uno Scavo a Leptismagna», *Libya Antiqua*, Vol. VI. VII, 1969 - 1970.
- (45) Cambridge Ancient History, Vol. iii, ed. Bury, J. B., Cook, A. S. & Adcock, A. M., Cambridge at the University Press, 1925.
- (46) Cambridge Ancient History. Vol. VII Ed. Cook, S. A., Adcock, F. E. & Charlesworth, M. P., Cambridge at the University Press, 1928.
- (47) Cambridge Ancient History. Vol. IX. 1951.
- (48) Cambridge Ancient History, Vol. X. 1952.
- (49) Cambridge Ancient History, Vol. XI, 1954.
- (50) Cambridge Ancient History, Vol. XII, ed. Cook, S. A., Adcock, F. M., Charlesworth, M. P. & Baynes, N. H., Cambridge at the University Press, 1956.
- (51) Camps - Fabrer, H., L. Olivier et L'huile dans Afrique Romaine, Alger, 1953.
- (52) Carney, T. F., A Biography of C. Marius, Argonaut, Chicago, 1970.
- (53) Cary, M., A History of Roman Domtain to the Reign of Gonstantine, Second Edition, London, 1965.

- (54) Cary, M. *Geographical Back Ground of Greek & Roman History*, Oxford, 1949.
- (55) Cary, M., & Scullard, H.H., *A History of Rome*, Third Edition, 1975.
- (56) Chastagnol, A., «Les Gouverneurs de Byzacene et de Tripolitane», *Antiquites Africaines*, Vol. I., 1967.
- (57) Chatterton, B. A., & Chatterton, L., «Medicago – its Possible Role in Roman Libyan Dry Farming and its Positive Role in Modern Dry Farming», *Libyan Studies*, Vol. 15, 1984.
- (58) Chatterton, B. A. & Chatterton, L., «A Hypothetical Answer to the Decline of the Granary of Rome», *Libyan Studies*, Vol. 16, 1985.
- (59) Clachlan, K. M., *Landed Property and Economic Change in Tripolitania*, University of Libya, Bulletin of the Faculty of Arts, Vol. II, 1.
- (60) Daniels, C. M., *The Garamantes of Fezzan—An Interim Report of Research 1965 – 1973*, Society for Libyan Studies, Vol. 4, 1972 – 1973.
- (61) Daniels, C. M., *The Garamantes of Southern Libya*, Oleander Press, 1970.
- (62) Daniels, C. M., «The Garamantes of Fezzan», *Libya in History*, 1.
- (63) Darms, J. H., J. R. S., 1974.
- (64) Degraff, N., «Il Mercato Romano di Leptis Magna.» *Quaderni di Archeologia Della Libya*, Vol. 2, 1951.
- (65) Department. Of Antiquities, *Historical and Archaeological Guide to Leptis Magna*, 2nd Edition, Published by Department of Antiquities, Tripoli, 1981.
- (66) Desages, J., *Latomus*, Vol. 23, 1964.
- (67) Divita, A., «Ed Altre Recenti Scavi E Scoperte in Tripolitania Gheria El – Gharbia», *Supplements to Libya Antiqua*, II, Published by: The Directorate – General of Antiquities Museum and Archives, Tripoli.
- (68) Divita, A., «La Villa Gara Delle Nereidi Press Tagiura», *Supplements to Libya Antiqua*, II.
- (69) Divita, A., «Il Limes Romano di Tripolitania Nella sua con Cretezza Archeologica e Nella sua Recolta Storica», *Libya Antiqua*, Vol. I, 1.
- (70) Divita, A., «Lo Scava Anord del Mausoleo Punico – Ellenistico a di Sab-rath», *Libya Antiqua*, Vol. Xi – Xii, 1974 – 1975.
- (71) Dorsett, J. E., Gilbrison, D. D., Hunt, C. O. & Barek, W. W., «The Unesco Libyan Valleys Survey VIII», *Libyan Studies*, Vol. 14, 1984.
- (72) Elmayer, A. F., «The Re-Inter Pretation of Latino – Punic Inscription from Roman Tripolitania», *Libyan Studies*, Vol. 14, 1983.
- (73) Elmayer, A. F., «The Re-Inter– Pretations of Latino– Punic Inscriptions from Roman Tripolitania», *Libyan Studies*, Vol. 15, 1984.
- (74) Elmayer, A. F., «The Centenaria of Roman Tripolitania», *Libyan Studies*, Vol. 16, 1985.
- (75) Elmayer, A. F., «The re-inter– Pretaion of the Latino– Punic Inscription Irt. 889 and 893 from Tripolitania», *Libyans Studies*, Vol. 15, 1984.

- (76) El-Rashdy, «Garamantion Burial Customs: Their Relation to those of other Peoples of North Africa», *Libya Antiqua*, Printed in France, Unesco, 1986.
- (77) Ettore, R., *Storia de Tripoli e Della Tripolitania*, Rome, 1911.
- (78) Evans, A. J., *L'Art Etrusque*,
- (79) Fiandra, E., «I Ruderi del Tempio Flavio di Leptis Magna Vicende dal IV Al IX Secolo di C. R.», *Libya Antiqua*, Vol. XI, XII, 1974 - 1975.
- (80) Fleming, A. M. & Burns, J. R., «The Field System and the Sluices» *Libyan Studies*, Vol. 15, 1984.
- (81) Forbes, R. J., «Food in Classical Antiquity: The Production of Olive Oils Studies in Ancient Technology, Second Edition», Vol. III, Leiden, 1965.
- (82) Foucher, L., «Sur les Mosaïques de Zliten», *Libya Antiqua*, Vol. 1, 1964
- (83) Gagnat, R., *L'Armée Romaine d'Afrique*, 1913.
- (84) Gagnat, R., *La Frontière Militaire de La Tripolitaine a l'Epoque Romaine*, Paris, 1912.
- (85) Gagnat, R., «La Tripolitane et Le Sahara Au III^{ème} Siècle», *Mem. de l'Académie des Inscriptions*, Vol. XLIII, 1933.
- (86) Gautier, E. F., «Le Sahara» *Collectif Payot*, Paris, 1923.
- (87) Geddeda, R. A., *The Defense System in Libya During the I-IV Centuries A. D.*, Portland State University, 1978.
- (88) Gilbertson, D. D., Hayes, P. P., Barker, G. W. W. & Hunt, C. O., «The Unesco Libyan Valleys Survey VII», *Libyan Studies*, Vol. 15, 1984.
- (89) Goodchild, R. G., «Medina Sultan», *Lib. Antiq.* Vol. I. 1
- (90) Goodchild, R. G., *Libyan Studies*, Edited, Reynolds, J., Paul Elek, London, 1976.
- (91) Goodchild, R. G., *Cyrene and Apollonia*, Published by Department of Antiquities, 1970.
- (92) Goodchild, R. G., *Tabula Imperii Romani Leptis Magna*, Printed at the University Press, Oxford, 1954.
- (93) Goodchild, R. G., «The Roman Roads of Libya and their Milestones», *Libya in History*, 1
- (94) Goodchild, R. G., «Oasis Forts of Legio III on the Routes to Fezzan», *P.B.S.R.*, Vol. XXII.
- (95) Goodchild, R. G., «Mapping Roman Libyan», *The Geographical Journal*, N. L., Vol. CXVII, Part 2 June. 1952.
- (96) Goodchild, R. G., «The Roman and Byzantine Limes in Cyrenaica», *J. R. S.*, Vol. XLIII, 1963.
- (97) Goodchild, R. G., «The Latino-Libyan Inscriptions of Tripolitania», *Antiquaries Journal*, Vol. XXX, 1950.
- (98) Goodchild, R. G., & Wardperkins, J. B., «The Roman and Byzantine Defences of Leptis Magna», *P. B. S. R.*, Vol. 21. 1953.
- (99) Goodchild, R. G. & Wardperkins, J. B., «The Limes Tripolitanus in the Light of Recent Discoveries», *J. R. S.*, Vol. XXXIX, 1949.

- (100) Graham, A., Roman Africa, Books for Libraries Press Freeport, Newyork.
- (101) Graham, W., The Roman Imperial Army, Adam and Chales Black. London. 1969.
- (102) Grant, M., History of Civilisation the World of Rome, Weiden Feld and Nicolson 20 Newbond Street, London, W. 1.
- (103) Hamond, N.G.L. & Scullard, H. H., The Oxford Classical Dictionary, Second Edition, Clarendon Press, Oxford, 1976.
- (104) Haynes, E. L., The Antiquites of Tripoliana, 4th Edition, 1981.
- (105) Haywood, R. M., Ancient Rome, Daivd Mckay Company, I No., Newyork. 1967.
- (106) Holmes, T. R., Thearchtect of Roman Empire, At the Clarendon Press, Oxford, 1931.
- (107) Humphrey, J., Frank, S. and Vickers, M., «Aspects of the Circus at Lepcis Maga». Society for Libyan Studies, Vol. 5, 1973 – 1974.
- (108) Hunt, C.O., Gale, S.J. & Gilbertson, D.D., «The Unesco Libyan Valleys Survey IX.», Libyan Studies, Vol 16, 1985.
- (109) Huntington, E., Civilisation and Climate, London, 1924.
- (110) Hyslop, C.G.C., In Collaboration with Applebaum, S., Cyrene and Ancient Cyrenaica Aguide Book, Printed by Government Press, Tripilitania,
- (111) Jenkins, G.K., «Some Ancient Coins of Libya Tripolitania», Society for Libyan Studies, Vol. 5, 1973 – 1974.
- (112) Joly, E., «Nuove Lucerne Con Vedute di Porto Nell'Antiguarium di Sabratha», Libya Antiqua, Vol. 5. 1.
- (113) Jones, A.H.M., The Later Roman Empire, Vol, 1, Oxford Unevrstity Press, 1.
- (114) Jones, A.H.M., «Frontier Defence in Byzantine Libya», Libya in History, 1.
- (115) Jones, G.D.B. & Barker, G.W.W., «With a Contribution By Hayes, P.», The Unesco Libyan Valleys Survey 1978 – 1980, Libyan Studies, Vol. 11, 1979 – 1980.
- (116) Jones, G.D.B. & Eennett, P., Moffat, P. Ateyet Allah, A., Garsaa, J.S., & Reynolds, P., «The El – Amud Farm Comples», Libyan Studies, Vol. 15. 1984,
- (117) Jones, G. D. & Barker, G. W. W., «The Unesco Libyan Valleys Survey Iv: The 1982 Seasn», Libyan Studies, Vol. 14, 1983.
- (118) Julien, Ch. A., Histoire L'Afrique du Nord.
- (119) Kenrick, Ph. M., «Excavations at Sabratha, 1948 – 1951», Libyan Studies, Vol. 13, 1982.
- (120) Kenrick, Ph. M., Excavations at Sabratha, 1948 – 1951, Britain, 1986.
- (121) Khuja, M., «Garian Town», Field Studies in Libya, 1.

- (122) Kirwan, L. P., «Roman Expeditions to the upper Nile and the Chad Darfur Region», *Libya in History*, 1 .
- (123) Kraeling, C. H., *Ptolemaies City of the Libyan Pentapolis*, Chicago, 1 .
- (124) Krenkel, E. K., *Geologie Africas, Erster Teil*, Berlin, 1925.
- (125) Larond, A., «Roman Agricaetural Development in Libyan and its Impact on the Libyan Roman Economy Before the Arab Conquest», *Libya Antiqua*, Printed in France, Unesco, 1986.
- (126) law, R. C., «The Garamantes and Trans-Saharan EnterPrise in Classical Times», *The Journal of African History*, Vol. VIII. No. 1, 2 and 3, Cambridge at the University Press, 1967.
- (127) Leon, H., *Roman Political Institutions from City to State*, Translated by: Dobie, M. R., London.
- (128) Lewis, O. T. & Short, C., *A Latin Dictionary Impression of 1975*, Oxford at the Clarendon Press, 1976.
- (129) Lowis, N. & Reinhold, M., *Roman Civilizaton*, Vol. II, *The Empire*, 2ed Printing, Columbia University Press, Newyork, 1959.
- (130) Lhote, H., «L'Expedition Cornelius Balbus au Sahra En 19 J. C. D'Après Le Texte de Pline», *Revue Africaine*, 1954.
- (131) Liddell, H. G. & Scott, R., *Agreek - English Lexicon*, Oxford at the Clarendon Press, 1976.
- (132) Mahjoubi, A. & Salamon, «The Roman and Post - Roman Period in North Africa», *General History of Africa*, Vol. II, Unesco, 1981.
- (133) Mattingly, D. J., «The Laguatan: A Libyan Tribal Confederation in the Late Roman Empire», *Libyan Studies*, Vol. 14, 1983.
- (134) Mattingly, D. J., «The Roman Road - Statinos at Thenadassa, Ainwif» *Libyan Studies*, Vol. 13, 1982.
- (135) Mattingly, D. J., «Irt. 895 - 896 Tow Inscriptions from Gheriat El-Garbia», *Libyan Studies*, Vol. 16, 1985.
- (136) Mattingly, D. J., & Zenati M., «The Excavtion of Building, L. M 43 the Olive Press», *Libyan Studies* Vol. 15, 1984.
- (137) McBurnoy, C.M. «Libya Before the Greek», *The Society Libyan Studies*, Vol. 2., 1970 - 1971.
- (138) Mei, R., *Roman Ostia*, Second Edition, Oxford at the Clarendon Press, 1973.
- (139) Menen, A., *Cities in the Sand*, Printed in Great Britain By Jorrolld, and Sons Ltd., Norwich.
- (140) Merighe, A., *la Tripolitania Antica*, Airoldi, A., Editore, Verbenla 1940.
- (141) Millar, F. G., «Local Culture in Roman Empire», *Journal of Roman Studies*, Vol. 58, 1 .
- (142) Mommsen, T., *The Provinces of the Roman Empire*, Vol. II, Translated by Dickson, W. P., Macmillan and Co., London, 1 .

- (143) Monod, T., Reconnaissance au Donone, Publication L, Institute de Recherches Sahariennes de L'Universite D'Alger, 1948.
- (144) Nilsson, M. P., Imperial Rome, The Social Life of the Roman Empire, Ares Publisher Inc., Chicago, Mcm] Xxiv.
- (145) Oates, D., «The Tripolitania Gebel Settlement of the Roman Period Around Gasr Ed- Daun», P. B. S. R., Vol. 21, 1953.
- (146) Ofrood, L. R., People of the Veil, The Nether Lands, Anthropological Publications, Oosterhout, N. B., 1966.
- (147) Ogrizer, D., The World in Colour, North Africa, Translation, Rowan, D., Publishing Company Ltd., Newyork, London, Toronto.
- (148) Pace, B., «Scavi Sahariani», Gura Della A Ccademia Nozionale, 1951.
- (149) Parker, H.M.D., A History of the Roman World from A.D138 To 337, Second Edition Revised, London, 1958.
- (150) Paynes, R., Ancient Rome, American Heritage Press, Newyork, 1970.
- (151) Perroud, C., De Syrticis Emporis.
- (152) Platnuer, M., The Life and Reign of the Emperor Lucius Sptimus Severus, Published by the Directorate - General of Antiquites Museums, and Archives, Tripoli.
- (153) Pringle, D., «The Defence of Byzantine Africa from Justinian to the Arab Conquest», British Archaeological Reports Supplemntory Series, Oxford, 1981.
- (154) Procaccini, P., «Le Lucerne», Libya Antiqua, Vol. XI - XII, 1974 - 1975.
- (155) Pucci, G., «La Ceramica», Libya Antiqua, Vol. XI - XII, 1974 - 1945.
- (156) Rebuffat, R., «Dix ans de Recherchers dans le Preddesert de Tripolitaine», Libya Antiqua, Vol. XIII - XIV, 1976 - 1977.
- (157) Rebuffat, R., «Gholaja», Libya Antiqua, Vol. IX-X, 1972 - 1973.
- (158) Rebuffat, R., «Graffiti en Libyque de Bunjem», Libya Antiqua, Vol. XI - XII, 1974 - 1975.
- (159) Rebuffat, R., «Bunjem 1970», Libya Antiqua, Vol. VI - VII, 1 - 1970.
- (160) Rebuffat, R., «L'Arrivée des Romains'A Bunjem», Libya Antiqua, Vol. IX - X, 1972 - 1973.
- (161) Rebuffat, R., «Les Inscriptions des Portes du Camp de Bunjem», Libya Antiqua, Vol. IX - X, 1972 - 1973.
- (162) Rebuffat, R., «Bunjem 1972», Libya Antiqua, Vol. XIII - XIV, 1976 - 1977.
- (163) Rebuffat, R., «Bu Njem 1 », Libya Antiqua, Vol. VI - VII, 1 - 1970.
- (164) Rebuffat, R., «Zella et les Routes D'Egypte», Libya Antiqua, Vol. VI - VII, 1 - 1970.
- (165) Rbbdrat, R., Gassend, J. M., Guery, R. & Hallier, G., «Bu Njem 1 » Libya Antiqua, Vol. VI - VII, 1 - 1970.
- (166) Reynolds, J. M. & Wardperkins, J. B., Inscriptions of Romen Tripoltiania, B. S. R., 1952.

- (167) Reynolds, J. M. & Brogan, O., Seven New Inscriptions from Tripolitania, Papers of the British School at Rome, Vol. XXVIII. 1
- (168) Reynolds, J. M., & Simpson, W. G., Some Inscriptions From El-Aueina Near Yefren in Tripolitain, Libya Antiqua, Vol. III - IV 1 - 1967.
- (169) Ritterling, E., «Military Forces in the Senatorial Provinces» J.R.S., Vol. 17, 1927.
- (170) Robinson, C. E., A History of Rome, Methuen and Ltd., London, 1
- (171) Romanelli, P., «La Vita Agricola Tripolitania Attraverso le Rappresentazione Figurata», Africa Italiana, Vol. III, 1930.
- (172) Romanelli, P., Storia Delle Province Romane Dell'Africa, Roma, 1959.
- (173) Romanelli, P., La Cirenaica Romana, Verbania, 1943.
- (174) Rostovtzeff, M., Social and Economic History Hellenistic World Vols. I, II, at the clarendon Press, Oxford, 1971.
- (175) Rostovtzeff, M., The Social and Economic History of the Roman Empire. 2nd Edition, Revised by Fraser, P. M., Vol. I, At the Clarendon Press, Oxford, 1971.
- (176) Salmon, T., A History of the Roman World, 3 the Edition, London.
- (177) Sattin, F., «Le Inscrisioni Rupestri di Casr Mimun», Libya Antiqua, Vol. III - IV, 1966 - 1967.
- (178) Schiffers, H., «Libyan Ein Tor Und Ein Dur Chgangsland Nach Africa», Geographical Conference Faculty of Arts. University of Benghazi, 1975.
- (179) Scullard, H. H., A History of the Roman World from 753 - 146. B. C., 3rd Edition, London, 1961.
- (180) Smith, D. J., «The Centenaria of Tripolitania and Their Antecedents», Libya in History, 1969.
- (181) Soames, J., The Coast of Barbary, First Published, London, 1938.
- (182) Stanford Research Institute, Area Hand Book for Libya, Prepared for the American University, December, 1969.
- (183) Steward, H. J., Land and Water Resources of Tripolitania, Tripoli, 1
- (184) Strong, D. E., «Septimus Severus At Lepcis Magna And Cyrene», The Society for Libyan Studies, Fourth Annual Report, 1972 - 1973.
- (185) Tagart, Ch., «Roman Faience from Vicinity of Germa Wadielagial Fezzan», Libyan Studies, Vol. 14, 1983
- (186) Tagart, Gh., «A glass Fishbeaker from Fezzan», Libyan Studies, Vol. 13, 1983.
- (187) Taylor, A. R., «Regional Variations in Olive Cultivations in Northn Tripoltania», Field Studies in Libya, 1
- (188) Thompson, L. A., «Roman and Native in the Tripolitania in the Early Empire», Libya in History, 1
- (189) Toynbee, J. M. C., the Art of Romans, 1965.
- (190) Troussset, P., Recherches sur les Limes Tripolitanus..... A'La Frontiere Tunisie - Libyenne, 1974.

- (191) Vanderveen, M., «The Unesco Libyan Valleys Survey X», *Libyan Studies*, Vol. 16, 1985.
- (192) Vanderveen, M., «The Ghirza Plant Remains Romano - Libyan Agriculture in Tripolitania Pre - Desert», *Libyan Studies*, Vol. 12, 1980 - 1981.
- (193) Vitafinzi, C., «Roman Dams in Tripolitania», *Antiquity*, 1961.
- (194) Vitafinzi, C., «Post - Roman Changes in Wadi Lebda», *Field Studies in Libya*, 1 .
- (195) Walda, H., & Walker, S., «The Art and Architecture of Leptis Magna, Marble Origins by Isotopic Analysis», *Libyan Studies*, Vol. 15, 1984.
- (196) Ward, Ph., *Sabratha a Guide for Vistores*, The Oleander Press Copright, 1970.
- (197) Ward Perkins, J. B., «Pre- Roman Elements in Architecture of Roman Tripolitania» *Libya in History*, 1 .
- (198) Ward Perkins, J. B., «Severan Art and Architecuture at Lepcis», *J. R. S.*, Vol. 38, 1956.
- (199) Warmington, B. H., *Carthage*, Second Edition, Robert Hale and Compiny Publishers, London, 1969.
- (200) Warmington, B. H., «The Carthaginan Period.», *General History of Africa*, Vol. ii *Ancient Civilizations of Africa*, Unesco, 1986.
- (201) Warmington, B. H., *the North African Provinces from Diocetian to Vandal Conquest*, Cabridge at the Universty Press, 1954.
- (202) W ington, B. H., «The Semitic Migrations to Libya and North Africa», *Libya Antiqua*, Printed in Fracnee, Un , 1986.
- (203) Wellard, J., *Lost World of Africa*, Hutchison, London, 1967.
- (204) Wellard, J., *The Great Sahara*, First Edition, E. P. Dutton and Co., Inc., Newyork, 1 .
- (205) Wells, J. and B w, R. H., *A short Histiry of the Roman Empire*, London, 1 .
- (206) eeler, *Rome Beyond the Imperial Frontirs*.
- (207) Willimott, S. C., «Soills of the Jeffara», *Field Studies in Libya*, 1 .

المحتويات

الإهداء	5
المقدمة	7

الباب الأول

الجانب السياسي

الفصل الأول: جغرافية المدن الثلاث ومصادر ثروتها	13
الفصل الثاني: أحوال الإقليم السياسية قبل الغزو الروماني	31
الفصل الثالث: دوافع الغزو الروماني وسياسته من أغسطس إلى سيفيروس	53
أولاً: دوافع الغزو	55
ثانياً: بداية الغزو وترسيخه حتى عهد أغسطس	58
ثالثاً: السياسة الرومانية من أغسطس إلى سيفيروس	63
الفصل الرابع: من تنظيمات سيفيروس إلى إصلاحات دقلديانوس	93
أولاً: الأسيرة السفيرية	95
ثانياً: اضطراب الأحوال السياسية بعد العهد السفيري	101
ثالثاً: إصلاحات دقلديانوس	102
رابعاً: دور القبائل الليبية في إنهاء الحكم الروماني	106

الباب الثاني

الجانب الاقتصادي

الفصل الأول: أحوال المدن الاقتصادية قبل الغزو الروماني	113
أولاً: التجارة	115
ثانياً: الزراعة والصناعة	124

131	الفصل الثاني: الزراعة والثروة الحيوانية
133	- الزراعة
148	- الرعي
151	- الصيد
155	الفصل الثالث: التجارة والصناعة
157	1 - التجارة:
157	- الأهمية التجارية للمدن الثلاث
159	- سيطرة القبائل الليبية على تجارة القوافل
160	- الموانئ والأسواق
163	- العملة
165	- الطرق التجارية
172	- سلع التجارة
180	- وسائل النقل
181	- الضرائب
185	2 - الصناعة:

الباب الثالث

النظم الدفاعية

189	الفصل الأول: سياسة الرومان الدفاعية قبل العهد السفيري
195	الفصل الثاني: نظم الدفاع السفيرية
198	أولاً: الحصون
205	ثانياً: مزارع الحدود
220	ثالثاً: الطرق
229	الفصل الثالث: الأحوال الدفاعية بعد العهد السفيري
231	1 - الكنتيناريا
234	2 - تقسيم مناطق التخوم
235	3 - النظم الدفاعية في عهد دقلديانوس
237	الخاتمة
239	قائمة المصادر والمراجع



الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان
مكتبات - الجامعات العربية - المكتبة الشاملة الإلكترونية - المكتبة الوطنية

To: www.al-mostafa.com